تاريخ
مصر
الفرعونية

ديانة مصر القديمة

نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة

تأليف: أدولف إرمان

ترجمة

الدكتور عبد المنعم أبو بكر

الدكتور محمد أنور شكري

الناشر
مكتبة مدبولي
القاهرة

٢٥/-

ديانة مصر القديمة

نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة

تأليف

أدولف إرمان

ترجمة

الدكتور عبد المنعم أبو بكر
الأستاذ بكلية الآداب
بجامعة الإسكندرية

الدكتور محمد أنور شكري
الأستاذ بمعهد الآثار المصرية
بجامعة القاهرة

مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة
الرقم العام ٢٢٥٥٩
الرقم الخاص
تاريخ الوارد ٢/١١/٦٨

GN:22555
930.1ع ر

مكتبة مدبولي
القاهرة

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة مدبولي

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

الناشر

مكتبة مدبولي

ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ت ٥٧٥٦٤٢١

آمون وموت وخنسو، آلهة طيبة، ومن أمامهم الملك يقدم القربان. من بردية هارس التي يكثر ذكرها، والتي تخبر بما فعله رمسيس الثالث لآلهة مصر.

تصدير

أريد بهذا الكتاب أن أعرض فيه الديانة المصرية في أخصّ صفاتها، وأن أقص حياتها الطويلة مستعيناً في ذلك بما يبدو لي مفيداً مما بين يديّ من مادّة لا حصر لها، إذ من حقّ المؤرّخ، بل من واجبه، أن يطرح جانباً ما ليست له أهمية وما من شأنه أن يثير الارتباك. وليس من قصدي أن يكون كتابي شاملاً. لا يفتقد فيه العالم المختصّ شيئاً، ولكن القارىء إذا ألفى فيه ما يزيد كثيراً على القطاط المقدسة والمومياوات، وإذا وجد في بعض الأحيان أن في العقيدة المصرية من الأفكار والمشاعر ما لا تخجل منه الديانات السامية، فقد أدّى كتابي الغاية منه. ولقد سبق أن عالجت عام ١٩٠٤ مادّة هذا الموضوع. وظهر الكتاب إذ ذاك تحت عنوان «الديانة المصرية»[١]، ضمن مجموعة «كتيبات المتاحف الملكية»[٢]، التي أنشأها ريشارد شني، الذي كانت لديه فكرة جليلة عن وظيفته، إذ كان يعتقد أن المتاحف إنما هي قبل كل شيء أماكن تثقيف، وأن هذه الكتب ينبغي أن ترشد من غير عناء إلى الحضارات القديمة الأجنبية كل زائر للمتاحف يحاول فهم ما يراه. وكان كتابي الصغير يتفق حقاً وهذا الغرض، حتى لقد أصبح من الضروري طبعه مرّة ثانية عام ١٩٠٩. وهو يظهر الآن للمرة الثالثة، ولكن في شكل جديد خارج تلك المجموعة، إذ غدا أضخم من أن يتناسب معها. وقد

---

(١) Die aegyptische Religion.

(٢) Handbuecher der Koeniglichen Museun.

وجد ذلك الكتاب في الخارج كذلك استحساناً، فما كاد يظهر حتى نقله جرفث إلى الإنجليزية، وفيدال إلى الفرنسية، وبلّجريني إلى الإيطالية.

وإذ لم يغب عن ناظري هذا العمل مذ ذاك، فقد جمعت فيما انصرم من ربع قرن حتى الآن أثناء اشتغالي بأعمال القاموس وقواعد اللغة المصرية كثيراً مما يفي بالكشف عن الديانة. ولهذا لا يجمع هذا الكتاب بسلفيه في عامي ١٩٠٤، ١٩٠٩ شيء كثير ـ فيما عدا فقرات معينة، على أني أرجو أن يكون قد ظلّ بذلك واضحاً سهل المعنى.

وعليّ أن أذكر قبل كل شيء أن من الكتب التي أفدت منها والتي أثارت تفكيري، الطبعة الثانية من «تاريخ العصور القديمة»[١] لإدوارد ماير؛ فقد عالج فيه بما جبل عليه من صفاء النظر وصحة الحكم، مسائل الديانة المصرية أيضاً. وأذكر بعد ذلك كتاب برستد القيم «تطوّر الديانة والفكر في مصر القديمة»[٢]، ثم ما كتبه في هذا الموضوع كيس ورش. أما كتاب برستد «فجر الضمير»[٣] فيسوءني أنه لم يتيسر لي أن أفيد منه. هذا ويعتمد كثير مما يرد في كتابي على أبحاث زيتا الدقيقة ومؤلفات يونكر الهامة. أما ما أدين به لأبحاث لفيفر وأتو وشوبرت بصفة خاصة فيما يتصل بالكهنة فهو في غير حاجة إلى تنويه.

وقد أبقيت أسماء الآلهة والملوك على صيغها المعروفة بها، وذلك لأنه ليس من الميسور ردّ أغلبها إلى صيغته الصحيحة؛ كما أنه لا يزال من المستحسن الاحتفاظ بالصيغ الخاطئة المعروفة مثل سكر ونوت، أو شو وإمسي أو بيي، من أن نستبدل بها صيغاً جديدة غير صحيحة، فيما يظنّ، على نحو الصيغ القديمة سواء بسواء. وفي أسماء المدن تعرض صعوبة أكبر، فإلى جانب صيغها الإغريقية، التي يشيع استخدامها الآن، أوردنا الأسماء المصرية التي لا

---

(١) Ed. Meyer, Geschichte des Altertums.

(٢) H. Breasted, Development of Religion and Thought in Ancient Egypt.

(٣) H. Breasted. Dawn of Conscience.

نكاد نعرف نطقها الصحيح، ثم الصيغ القبطية، وذلك فضلاً عن الأسماء التي يستخدمها السكان العرب في الوقت الحاضر ـ وقد أوردنا الأسماء الأخيرة في رسم تعسفي حقاً[1]. ولذلك لا يدهش القارىء إذا تكلمت مرّة عن هرموبوليس وأخرى عن شمون، أو مرّة عن ددو وأخرى عن بوزيريس، أو إذا اختلطت الأسماء الجديدة كأهناسيا والأقصر بالأسماء القديمة. وكل هذا يبدو قليل الجمال، على أن اتباع طريقة موحدة إنما يؤدّي إلى تصوّرات خاطئة.

وإني لأرجو ألا ينظر إلى ما يرد في كتابي من تواريخ بأكثر مما يمكن أن تكون عليه. حقاً لقد أمكن تحديد أزمنة بعض أحداث التاريخ المصري، على أنه تتخللها أحداث أخرى كثيرة لا يزال توقيتها غير محقق حتى الآن. ولحسن الحظّ ليس تقديم أو تأخير حدث بضعة عشرات من السنين بأمر ذي بال في أغلب الأحيان بالنسبة لموضوعنا ـ وقد عرضنا في صفحة م ما جرت به العادة من تقسيم تاريخ مصر القديم إلى دول وأسرات ـ. وإني لأحيل القرّاء، الذين يرغبون في معلومات أدقّ عن التاريخ المصري إلى كتاب برستد، «تاريخ مصر»[2]، الذي ترجمه هرمان رانكه عام ١٩١٠. وما سقته من ترجمة حرفية من النصوص المصرية قد ميزته بخط مقوّر[3]. وكثير مما اقتطفته من نصوص يرد في صيغته الكاملة في كتابي «أدب المصريين»[4]. ولمن شاء أن يعرف كذلك شيئاً عن الكتابة المصرية ـ وهي التي تعتمد عليها حياة مصر العقلية جميعاً ـ أن يرجع إلى كتابي الصغير «الهيروغليفية»[5]، الذي ظهر في طبعة جشن في ١٩١٢ و ١٩١٧.

ولقد كانت زوجتي سندا لي في طبع هذا الكتاب، وقام السيدان جرانڤو وإركسن بالعمل المضني في مراجعة جميع الاستشهادات، كما ساعداني كذلك

---

(١) راجعنا كتابة الأسماء العربية للمدن حسب رسمها في الوقت الحاضر، المعربان.

(٢) Breasted, History of Egypt.

(٣) أوردناه في الترجمة العربية من داخل شولات في أغلب الأحيان.

(٤) A. Erman. Literatur der Aegypter. Leipzig. Hinrichs 1923.

(٥) A. Erman, Die Hieroglyphen, Goeschen.

دون كلل في تصحيح تجارب المطبعة، وإني لأشكر لهما من كل قلبي هذه الخدمات التي تنمّ عن حبّ وإخلاص.

أدولف إرمان

برلين - دالم
عيد العنصرة

أقسام التاريخ المصري

اعتدنا تقسيم التاريخ المصري إلى عهود، تسميها دولاً أو أسرات، وذلك لتقص معرفتنا التواريخ الدقيقة. وهاك أهمها:

١ ـ ما قبل التاريخ (وكان ذا حضارة راقية):

٢ ـ الدولة القديمة ـ ٣٢٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق. م تقريباً

أ ـ الأسرات الثلاث الأولى. (وعلى رأسها الملك مينا، مؤسس منف؛ حوالي ٣٢٠٠ ق. م. ـ وفي نهايتها الملك زوسر (باني الهرم المدرج).

ب ـ الأسرة الرابعة: ٢٧٢٠ ـ ٢٥٦٠ ق. م. (ومن ملوكها خوفو وخفرع ومنقرع، بناة الأهرام العظيمة).

جـ ـ الأسرة الخامسة: ٢٥٦٠ ـ ٢٤٢٠ ق. م. (وملوكها ساحورع ونيوسر رع وغيرهما، وعهدها عهد ازدهار).

د ـ الأسرة السادسة: وملوكها تيتي فيوبي وغيرهما. ـ وقد أنهاها انهيار حكومي عام حوالي ٢٢٥٠ ق. م.

٣ ـ الدولة الوسطى:

أ ـ بعد فترة اضطرابات قامت حكومات ملكية جديدة في طيبة وليس (ومن ملوكها مريكارع) وفي طيبة (الأسرة الحادية عشرة).

ب ـ الأسرة الثانية عشرة: ٢٠٠٠ ـ ١٧٩٠. وملوكها يحملون اسم منحوتات ومبنى وسترسن١ وهذا العهد هو العهد الكلاسيكي للبلاد.

جـ ـ الأسرة الثالثة عشرة: حتى ١٧٠٠ ق. م. تقريباً، وذلك عندما استولى على مصر الهكسوس، ذلك الشعب المتبربر.

[illegible]

أ ـ تحرير أمراء طيبة للبلاد (الأسرة السابعة عشرة والملك أحمس).

ب ـ الأسرة الثامنة عشرة: ١٥٥٥ ـ ١٣٥٠ ق. م. وفيها كانت مصر دولة [illegible]

وفي نهاية هذه الأسرة عهد الهرطقة.

جـ ـ الأسرة التاسعة عشرة: ١٣٥٠ ـ ١٢٠٠ ق. م. [illegible] ورمسيس وغيرهما، ومنهم رمسيس الثاني ١٢٩٢ ١٢٢٥ ق. م.

د ـ الأسرة العشرون: ١٢٠٠ ـ ١٠٩٠ ق. م، ومن ملوكها رمسيس الثالث (١١٩٨ ـ ١١٦٧ ق. م) ثم خلفاؤه وكانوا يحملون اسمه.

٥ ـ عصر الانحطاط:

[illegible] أخرون في تانيس).

[illegible] ومنفيس وغيرها.

جـ ـ سيطرة الأثيوبيين (شاباكو) والأشوريين على مصر.

[illegible] سايس وعلى رأسهم أبسماتيك ثم خلفاؤه.

٦ ـ العهد اليوناني، ٣٣٢ ـ ٣٠ ق. م.

الإسكندر والممالك الخلفية

٧ ـ العهد الروماني، منذ ٣٠ ق. م

المقدمة

لا يثير اهتمامنا بالديانة المصرية قدم عهدها فحسب. إذ لا يعنينا كثيراً أن نضيف إلى تاريخ الديانات الطويل ألف عام أو أكثر من ذلك أو أقل - بل إن أقوى ما يدعونا إلى ذلك أن دراستها تتيح لنا تتبع حلقات التطور الديني المتصلة، الأمر الذي يعسر علينا الاهتداء إليه إذا حاولناه مع غيرها من الديانات القديمة الأخرى. فنحن نعرف ديانة المصري القديم منذ نشأتها البدائية في العصور السحيقة، حين تخيل الإنسان الإله ماردا أو كائناً رهيباً حتى ذلك الوقت الذي فيه بدأ الإنسان إدراك الصلاة الروحية بينه وبين الإله، فاعتمد عليه وجعله محط آماله، بل أحبه وخشي بطشه ووعيده.

نعم، نحن نعرف هذه الديانة حين بلغت أوج المجد والقداسة، وتغلغلت في نفوس المصريين القدماء. كما نعرفها أيضاً عندما حاول الكهنة إدخال بعض الإصلاحات عليها، وكيف أخفقت هذه المحاولة إخفاقاً ذريعاً، أعقبها فترة اضمحلال طويلة المدى. تخللتها بعض المحاولات للنهوض ولكنها انتهت جميعها إلى الزوال. تلك النهاية التي كان من أثير عوامليها التعصب الشديد والإيغال في التقوى والورع. وعندما حلت الديانة المسيحية بأرض مصر كانت مديناً بزوال الديانة المصرية القديمة.

وإن مما يجعلنا لا نظر بعين التقدير العظيم إلى الديانة المصرية أنها في مظهرها الرسمي على الأقل قد حوت كل الأخلاط التي نرجع إلى عصور

الأولى. ومن هنا استطاعت أسرة رمسيس الثاني أن تضع اسمها على قمة هذه الأفكار الدينية التي - وإن كانت تبدو غريبة بعض الشيء في نظرة بعض الناس بالنسبة إلى عصرنا الحاضر - تؤدي دوراً لا يقل عن المقالات الدينية التي تلعب دوراً مهماً في حياة الشعوب المتحضرة، وتختلف في مثل بعض الملامح المتوازية للديانات الأخرى.

وما يهمنا هنا في أن نوجه طرق مختلفة للأعطاء صورة للديانة المصرية، حتى إذا استطاع علماء البحث العلمي التطبيق عليها أن يتوصل إلى المعاصر الأصلية المستمدة التي وجد الكهنة في عقائد المصريين القدماء، وما حوت من آلهة وأساطير وطقوس غريبة، وعادات وحفلات مختلفة، مما يستلزم ملء مجلدات لا حصر لها.

أما نحن فلا نرى اتباع هذه الطريقة العلمية فعليه أن يدقق في بعض المظاهر التي ساعدت في تاريخ هذه الديانة الطويل، أي عليه أن يبدأ بدراسة - كيف استطاع الكهنة أن يهيئوا الناس حية تقبلها بطرق ساذجة، ثم كيف أن هذه الناس من السذاجة بآلهة التي أصبحت بعيدة غريبة عنهم فاستبدلوا بآلهة أخرى قريبة منه تتناسب مع تطورهم الفكري. ويدرس أيضاً كيف أراد أحد ملوك مصر أن يأخذ مصر كلها بأسرها جريئة ليحرر شعبه من تلك المعتقدات القديمة، وكيف أنه من بعد ذلك الحقبة العظيم من التصورات المختلفة للحياة بعد الموت فكرة تظهر لنا أن ما يصيب الإنسان من عذاب هو أعم وأعظم عن أحد المصريين من تلك المعابد والطقوس الدينية. ولا نشك مطلقاً في أن الجسد أي مثل هذه النتيجة لأهم وأجدى لنا من التعرف على أسماء ورموز وأيام احتفالات الآلهة والآلهات.

أخيراً لا أجد للقول، أن يعتذر إذا اضطررت من حين لآخر أن أذكر ذلك التضارب والخلط الغريب في المعتقدات المصرية، فإنها وإن كانت في ذاتها غريبة أليفة، إلا أنها بالنسبة إلينا نحن الذين نعيش في القرن العشرين مثيرة للدهشة أكثر مما يبغي. ولكن ليس الغموض والتناقض هما الظاهرة الرئيسية

لكل ديانة؟ إن كل من يحاول أن ينشر ديانة واضحة المعنى[1] إنما ينزع منها سر الديانة، ويجنبها ناحيتها الروحية وراء الطبيعية؛ وهي تلك الظاهرة التي تحملها محببة إلى الإنسان، وذلك لأنها ليست وليدة تفكير، بل هي وليدة شعور.

إذن فكل المحاولات التي بذلت لدراسة أو وصف ديانة أي شعب من الشعوب لم تعتمد على وسائل أساسية؛ فهي ليست إلا وصفاً لجميع الآلهة واستعراضاً لنواحي الطقوس الدينية بدقة، وليست إلا متابعة لما حيك حول هذا الدين من القصص والأساطير والخرافات. ولكنك في هذا البحث لم تتعرض إلا للمظهر الخارجي للدين.

فإذا عرفنا الأشكال التي تحيط بالديانة فإن المعنى الحقيقي الذي كان يقصده مبدع الديانة لم تعثر عليه بعد. وإن ما يحببنا هي المؤثرات والشعور الذي يربطنا بتلك الأشياء المقدسة. وهذه المؤثرات هي التي ترتفع بالإنسان عن سفاسف الأمور وهموم العيش على الأرض، وتجعل الديانة أكبر عامل في الحياة الإنسانية. ولهذا السبب نرى أن تكون الآلهة بهذا المظهر أو ذاك، ولا يتكون هذا إلا حسب اختلاف المستوى الثقافي لكل عابد.

فإذا عرفنا بطريق الصدفة ما يشعر به الشخص نحو معبوده أمكننا أن نصل إلى لبّ الديانة، ولكن ذلك لم يحدث إلا نادراً.

لهذا نرجو القارئ أن يضع نصب عينيه هذا النقص في معلوماتنا، وأن يلتمس فهم ما نعرضه له من معنى عميق للديانة. وليس من شك في أن أغرب تماثيل الآلهة وأبعد الطقوس الدينية عن فهمنا تبدو واضحة مفهومة لا تمكننا من معرفة تلك الأحاسيس التي تجيش في صدر المتعبد نحو هذه التماثيل، أو ما يفهمه هو عن هذه الطقوس.

---

(١) إن من يشرح الديانة بطريقة منهاجية على نحو ما يحدث في كثير من الحالات فإنه ينتهي إلى نتائج عقيمة غير صحيحة؛ «إن الحياة والروح لغار من المصنع الحشر».

الفصل الأول

كلمة عامة

لقد استطاع الإنسان أن يميز نفسه عن الحيوان بصفات عدة استمدها في أول الأمر مما يحيط بالحيوان من الفعالات: فصراخ الحيوان ومناداة الذكر للأنثى، تطورتا عند الإنسان وجعل منها لغة التخاطب، كما أن غريزة التجمع عند الحيوان في قطيع هي التي دفعت الإنسان إلى إنشاء الأسرة، ومنها تكونت الدولة. أما ذلك الدافع العجيب عند الحيوان للإبقاء على النسل فهو الذي أنمى العاطفة ودفع الإنسان إلى الزواج، وكذلك كان الشعور الغريزي بالخوف والفزع عند الحيوان من كل ما هو مجهول سبباً دفع الإنسان إلى احترام كل القوى التي تؤثر في حياته دون أن يتعرّف كنهها. ومن هذا الشعور بعينه نشأت الديانة التي لم تكن إلا الاعتقاد المسيطر على ذهن الإنسان من أن هناك قوى تحيط بالإنسان وتؤثر فيه.

ومع أن الإنسان لم يرَ هذه القوى إلا أنه كان يعتقد في وجودها، وكوّن في مخيلته صوراً لها، وأخذ يعطي كلاً منها شكلاً معيناً واسماً خاصاً، بل أخذ يتمثلها على طريقته الخاصة؛ فجعل من بعضها أصدقاء أوفياء، ومن البعض الآخر أعداء ألداء. فهو لا يعرف أشكالها وأماكنها، وأخذ يتصوّر الأشياء التي تدخل السرور إلى نفسها كما عرف ما يثيرها، وبالفعل بذلك جهوداً لكي يرتب أعماله على هذه النتائج.

وليس من شك في أن ما اعتبرناه هنا أساساً لنشأة الديانة لم يتكوّن إلا بين

البشر الشر عندما في مسرى وجميع حقاً. وعندما وصل بنو الإنسان إلى حضارة أكثر تقدماً اتخذت المعتقدات الدينية شكلاً فنياً وتركزت حول الصراع بين الخير والشر في حياتهم اليومية. فالإنسان لم يعد فقط أن يلتجأ إلى إله معين، بل أراد أن يوجد الإله مجبوراً إذا ما فكر فيه سعياً بنفسه فوق كل ما يحاذر الإنسان من المخاوف محتفظ في حياته اليومية. وقد دفعت الفنون البشرية الإنسان دائماً أن يخلق للقصة معبوداته أعطى لها أشكالاً مختلفة. وقد شجع في هذا المضمار شاعراً أو إلهاً.

إلا أن الآلهة الإغريقية وحدها هي التي شغلت عقله الآلهة؛ فرق الإنسان يمثل معبوداً سيداً على أن إله واحداً والجهاً يمثل معبوداً آخر على أنه عدة آلهة. لقد اختار المصري من معبوداته شكلاً محدداً ورأى في البطش الأخير أنها أشياء وجوانب غير محددة. وفي جانب الأمم يمثل الشك المعبود ما إلى الصين مثلاً والإنجليز هذا الشكل مع المستوى العالي التي وصلت إليه حضارة الصين في عصر مأخر وتكثر هذا من الأمثلة في حياتنا الحالية ما لا تختلف لها الشرائع. فالحق أنه يمثل بعض الأشياء التي في واقع الأمر تمثلاً صدورنا المعبودات والرموز وتختار شكلها الأولي أشياء نفسية وأصبحت تعتبر من بين الرموز المقدسة في عقيدتنا.

إلى الواقع لقد جرت في العبادات أشكالاً مختلفة تنم عن رموز تتركز حولها حياة الناس بها. ويجب ملاحظة كذلك من الواجب أن نبرزها لسبب واحد، هو أن بعض الناس يلجؤون المصريين لتقديسهم بعض الآلهة التي رمزوا لها بأشكال غريبة تواتوها منذ القدم وحافظوا عليها بأمانة كبيرة. ليس لأنهم وجدوا فيها عمالاً، بل لأنها الأشكال التي قدسها أجدادهم.

وعندما أتى شعب ليقيم بيئة البلاد التي يسكنها والحياة التي يحياها. فبيئة الإنسان الذي يسكن شواطئ البحار تختلف كل الاختلاف عن بيئة ذلك الذي يسكن الغابة أو السهل. وليس من شك في أن الشعب الذي يعيش مستقراً في حقوله الخصبة يفكر في آلهة تختلف في كنهها عن تلك التي يتخيلها شعب فقير

يتطلع إلى مكان وأنهم لا يعرفون الاستقرار، ولا يستطيع إلا الكفاح. ومن هنا ابتدعت الديانة المصرية لنفسها طابعاً خاصاً يتفق مع الحياة الهادئة والمعالم المستقرة التي تحتضنه البيئة التي يعيش فيها المصري الذي تعود أن يزرع حقوله ويجني غلاتها بالتأني، ويرى نيله يفيض كل عام على حقوله ليترك فيه الطمي الذي يثمر الأرض خصوبة وحياة. وبجانب ذلك حرمت مصر ظاهرة أخرى اتخذت أبرز مكانتها: وهذه الظاهرة هي الشمس التي تشرق فجأة من وراء جبال الصحراء الشرقي كانت تعتبر بمثابة المسيح لشعب مصر فتبعثه في أيام الشتاء قارصة، وتدفئه فيها كانت تأتيه بحرارة الصيف المحرقة. كذلك لاحظ المصري النجوم التي تملأ تلك الفضاء اللانهائي أثناء الليل وهي تبدو أقدار الذين يقضون يوماً بعد يوم ثم لا يلبث أن يختفي ثم يعود إلى الظهور فيزداد جسمه حتى يكتمل. وكانت تنتاب مصر من حين لآخر بعض العواصف الشديدة مصحوبة بالصواعق كما هو الملاحظ الآن، تشرعد السماء وتبرق، وتنساب السحب في سرعة خاطفة، ويبدو الشمس من بينها كما لو كانت هناك معركة عنيفة تحدث بين مخلوقات غريبة في السماء. ولم يكن من السهل ألا تثير كل هذه الأشياء اهتمام المصري في ذلك الوقت، فمعتقد أن كل هذه الكائنات ليست إلا آلهة أخرى، بل هي أكبر الآلهة التي تهيمن على العالم، وهنا تساءل المصري: أيمكن بهذه الآلهة الكثيرة التي تحيا في السماء والتي تهيمن على العالم أن تعني بأمر حياة البشر كل فرد على حدة؟ ويجب ألا نعجب لهذا السؤال، فكثيراً ما يساورنا منه فيما يتعلق بالديانات الأخرى. وتساءل المصري أيضاً: هل في استطاعته أن يلجأ إلى إله الشمس أو إلى إلهة السماء إذا ما دهمه الخطر أو إذا مرضت إحدى بقراته؟ ورأى أن هذه الآلهة بعيدة عنه كل البعد وأن من الأفضل لديه أن يلجأ إلى آلهة أخرى أقل من تلك شأناً لتساعده، وفقد وجد ضالته بسهولة. فالمصري أوجد كثيراً من الأشياء في كل مكان وتحيط به في كل ساعة، من خصائصها إما أن تدخل الرعب في قلبه، أو تأخذه بجمالها. فكانت هناك الحيوانات التي تسكن نيله الفياض أو أرضه أو الصحراء التي تحيط بمصر: فمثلاً هناك التمساح والثعبان والأسد؛ كما كانت تنبت على حدود الصحراء أشجار

ترجع إلى العصور الأولى التي لا يتذكرها ولا يعرف عنها أي إنسان متى زرعت
أو من أين جيء بها إلى أوطان كثيرة من الأحجار لها أشكال هندسية غريبة لا
يمكن أن تتم إلا على أنها تحوي قوى سحرية تدعو إلى القلق. هذه الكائنات
التي ظلت عشرات بعشرات من السنين تلك التي لم يستطع أن يحطمها إلا ما
أصاب بعد هذا أبنائها، لم تكن تعلم نفسها إلا ما أثبتت معاصرتها.

وهكذا نجد من هذه المعتقدات عند آلهة استطاعت الإنسان وتحيت نجوماً عالماً في
سماء الوجود، ولم تهبط لم تستمر في معتقداتها عندما إلى مقدرة تلك الآلهة العظمى
التي تسكن السماء. وتعلق الإنسان بهذه الآلهة الصغرى وتأثرت بها حياة الأسرة
سواء في القرية أو في الإقليم. ولكن المعتقدات الدينية يمكن أن تشبهها
بالأوراق الخضراء، لو أن تقديس بعض هذه الآلهة المحلية انتشر بين الناس في
أماكن بعيدة عن موطنها الأصلي، ولا غرابة في ذلك العصر لا نشبه في خيرتها
أي عصر آخر، إذ أن في الاستطاعة اعتبار هذه البلاد من أقصاها إلى أقصاها بسفينة
صغيرة تجوب النيل دون أي عائق. وإذا لم تساعد الظروف هذا أو ذاك المعبود من أن
يخرج من موطنه فقد كانت هناك بعض المعتقدات والأفكار الدينية تنتقل من موطنها
وتنتشر في المواطن الأخرى، وهكذا نشأت في مصر كثير لا ينسى من معتقدات
دينية تزايدت أقدارها وتعددت مذاهبها، فهناك من الآلهة ما عبد في موطن
واحد، والعكس صحيح في مواطن مختلفة. كما كانت هناك آلهة اختلفت أوصافها
واختلفت في شمائلها، وكذلك آلهة اتحدت في اسمها واتخذت أشكالاً مختلفة
ليس في استطاعتنا في كثير من الأسباب التي دفعت المصري إلى هذا الاختلاف
واختلافات في شتى عقائده. ومن الغريب أن الآلهة العظمى لم تنج من هذا
التحول حتى إن كل مصري رأى في الشمس والقمر والسماء ما يرمز إلى آلهة
عظمى، فكل في بلد مثل مصر أبيها اعتقادها كما تخيلها زميله الذي يسكن
مقاطعة غير مقصية بعيدة عن مقاطعته. وسوف نتحدث فيما بعد عن هذه الظاهرة،
ونذكر هنا على سبيل المثال أنه هناك عقيدة صورت إلهاً على هيئة الصقر
يسكن السماء عينه هما الشمس والقمر؛ بينما هناك عقيدة أخرى صورت الشمس
والقمر كعينين يتحولان في السماء داخل قارب كبير. وهكذا انتشرت مثل هذه

المختلفة في طول البلاد وعرضها، ولقد ساعد على انتشارها ما وضع عنها من أناشيد وأشعار. ولقد توطنت بعض هذه العقائد في أماكن ليس بينها وبين موطنها الأصلي أية صلة، ومن الغريب أنها - أي هذه المعتقدات - عاشت واستقرت بجانب العقائد المحلية المتوارثة دون أن يشعر أهل هذا المكان بأي تناقض بينهما. وفي آخر الأمر تكوّنت في البلاد، عقيدة واحدة يمكن أن نسميها العقيدة المصرية، وقد حوت خليطاً غير متناسق بين أقل ما أنتجه العقل المصري من صور مختلفة لمجموعة معبوداته، ولو أن من المتناقض ما احتفظ أهله بعقيدة معينة وتمسكوا بها لسبب أنها هي العقيدة التي توارثوها عن أسلافهم القدماء.

ولعل الأحداث التاريخية هي التي جمعت هذا الخضم المتناقض من المعتقدات وأضفت عليه الشكل النهائي. وليس من شك في أن الدويلة المصرية قد تأثرت كثيراً بظهور بعض الدويلات الصغيرة في جو، من أجزاء مصر، وأعني بالدويلة تلك المقاطعة التي تتكوّن في العادة من مدينة كبيرة مضافاً إليها ما يحيط بها من أراضٍ واسعة، فيصبح إله هذه المدينة هو الإله الأول للمقاطعة، كما يرى فيه عبّاده ما يجعله في مستوى يعلو كثيراً عن معبودات المقاطعات الأخرى. وهكذا يكون في مصر نوع من الآلهة الكبرى يمكن أن نسميها آلهة المقاطعات تختلف عن غيرها من المعبودات بتسميتها منسوبة إلى المدن التي نشأت فيها. ونضرب لذلك مثلاً الإله «ست» الذي سمى «رب أمبوس» أو «ذلك الذي من أمبوس»، ومعنى ذلك أنه قد تكوّنت بين الآلهة ما يشبه طبقة الأرستقراطية.

ومرّت السنون وتقدمت مصر نحو الاتحاد، وتكوّنت من مقاطعاتها المختلفة دولتان كبيرتان: إحداهما في الدلتا والأخرى في صعيدها. وحدث ذلك حوالي القرن الأربعين قبل الميلاد، بيد أن المصري نفسه لم يستطع تخيل ذلك العصر (عصر الدولتين) إلا بصورة مضطربة غير ثابتة، ولو أنه في الوقت نفسه احتفظ بالشكل الخارجي لهذا التقسيم ولم ينسَ مطلقاً أن يسمي مصر «الأرضين» وأن ملك مصر يجمع في شخصه بين سلطتين مزدوجتين. ومن المرجح أن هذين البلدين تقاتلا، وهناك نصّ قديم يذكر ما كان من حروب

بينهما، ولذلك فيما استطعت به الدينة عن هذه العصور السحيقة الموغلة في القدم ما يشبه ما وقع من نزاع بين المملكتين. وكان لكل من المملكتين آلهته التي تحميه، وتأمره بشهر الحروب ثم نهايتها، ولو أنه في واقع الأمر لم تختلف الفرقة بينهما. ولا بد أن تكون تلك الحروب بين المملكتين هي التي دفعت الإله حورس، حامي مصر السفلى أن يمثل في جميع البلاد كرمز الملكية. ويجدر بنا أن نذكر هنا أن المعتقدات لا تشبه سوى جهلنا بها. لأننا إذا ما حاولنا أن نتعمق تلوح لنا الشقة، ونتحاول حتى أقل حال في العصور الآتية شرح ما تبيننا من معرفته

قبل أن نبدأ بالحديث المفصل عن هذه المعتقدات ينبغي لنا أن نعرض بعض الفكرة التي تعتبر من أهم الأسس لتفهم الديانة المصرية القديمة. لقد عالجت الإشارة إلى نوع الحيوان الذي حوض المصريون في كثير من الأحوال أن يرمز به لبعض آلهته وكثيراً ما اختار بعض الحيوانات المفزعة مثل التمساح والثعبان. كما اختار أحياناً بعض الحيوانات الشائعة مثل القيس والثور والبقر من أنواعه. وأكثر ما اختار أنواعاً أخرى من الحيوانات شعلت تفكير الرجل الساذج بحوادثها وأعمالها كالصقر الذي يسلك ليلاً من الصحراء متجهاً نحو الأماكن التي تحتاجها المصري لتقل موتاه. واعتقد عباد هذه الحيوانات أنها تحوي شيئاً إلهياً في نفسها، بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر فإنه يختار حيواناً أو رمز بعض حيواناتها إلى ما لهذا الإله من صفات. ولكن من المعروف أن الإله لا يكون مجسداً في كل بقرة أو في كل تمساح، وبرغم كل الاحترام الذي يحيط به المتعبد تلك الحيوانات فإنه يمكن أن يأتي يوم يذبح فيه البقرة ويقتل التمساح ولا يعد في هذا عملاً إجرامياً. وفي بعض الأحيان تحتفظ مدينة ما بنوع واحد من هذه الحيوانات كممثل لإلهها، معتقدة أن جزءاً من الشخصية الإلهية تسكن فيه بصورة مستمرة. كما أن الإله يختار عادة مسكناً آخر له. فهو يسكن بيته في معبده حيث يحفظ تمثاله المقدس الذي تنزل عليه روح الإله. والذي يمثله في شكل حيوان أو آدمي. ويجدر أيضاً أن التقديس لا يوجه نحو

تعتاد للإلهة. إن محور أي شيء آخر غير الحصاد تكون قداسته قد أكسبها السبب من الأساس.

وسيظل الناس على تساؤل الآلهة في محاريبها عما وهبات إليهم في أزمانها المناسبة لا أسبب سوى تقديمها وأن يحرم عليهم أن يتناولوها بأي تغيير. وإلى حدث بالنسبة إلى بعض الآلهة أن اضطروا إلى ابتداع طريقة جديدة في تمثيلها، فبدلاً من الصور الحيوانية البحتة ظهرت الصور التي أضيفت أدمية. وكان ذلك مشروع المحدود فعلاً. أم يتزلوا من الإله إذ يحب ويكره ويحقد ويحقد ويحسد ويأسف؟ فمن الواجب أن يظهر الإله نبيلاً على هيئة آدمي. فأن هذه الأوصاف لا يمكن أن تنطبق على تصميم أم البشر أو حاشر. ولكن في الوقت نفسه كانت هناك آلاف الروابط التي تربطهم بالإبقاء على التقليد القديم ذي الطابع الحيواني. فاختاروا الوسط بين الحالتين. فأعطوا الإله جسماً آدمياً حتى يستطيع التقبيل والإعطاء والحماية واحتفظوا له برأس الحيوان. حقيقة بقي محمد، وخروم على هيئة الصقر والكبش ولكنهما على ذلك استطاعا أن يقوما بكل الأعمال الأدمية إشباعاً لرغبة المؤمنين بهما. إذ من الصعب حقاً بأية مهمة استطاع المصريون أن يوجدوا هذا المزج بين الإنسان والحيوان إلى حد لا نرى نحن فيه أي تناقض!!.

وهناك تغيير أكثر أهمية مما يتصل بمظهر الآلهة الخارجي، هو ما طرأ على هذه الآلهة من أوصاف. وسبب ذلك أن بعض الآلهة مدوا سلطانهم خارج حدودهم الأصلية. ومن ثم أصبح لزاماً ألا يكتفي المتعبدون بما كان لهم من أوصاف كآلهة محلية في المقاطعات. فاتجهوا إلى أن يكسبوا معبوداتهم أوصافاً على نطاق أوسع بأن جعلوهم متصلين بالزراعة والحرف والحروب والتناسل وبعد الموتى. بل أكثر من هذا طمع كل إله في أن تصبح له صلة فعالة في حكم الطبيعة فيما يتصل بالسماء والأرض والنماء والتحسين والقهر. وتمادوا في ذلك إلى درجة أنه لم يصبح هناك إله ليست له صلة بالنسبة إلى غيابه على الأقل بعض هذه القوى الطبيعية. وفضل المصري أن يجعل إلهة أنثى هي بنت السماء، وإلهاً

ذكراً كرمز للشمس أو للقمر دون أن يلاحظ أن هناك آلهة أخرى اعتبرت كتجلٍّ لهذه القوى الطبيعية، كما لم يفلته أن يسند لأحد هذه الآلهة التي سبق ذكرها [illegible] هو صانع البشر فقط، بل كان أيضاً [illegible] يعني صانع الكون. والذي أوحى للمصري أن يوجد تناسقاً بين هذه المهام المختلفة.

[illegible] في المصريين أنهم مصرون أن يعيشوا حياة [illegible] من الشعب قد عانى من الحروب والمجاعات التي عرفها المصريون [illegible] أحدى المصائب التي حلت بالشعب ولم يهتم بها كثيراً [illegible] ولم يعطش المصري [illegible] في الشعوب الأخرى، ولذلك بقيت [illegible] وأيضاً [illegible] من الطقوس [illegible] ولا طقوس معروف في الشعوب أو الديانات[1]. ولذلك [illegible] والملابس والحلى، ويشيدون له مسكناً يحرصون على نظافته يشيع فيه عبق البخور. وكان الاله يستمتع بكل هذا فيعوض القائمين على شئونه عن كل هذه الأعمال.

[illegible] الطقوس البسيطة والكمال، ولكنها تضاعفت بمرور الزمن حتى وصلت في آخر الأمر إلى أبعد الحدود. ونتج عن ذلك أن أضيفت إلى طقوس الديانة المصرية وما يحيط بها من خرافات وعادات مختلفة الكثير من المعتقدات التي اتجهت بأن تلبث الديانة المصرية رأساً على عقب.

---

(١) [illegible] لم تزر إلا مرة واحدة في النصوص المصرية القديمة التي تحكي، وذلك في مقبرة أحد النباط.

[illegible] صريحة يعبرون بها في لغتهم عن هذا الشعور

[illegible] على أية حال فإنها لم تلعب أي دور في العادات المصرية

وقد ضمت «البدع» الدينية دورها المهم في صميم ديانة المصريين بصفة خاصة. ولو أننا لا نعرف مدى تأثير الديانة بهذه البدع إلا أننا نعرف تماماً أنها أوجدت أرباباً جديدة من الآلهة، فمثلاً اختاروا الطائر إبس (أبي منجل) ليرمز إلى إله القمر، كما جعلوا إله القمر هو الإله العالم كاتب الآلهة.

إن الصورة التي حاولنا رسمها لتطور الديانة المصرية هي بعينها الصورة التي يمكن رسمها لتطور أية دين من أديان الشعوب. فالخطوط الرئيسية لديانة مصر تتحول وتتشكل منذ دام فيها عرق يبقى في قلوب الشعب وتتشبث بالديانات القديمة في عدم استطاعتها التخلي عما وصل إليها من تقاليد قديمة، بل أكثر هذه الديانات تقدماً وتطوراً لم تستطع التحرر من معتقدات وتصورات قديمة، إذ أن الزمن وحده هو الذي أكسب هذه المعتقدات قداستها، وأصبح المؤمنون بها لا يعدلون عنها في التعلق بأهدابها. وليس من شك في أن الديانة المصرية امتازت بين الديانات القديمة في الجمع بين الحديث والقديم

١ ـ الصقر المقدس

ونحن نلاحظ بإعجاب كيف استطاع هذا الشعب أن يجمع بمهارة فائقة ويوفق بين الحديث والقديم والغارق في القدم، واستطاع أيضاً أن يصل إلى هذه هذا بأن أكسب هذه العقائد القديمة قداستها دون أن يستعمل العقل في مناقشتها. ويجدر بنا هنا أن نذكر أن أولئك الذين أقدموا على هذا التوفيق كانوا علماء الكهنة المتفقهين الذين عرفوا كل شيء وفهموا كل شيء. واستطاعوا أن يحافظوا على معتقدات شعبهم طوال آلاف السنين كما حرصوا على الإبقاء على ما وصل إليهم من أجدادهم. وكان من الطبيعي على شعب زراعي مثل الشعب المصري أن يتمسك بكل هذه العقائد، ولكن الإبقاء عليها بكل ما تحويه من

بأن يخترع الكتابة في أول عصوره، وبذلك اكتسب مركزاً مميزه عن الشعوب الأخرى، ولكنه دفع لذلك ثمناً غالياً. إن كل مرحلة من مراحل تاريخه الطويل قد انتجت له معتقدات دينية جديدة عاشت بجانب القديمة دون أن تؤثر عليها. ولا غرابة في ذلك فالقديم محفوظ في مدوناته وكتبه كتراث مقدس إذا سببت بعض الظروف أن يتوارى في الظلام، فان ذلك لم يكن إلا فترة قصيرة لا يلبث بعدها أن يظهر ويأخذ مكانه اللائق بين المعتقدات الجديدة. وحتى بعض المعتقدات القديمة التي لم يذكر عنها سوى ما دوّن على بعض الأوراق البردية المحفوظة في متحفات بعض العواصم ذات السبق فيها البحث مرة أخرى فتظهر بعض الصور وبعض الآلهة التي كانت قد عفا عليها الزمن في فترات التاريخ المصري تقسم إلى تلك الخليط الكثير من المعتقدات الدينية أجزاء أخرى. لذا تكمن أهمية هذه الفترة (يمكن أن يقال) أنها تخرج لنا الكثير من صور الديانة المصرية في عهودها. ويعتبر التقسيم المعروف عن الشعوب الأخرى بأنه المجموعة البشرية التي ترجع في الغالب من الأحوال إلى أصل معين، ثم تأثرت بعوامل الزمن حتى العصر الروماني، وامتازت بعض هذه المجموعات بخصائص معينة على أساس أنها «الخصائص الإلهية التي «تحوت» نفسه رب الحكمة. ومن المؤسف أن المصريين لم يستطيعوا أن يحتفظوا لنا تماماً بقصتنا تلك إلى عهد ما واعتماداً على كتابة المقصية التي تقترحها تبرأساً لنا يحدد الكمالات المطلقة للبشر. ومن أجل ذلك لم يكن الدين المصري في يوم من الأيام ذا صبغة موحدة ولم يتصف هذا الدين بصفة العقيدة ذات الأصول الثابتة؛ كما أنه لم يتحول في يوم من الأيام إلى الحكمة، أو الرسل أن يرجع إلى هذه الديانة أو أن يفهم أصولها

لقد تحدثنا في أول هذا الفصل عن المعتقدات التي سادت الطبقة الوسطى عند المصريين، وأنها تكونت من عناصر مختلفة كل منها يمت إلى منطقة خاصة

وايم الحق إن مهمتنا هذه لا تعتبر سهلة؛ إذ أن ما خلفه لنا المصريون من مدونات هائلة العدد، سواء على جدران معابدهم أو مقابرهم أو على صفحات أوراق البردي والتي ترجع إلى جميع عصورهم المختلفة قد اختلطت وأصبح من الصعب عليك أن تعرف القديم منها، بل مما حفظ من وثائق كتبت في العصر الروماني، ما حفظ لنا معتقدات ترجع إلى العصور الأولى مما لم تتح لنا الفرصة أن نعثر عليها مكتوبة على وثائق أخرى. ومن أجل ذلك سوف تصبح الصورة مشوهة للعبادة المصرية إذا تحرجنا ونظرنا بعين الحذر إلى كل وثيقة وصلت إلينا من عصر من العصور المتأخرة. لهذا فلا مناص لنا من أن نستعمل هذه الوثائق ولكن بحذر على أننا في الوقت نفسه لن نستطيع أن نستخلص منها الصورة الواضحة للمعتقدات المصرية في عصور التاريخ الأولى وإنما سوف نصل إلى العقائد المبهمة التي كانت تسود مصر في عصر الدولة الوسطى، أي حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م أجل إذا أتيح لنا أن نستجوب مصرياً من مصريي عصر الدولة الوسطى فيما وصلنا إلى معرفته من ديانته لتعرف على القليل منها، ورأى في البعض الآخر بعض ما كان أجداده يقدسونه. ومن المؤكد أنه سوف يفقد الكثير مما كان يقدسه أو يهز رأسه عجباً لما قد وصلنا إلى معرفته مختلفين ولكنه في آخر الأمر سوف يرى فيما نقوله بعض ما كان يقدسه أو يعتقد فيه.

* * *

الفصل الثاني

العالم وآلهته

[illegible] أن يفكر في شيء لا يدركه ولا يستطيع فهم [illegible] لا يستعين في تفكيره بالمنطق بل يعتمد على الخيال. فمثلاً نراه لا يحاول أن يبحث مطلقاً في طبيعة السماء وما تحتويه الأرض، بل يعتمد بخياله من تلقاء نفسه أن يتصور السماء بشيء مما تعوده هي جثته دون أن يتساءل عما إذا كان من الممكن أن تتوسد رجلها. فهو يشبه السماء بالبقرة، وفي ذلك لم يفكر مطلقاً أن يختبر هذه المقارنة تجريبياً دقيقاً، بمعنى أنه لا يتساءل إذا كانت السماء تشبه ظهر البقرة، فأين الشعر الذي يكسوها، وأين الثدي، وأين مكان أرجلها الأربع بل أكثر من ذلك بعد أن هذا التشبيه قد ثبتت أقدامه في اللغة وتعوده الشعب، ومن ثم فقده الفن وأصبح الفنان لا يحاول رسم السماء إلا على أنها بقرة جميلة دون أن يفكر في حقيقة هذا الفضاء اللانهائي الذي يبدو للرائي كقبة عظيمة؛ وبهذا أصبح من المستحيل التحدث عن السماء على أنها بقرة، بل ورسمت باستمرار على هذا الشكل، وتعودت عقول البسطاء السذج على هذا التمثيل سواء في اللغة أو في الفن، واعتقدوا بالفعل أن السماء هي البقرة دون إن يحاولوا السؤال عن الشعر الذي يغطي بطن البقرة، وعن مكان الثدي. ولم هذا التساؤل؟ ما دامت المقارنة قد أعجبته، وما دامت البقرة تعتبر من أجمل الحيوانات التي يحبها المصري

وهكذا أتاح نظرية المصري وغريزته الفنية على تصوراته الأخرى التي

تخيلها عن العالم وعن الآلهة التي تسكنه، ويوحيا المثل الذي أوردناه فيما سبق إلى أي حيز تشبث الشعب المصري بهذه التصورات. وإذا حدث أن تخيل أحد مصر صورة أخرى للسماء فمثلوها على هيئة امرأة قد انحنت فوق الأرض فإنهم يعطونها رأس بقرة، أو على الأقل يزينون رأسها الآدمي بقرون بقرة. هذه هي بقرة السماء (حاتحور).

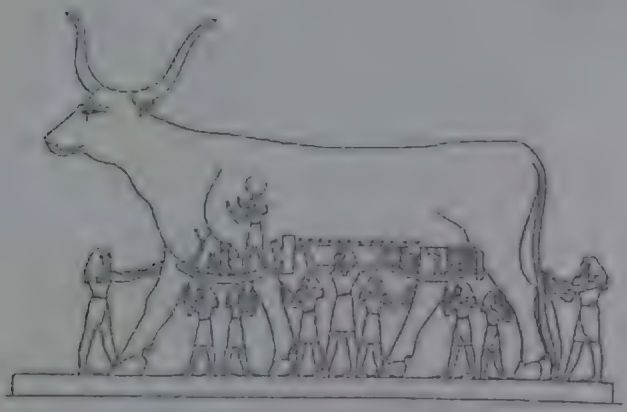

٢ ـ السماء على هيئة بقرة يمسكها إله الهواء «شو» وآلهة أخرى.
وعلى بطنها النجوم وسفينة الشمس (مقبرة سيتي الأول).

وإذا كانت الصورتان اللتان تخيلهما المصري للسماء لهما صفة الأنوثة فقد تخيل الأرض على أنها ذكر، ويرجع السبب في ذلك إلى أن كلمة السماء في اللغة مؤنثة وكلمة الأرض مذكرة. وصور إنه الأرض «جب» مستلقياً على بطنه وقد نبتت الحزروعات فوق ظهره. أما المرأة التي تنحني فوق إلهة السماء «نوت» فقد اعتبرها زوجته[١]. وأما الفضاء الذي يفصل بين الإلهين فهو الإله «شو» وتعني الكلمة في اللغة «الفضاء» وقد صورته اللغة واقفاً على آله رجل يقف فوق الأرض ويسند بيديه إلهة أو بقرة السماء[٢].

---

(١) قارن Pyr 316.

(٢) Pyr 1471.

٣ ـ السماء على هيئة امرأة يحملها «شو» وعليها الشمس على هيئة جعل أو قرص (مقبرة رمسيس الرابع).

[illegible] تخيلات المصري أنها بوساطة السفن فوق سطح نيله الفياض. [illegible] تسير أيضاً كل الشمس والقمر والنجوم تتحرك في السماء فوق سفن، في هذه الحالة لا بد وأن تكون السماء بحراً خضماً «هي الماء البارد» أو «البحر [illegible] في [illegible] تحت حضر الإلهة «نوت»[1]. وهكذا نرى كيف انسجمت هذه التصورات بعضها مع البعض الآخر. وإذا كانت السماء عبارة عن بحر كبير فقد يجب في الوقت نفسه في خيال المصري هي بطن البقرة أو بطن الإلهية. أما المطر فكان يأتي بطبيعة الحال من تلك «المياه العليا» الموجودة في السماء»[2].

وهناك تصور آخر للسماء يمت إلى العصور الحديثة ويتخيل المصري فيه السماء قائمة فوق أربعة جبال كل جبل منها يقع في ركن من أركان العالم الأربعة. وأحياناً يتصورونها محمولة على أربعة أعمدة[3] أو على أربع قوائم، بينما توجد الأرض مستلقية على ظهرها[4].

---

(1) Pyr. 802 [illegible]

(2) Pyr. 2061, 1146 [illegible] تفسر أخر للمطر في Pyr. 2065 على أنه البول الذي تبوله كل من الإلهة «تف نوت» والإله «شو».

(3) Pyr. 1043 [illegible]

(4) [illegible] Pyr. [illegible] 347 § 5 وردت أيضاً في قصة الفلاح.

أما الأرض فقد صوّرها وقد أحاط بها محيط كبير «الدائرة الكبرى»[1]. قسّم الأرض إلى قسمين : أحدهما جدب «الأرض الحمراء» حيث يمكن تشبيه المتوحشين الذين يعيشون على الأعطار؛ أما القسم الثاني فهي «الأرض المزروعة» وفي هذا القسم لم يغفل المصري أن يضع أرضاً سوداء غير أنه جعل مركز الأهمية يأتي بعدها الآلهة جلبة الماعز «التي يجلب الخير للناس» ، اعتقد أن فيضانه يأتي إليه من الدنيا السفلى فمصدره «من الماء الحي الموجود في الأعماق»[2] وينبع من فتحتين موقعهما بين صخور الشلال الأول.

يبدو أن المصري إذا كان قد أفسح المجال للتعبد بنهر النيل، فقد فعل ذلك في الأصحوة السنوية والتي تهيمن على حياته[3] ، فربما إذا كان قد ألّهه وجعله واحداً من بين آلهته العظمى، ومع ذلك عومل النيل معاملة اخرى. فلو أنهم اعتادوا تقديم القرابين له وتأليف الأناشيد لتمجيده إلا أنهم لم يضعوه في ذلك المستوى الذي وضعوا فيه آلهتهم الأخرى، وإذا كان قد لقب في بعض أناشيدهم «بأبي الآلهة» فإن هذا اللقب قد استعاره من الإله «نون» ربّ الماء الأزلي. والسبب في ذلك أنه ذكر في نصّ من النصوص الدينية على أنه ينبع من هذه المياه. ومن بين الأناشيد التي دبجها المصري في وصف النيل[4]: «هو الذي يذهب في وقته ويأتي في وقته، الذي يحضر المآكل والمذبح، هو الذي يأتي بين الأفراح، المحبوب جداً، ربّ الماء الذي يجلب الخضرة. يتغنى الناس في خدمته ويحترمه الآلهة. هو إنّه صغير خلقه «رع» من أحسن عناصره.

وفي مكان آخر قالوا عن النيل وقد أعطوه بعض صفات أوزيريس ما يأتي[4]: «كل من يرى النيل في فيضانه تدب الرعشة في أوصاله، أما الحقول

---

(١) راجع مدينة هابو (W. B. 423, 487).

(٢) Pyr. 2063.

(٣) Lacau, Testes religieux XIX (p. 44,45).

(٤) Pyr. 1553.

... تضحك، وأما الشواطىء فتكسوها الخضرة، وتتساقط هدايا هذا الإله وتعلو الفرحة وجوه البشر، أما ثوب الآلهة فتخفق من السعادة».

وفي التعريف أن النيل قد تبوأ بين الآلهة منصب الخادم لهم، فصوروه على جدران المعابد بزي البحار أو عباد السمك على هيئة بشر نصفه أبيض والنصف الآخر ذكر يقدم منتجاته إلى الآلهة الكبرى[1].

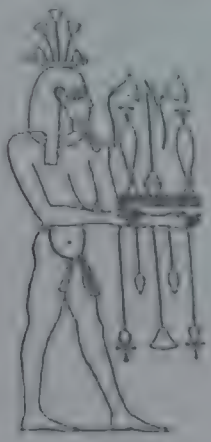

(١) = النيل.

وهناك قسم ثالث للعالم غير السماء والأرض وهو الدنيا السفلى حيث يخيم الظلام وحيث يعيش الموتى، وسوف نصور في الفصل الرابع عشر الخيالات المختلفة التي دبجتها عقول المصريين عن هذا العالم. ونكتفي هنا بأن نذكر كيف أن المصري لم يرَ في الدنيا السفلى العالم الذي يسكنه الموتى فقط، بل رأى فيه المكان الذي تغيب فيه الشمس في المساء وتعبره طوال الليل لتشرق من الشرق في الصباح التالي، ومعنى ذلك أن هذا العالم السفلي لا بد له من نهر عظيم تجتازه سفينة الشمس كما تجتاز السماء، وفي آخر الأمر رأى

---

(١) أنظر صورة رائعة لنوت وقلبان كبيران ولست أدري السبب في تصويره على هذا الشكل.

المصري في الفجر السفلي حيث أخرى تعاطي سماء الأرض وأنها تختار بالظلام «تصعد إلى السماء وتنزل إلى السماء السفلي» قائلا قائلا بالنسبة لهم تحركات الشمس[1].

وبطبيعة الحال كانت الشمس هي أهم ما استرعى نظر المصري القديم في السماء. فعرف الإله «رع» أهل مصر في الشمال والجنوب، فتخيلوها ذلك القرص الأحمر المتوهج الذي يجوب السماء في قاربه، ومن ثم لقب القرن رعا بحار به خلال السماء في خيال خصب دور المهم في تصوره هذا الإله على أشكال مختلفة. فمرة صوروه على شكل جعل عظيم «حور رع» وهو يدفع قرص الشمس أمامه فوق صفحة السماء تماماً كما يفعل زميله السابق يحيا فوق الأرض عندما يدفع كرة الروث أمامه. ومرة أخرى تخيل الشمس على هيئة عجل ذهبي تلده أمه بقرة السماء في الصباح[2]، وينمو أثناء النهار حتى يصبح ثوراً سيجوه «المانيفيس ثور أبيه لأنه يلقح أمه البقرة حتى تلد في اليوم التالي شمساً جديدة أما في الأحوال التي تخيل فيها السماء كامرأة فهنا نجده يتحدث عن طفلها الشمس الذي ينمو أثناء النهار ويصير رجلاً كهلاً في المساء ويختفي في الدنيا السفلى. وتصور الشمس في شكلها النهائي كإله له جسم الإنسان، وسموه «آتوم» الذي يعبد في «هليوبوليس» بينما رأوا في الجعل «خبر» رمز الصباح، ومعنى ذلك أن المصري ميز بين شمس الصباح «خبر» وشمس الظهر «رع» وشمس الغروب «آتوم»[3].

٥ ـ سفينة الشمس وقد حلق على مقدمتها سحاة

---

(١) Pyr. 149.

(٢) Pyr. 1029.

(٣) ويمكننا أن نقول أن كلمة «رع» في الأصل أطلقت على النجم نفسه، بينما «آتوم» و«خبر»

٢٠ سفينة الشمس، وهي المكان الذي يحكم منه العالم، حيث يجلس الإله على عرشه في مقصورة ويقف أمامه وزيره «تحوت» ويتخذ الإله رأس كبش على نحو ما يتخذ في رحلته الليلية في العالم السفلي (عن معبد دير المدينة II. D. III. 18)

وإذا استبعدنا هذين ما تقدم صوراً أخرى للشمس، فتخيلها على هيئة الصقر، أي إله له رأس الصقر هو «حوريس» الذي يحمي اسمه «البعيد» لأن إله الشمس «بعيد عن الأبعد»[1] فهو يطل على الأبعد وليس هناك إله يطل عليه[2]. واعتقد المصريون في أول الأمر أن الإله حوريس هو حاكم السماء، له عينان متوهجتان إحداهما الشمس والأخرى القمر.

وما دام المصري قد تخيل الجعل وهو يدب فوق سطح السماء، ويوقوف فوق الفلك بحسبانه، فإنه من الواجب أن يكون لإله الشمس الذي على شكل ذهبي قارب يسبح فيه فوق سطح محيط السماء[3]، وبالفعل كان له قارب جميل

---

(١) «حوريس في أسماء إله الشمس التي عرف أيضاً باسم «رع» (Pyr. 348, 1694) أو «البعيد» من حتر في الصباح ورع في الزوال وآتوم في المساء (Pap. Turin 133.10) فحمد مذكورة أيضاً في Pyr. 1665 ومن الغريب أن نجد في Pyr. 888 أن رع يشرق في الصباح وحور يغرب في المساء. فنرى أيضاً أنا في Urk. IV. 19.3 أنا في Urk. IV. 20 فنجد أن آتوم قد ذكر كشمس الصباح.

(١) Pyr. 1694.

(٢) Pyr. 1479.

(٣) وقد نجد أيضاً تعبيراً مجازياً غريباً فنجد هناك نص يتحدث عن الجعل وهو يركب القارب (Totb 15b).

صيغ من النصوص[1] على هيئة [illegible] ويقابل هذه الآلهة أيضاً[2]. تشريف جلوس سيد النجوم[3] ويصاحب الآلهة العظمى الشمس فيه[4] «إنه الإله العظيم ابن السماء» الذي يحكم العالم من قاربه هذا، ولا غرابة في ذلك فإن إله الشمس هو سيد الآلهة أجمعين[5].

ويعتقد المصري أن هناك تعباناً يقف حول قرص الشمس الذي يحميه [illegible] حتى يرأب هذا الثعبان هو العدو الخطر الذي يحول أشعة الشمس المباركة، وهو يعني الثعبان الذي يزين جبين الملك الأرض والذي يعرف باسم الصل، والذي اعتبر كرمز لأسمى ما وصلت إليه القوة.

أما الأعداء الذين يقابلهم الإله أثناء رحلته فهم بطبيعة الحال كثيرون، ولكنهم «رغم بعزق الصواعق ويبعد الأمطار ويفتت البرد»[6]. واعتبر الثعبان «أبي فيس» بأنه أشد أعداء الشمس قوة وخطراً، ومن أجل ذلك اعتبر رمزاً لكل مكروه دنيء[7]، وبطبيعة الحال لن تستطيع هذه الأعداء أن تمس الإله بمكروه، فالآلهة الأخرى تدافع عنه كما تصاحب القارب تلك السمكة التي تتبأ بما سيحدث والمسماة «ابدو»، فتسارع بتبليغ أصحاب القارب بدنو أحد الأعداء مد[8]، وتصل الشمس في المساء آمنة مطمئنة إلى الغرب فترحب بها إلهة الغرب التي تقف لاستقبالها عند سلسلة الجبال التي اعتقد المصري أنها بمثابة الحدود

---

(١) Pyr. 602.

(٢) Pyr. 1209.

(٣) فمثلاً راجع كتاب Pyr. 1209; Lacau, Textes religieux p. 13,65.

(٤) Pyr. 906.

(٥) ولقد ذكر بهذا الوصف في نصوص الأهرامات نفسها كما ذكره «باسفي» على لوحته سطر ٧٥ على أنه سيد النجوم.

(٦) Pyr, 500.

(٧) لم نعثر على ذلك في نصوص الأهرامات.

(٨) Totb. 15, A (Pap. Berlin, 3006, 5), Metternichstele 78 قارن

التي تفصل عالمه عن العالم السفلي[٧]. وعندئذ تترك الشمس قارب النهار
وتستقل قارب الليل وقد خيم عليها الظلام. وذلك لتبدأ رحلة الليل مخترق
العالم السفلي. وهناك يقضي رع للإله الكبير الذي يحكم هذا العالم العظيم
ثم يعبر الموتى الساكنين الذين يعيشون في تهوفهو والذين يحيون بقلوب
تملأها السعادة. الذين أقدامهم مشتاقين بأسمه شاكين لله نال أحزانهم. تتسع
عيونهم عند رؤيتهم له كما تدق قلوبهم فرحاً عند أول نظرة يلقونها عليه. أما هو
يستمع إلى جميع طلباتهم أولئك الذين يضطجعون في توابيتهم فيختفي من
الأحزان والكرب من عذابهم ويملأ أنوفهم بنسيم الحياة.

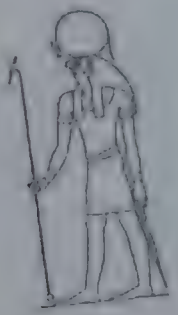

٧ ـ إله الشمس.

ولما كان نسيم الشمال الذي ينتشر في دنيا الأرض لا يصل إلى دنيا الموتى
المعاندين لذلك تصور المصري الموتى وقد تجمعوا حول الحبل المربوط في
مقدمة القارب يتحاولون على سحبه تماماً كما يحدث على الأرض عندما تقف

---

[٧] وتصور المصري في أثناء حضوره الشمس وقد خرجت في الصباح من فرج أمها إلهة
السماء، بينما تبتلعها في المساء. (راجع هذا المنظر ـ في الصورة التي عثر عليها حديثاً
معلقة إلهة السماء ـ في كتاب Frankfort - De Buck, The cenotaph of Seti I at. at
Abydos, vol II, pl. 81 (London 1933).

الرياح ويستحب المصريون سفنهم على سطح النيل[1]

وعندما يترك الإله في الصباح العالم السفلي فهو يغتسل أولاً في بحيرة «بارو»[2] حتى يزيل عن نفسه ذلك اللون القاتم الحالكهُ الذي اكتسبه أثناء الليل[3]، ويتقدم متحلياً «بملابسة الحمراء»[4] إلى باب السماء[5] ثم يظهر في ذلك السهل الجرافي المدعو «بش» ويهب كل الكائنات الحياة والسرور. وإذا كنا ملاحظ كيف تفسر الأسماك في الصباح وكيف تضرب الطيور أجنحتها عند استيقاظها عقد أرجع المصري ذلك إلى أن هذه المخلوقات تحيي إله الشمس وهذا هو السبب الذي يدعو القردة إلى الصياح عند شروق الشمس، فهم يرتلون الأناشيد تمجيداً لهذا الإله[6]، وكذلك البشر فهم يرفعون أيديهم إلى أعلى ويتجهون إلى الشمس قائلين[7]: «المجد لك أنت عندما تشرقين من الينبوع الذي يحيط بالسماء، لتنشري الضوء على مصر بشروقك. الشكر لك تلهج به ألسنة الآلهة أجمعين. . . أيها الطفل الجميل المحبوب الذي إذا ما أشرق دبت الحياة في

---

(١) وفي كتاب «في العالم السفلي» ذكرت تفصيلات كثيرة عن هذا سوف نشرحها في الفصل الرابع عشر، ويكفينا هنا أن نذكر نهاية هذه الرحلة التي تنتهي بدخول الشمس في فم ثعبان كبير ثم تخرج من فمه في الصباح على شكل الجعل.

(٢) Pur. 1421.

(٣) وقد لونت شمس الليل باللون الأحمر الذي يميل إلى الاصفرار على التوابيت التي ترجع إلى عصر الأسرة ٢٢ والمحفوظة في متحف برلين.

(٤) Pyr, 285.

(٥) Pyr, 526.

(٦) إن معلومات الفرح التي ذكرت عن السمك والطيور في الصباح الباكر وصلت إلينا مذكورة في وثيقة ترجع إلى العصر المتأخر، أما ما تقوم به القردة من تهليلات للشمس فقد بدت حيناً، في وثيقة قديمة، والدليل على ذلك أن القردة لم تعرف في البيئة المصرية إلا في العصور التي سبقت العصر التاريخي واختفت بعد ذلك.

(٧) كلمة «دوا» بمعنى يمجد ولا بد أنها كانت في الأصل تعني «التعبد في الصباح» هذا مع العلم أن الصباح عند المصريين كان بمثابة الفترة المقدسة للعالم.

البشر وتتمالون آلهة العاصمتين على رفعه. أما القردة فتلهج بشكره أيضاً كما تنطق
سبع الحيوانات على تقديسه. وبهذا تمسك بأعنانك، وتحمرك السعادة في
قرارة بيتك شرق قلوب رعاياك. أما أنا يا سيد الآلهة فقد ظهرت بشائر الفتح
على أن الآلهة قاطبة قد فرحت، وربة السماء تريد زرقتها وهي بجانبك»[1].

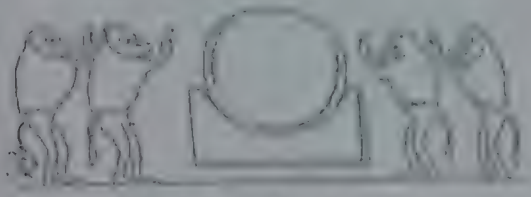

ما القردة تحمد الشمس (برلين ٧٣٤٥)

على هذا النحو تمثل المصريون عادة ما يحدث للشمس في كل يوم، وإن هناك صورة أخرى فيما نرجح في نشأتها إلى أقدم العصور. ومن الغريب أنها لا تختلف عن سابقتها إلا قليلاً مع تلك التي شرحناها فيما سبق. فهناك الصورة التي تخيلها المصري عن ولادة الشمس. فهي السماء تدخل فم إلهة السماء، ثم تمر خلاله لتولد حسماء، وتولد في الصباح[2]. كما أن هناك فكرة أخرى تقول بأن الشمس إذ ما اختفت في الغرب تظهر من جديد في الشرق، ولكن لكي تصل إلى هذا الشرق يجب عليها ـ حالها في ذلك حال كل مصري ـ أن تعبر النهر. ومن أجل ذلك كان يلزمها حزمتان من البوص لمساعدتها على العبور[3]. ومن الغريب أن المصري ولو أنه تخيل الشمس في حركة مستمرة بين الشرق والغرب، وبالعكس طوال النهار والليل، فإنه رأى أيضاً أن يجعل لها

---

(١) Totb. XV A, 11.

(٢) قارن كتاب «Rusch, Himmels - Göttin Nut, 44».
وكذلك مقبرة «زانوفر» في جبانة طيبة.

(٣) Pyr. 1103, 1984, 1985

مسكناً في جزء من أجزاء السماء وسماه «أخت» وتصوره أول الأمر تحزيرة وسط جو السماء وفيما بعد، فسره بالمكانين حيث تغرب وتشرق الشمس، ومن أجل ذلك اعتقدنا نحن إما عن خطأ أو صواب، أن نترجم هذه الكلمة بالأفق. وكتشبيهة لذلك سميت الشمس باسم «حور أختي» (حوريس الأفق) ومن ثم اعتبر هذا الإله واحداً من بين الآلهة الرئيسية وصور على شكل إله ذي رأس الصقر وحيد في هليوبوليس.

ويتحدثون في بعض الأحيان عن قصر خاص للشمس في السماء مكانه في حقول «إيارو»[1] أو في المنطقة الباردة[2]. ويطلقون على هذا القصر اسم «قاعة آتوم»[3] أو «دار حوريس»[4]، ويعتبرونه بمثابة قصر حاكم العالم تتردد عليه الآلهة لتتلقوا الأوامر كما يقمون فيه حيث تقدم لهم المآكل[5] ـ تماماً كما يحدث في بلاط ملك الأرض بالنسبة إلى رجالات الدولة. ويبقى علينا الآن أن نذكر صورة أخرى تخيلها المصري عن الشمس، وذلك بالنسبة إلى الاعتقاد القديم الذي يجعل من إله السماء معبوداً له عينان متقدتان[6]. ومن الغريب أن حوريس نفسه لم يذكر إلا نادراً على حين كثر الحديث عن «عينيه اللتين يحملهما ما في جبينه» وهما الشمس، وسميت عين الشمس، والقمر وسمي عين حوريس[7]، وغالى المصري في نسج الأقاصيص المختلفة عنهما، مع أنها لا تمت بصلة معقولة بهما، ولكن المصري تعلق بها وردّدها باطمئنان. وبطبيعة الحال ربط

---

(١) .Pyr. 1984

(٢) .Pyr, 1180, 2035

(٣) Pyr. 1984، وقارن عن قصر آتوم ما ورد في تردية Harris 1.4, 11.

(٤) .Pyr, 1026, 1027

(٥) .Pyr, 1026, 1027

(٦) وفي بعض الأحيان تصوروها على أنها إلهة للسماء لها عينان، قارن Pyr. 823.

(٧) ولقد حدث هنا أيضاً خلط كبير فذكر عن عين حوريس أشياء لا تتعلق بها، بينما فعلتها كثيرة بعين الشمس.

الحصول من هاتين العينين وتلك حين الإله الذي تصوروه المكافئ خطر لا
يجرق الهيكل. ولما كان خيال المصري قد تصور فيما سبق أن الثعبان الذي يعلو
جبين الإله (رع) يشير الفرعون[1] لذلك نجده قد ربط بين العينين وذلك
الثعبان. ثم ما دام هناك عينان إذاً يجب أن يكون هناك ثعبانان، وقالوا في
ذلك: «الإله له عينان هي عينا ثعبانين»[2]. ولكن الثعبان اعتبر عند المصري
بمثابة رمز الملكية، وبما أن الملك يضع على رأسه تاجين واحد منهما
يمثل الجنوب، والآخر يمثل الشمال، لذلك تساءل المصري لماذا لا تقترن
عينا الثعبان بما لهما من قوة سحرية بالتاجين، بل وأيضاً بالعينين[3]. ومن
الواضح أن الخيال لم يكتف بكل هذه المقارنات بل اعتبر التاجين كإلهتين
حاميتين للملك مثل العقاب والثعبان اللذان اعتبرهما المصري في مناسبة أخرى
حاميتين للملك. وما دام الحال هكذا لماذا يتردد المصري في مساواة هاتين
الإلهتين الحاميتين للملك بعيني الشمس؟. وتطور الأمر وأصبحت عين الشمس
تلعب بعض كثير من الآلهات الأخرى، فمثلاً «حاتحور» إلهة السماء منحت هذا
اللقب مع ملاحظة عدم وجود الصلة بينهما. ونتيجة للجمع بين العين والثعبان
نتج وحدة آلهات حدث الاضطراب وخلط عجيب في الديانة المصرية، فمثلاً
بتوفرت إن «رع» أرسل عينه لتقتل أعداءه[4] أو أن الثعبان الذي يحمله رع فوق
جبينه يعلني الملك الميت من عدوه[5]. أو أن الإلهة الحامية لمصر العليا هي
أيضاً التاج ثم حماية الرأس للملك التي في واقع الأمر تمثل على هيئة العقاب
في أيضاً بقرة وحشية، وكذلك يمثلونها على هيئة امرأة بثديين كبيرين بارزين

---

(١) Pyr. 1568.

(٢) Pyr. 1287, & also Totb. XVIII7. وفي بعض الأحيان كانت سفينة الشمس توصفان بذلك أيضاً. انظر Pyr. 1961A.

(٣) Pyr. 1705, 1832, & also 23, & Inscr. 1, 400.

(٤) قارن القصة المذكورة في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

(٥) Pyr. 1108.

يراعي منهجنا الحالي[1]. وهناك عدد آخر لا بد لنا من هذه الأمثلة التي يجب ألا نتأثر بأهميتها بعين الحذر لأنها تمثل الإرادات التي ثم بحرها معظم المصريون أهمية كبرى، ولا يجب علينا نحن أن نفكر فيها طويلاً.

ويرجع المصري - وحاله في ذلك حال كل الشعوب البدائية - أهمية كبرى لعين الشمس وعين حوريس هذه كانت تعتبر رويداً رويداً ثم لا تلبث أن تصبح بمثابة عجيب حتى تكتمل، ولا يمكن للخيال البسيط غير المعقد أن يتفهم هذه الظاهرة إلا بأن هناك كائناً شريراً يعتدي على هذه العين فيجرحها، ثم يشفيها كائن آخر طيب فيعالجها. وكان هذا الإله الطيب هو «تحوت»، وعلاقته بحوريس لم تستمر مع مرور الزمن. أما الإله الطيب فكان «تحوت» على شكل الطائر «إبيس» الذي أصبح فيما بعد هو نفسه إله القمر، بل «الهلال الليلي لمع» «النور بين النجوم»[2]. وعين حوريس هذه أو كما سموها «الصحيحة» سوف يأتي ذكرها أكثر من مرة فوق صفحات هذا الكتاب، وذلك لأنها لعبت دوراً مهماً في معتقدات المصريين دون أن نفهم السبب الذي أعطاها كل هذه الأهمية، بل تطورت وأصبحت تمثل رمزاً مقدساً استعمله المصري كتعويذة [illegible] ملأت نماذجها متاحف العالم، وهي في هذه الحالة تسمى عين «أودجات»، بل أكثر من هذا استعملت على نحو غريب لا نستطيع أن نهمله في هذه المناسبة. ما دامت العين الصحيحة تمثل القمر الكامل، رأى الموظفون القائمون على كيل الحبوب أن يقارنوا بين عين «أودجات»[3] ووحدة الكيل الكاملة، بل قسموا هذه الوحدة إلى أقسام مختلفة مثل النصف والربع والثمن وغير ذلك ورمزوا لها بالأجزاء المختلفة لهذه العين في كتاباتهم، وهكذا نرى ظاهرة جديدة وهي استعمال العناصر الدينية البحتة في أغراض يومية جافة.

وعرف المصري عن النجوم أنها أيضاً «تسبح فوق اليم الموجود في بطن نوت»[4]، وكانت إلهة السماء هذه تلدها من جديد في كل ليل، وفي الصباح

---

(١) Pyr. 729.

(٢) Berl. Ægyp. Inschr. 11,40.

(٣) Möller, A. Z. 48,99.

(٤) Pyr 802.

تدخل هذه النجوم في فم هذه الإلهة[1]. وتنوعت النجوم، فأحسنها كانت تلك التي سموها «التي لا تتعدم» أي النجوم التي تبقى دائماً مرئية. وهناك نوع آخر سموه «التي لا تطلع» وهذا من النجوم الزائفة نظراً لأنها مع أنها مرئية دائماً في أثناء غياب إله الشمس في قاع[2]. كما اعتبر نجم الصباح من النجوم السيارة إلى درجة أنهم سموه «الإله في الصباح» وهو أيضاً «الذي تشرق بعده بي»[3]. وتخصص نوع وظائف هذا النجم أن يصاحب الشمس في الصباح[4]. كما أنه كان النجم الوحيد الذي يتبع الشمس إلى قاع[5]. وشبيه بهذه المناسبة «صاحب الخطوات الواسعة الذي يحضر كل يوم ملهم الطريق إلى بي»[6]. ولم يكن نجم الجوزاء من الأهمية بمكان في مصر القديمة، إذ كان هناك نجوم مقربة سموها «المحشية» أو «الثلاثي التي تسكن على الأرض من السماء»[7]، ولم لها في حالة لا تحظ أبداً. إلى البلد تسقط بعض النجوم من سماء الوقت أيضاً الليل الطويل. ومن هنا نرى أن الفكرة عن بعض النجوم أنها تحمل صولجاناً ترتكز عليه[8].

ليس من الممكن الكثير من النجوم والبروج التي وصل ذكرها إلينا لا نستطيع أن نحقق إلا القليل منها، وإننا لنكتفي هنا بذكر نجمين منها كانت لهما بعض الأهمية عند المصريين، ونعني بهما نجماً بارزاً في ديانتهم: النجم الأول هو «النوبيس» الثلاثين الثانية (التي تسميها نجم النجم «Sernus» أي نجم الكلب)

---

(١) Piolh. inscr. 111,60.

(٢) Pyr. 1171.

(٣) Pyr. 2005.

(٤) وذكر هنا على أنه يؤدي نفس الشعائر في الفيوم في الشهر الخامس. Pyr. 2042

(٥) Pyr. 263

(٦) Pyr. 2056

(٧) Pyr. 1456

وكذلك لعبت دوراً كبيراً ذلك النجم المسمى «ساح» الضاحك المصريون الوسطى الذي يمكن أن يكون هو النجم Sothis وذلك لظهوره بداية فيضان النيل[٣] والذي يراه في مصر شهرياً يوم رأس السنة. أي بمعنى آخر يؤخر الأيام الخمسة. وبعض هؤلاء المصريين من بين المقدسين الوسطى، وبعض المصريين منهما الجزء الطيبي. حيث هذا في باب الوالد لقد سأتي بالتفصيل في الفصل الرابع عشر عندما تخيل المصري ذلك جاعلة الصوت في السماء. وراقب حتى ذلك أن أصبح ذلك الصيف المرسوم من النجوم بشكل الصوص الذين حمل كل منهم مصباحه وأخذ يتجول في السماء. لذا سمي الجزء «Orion» فاعتبر إله الصوص أي كاوديريس[٤]. وأصبحت الشجرة البيضاء هي زوجة أوزيريس أي إيزيس، وتتم الحلقة بأن أوزيريس مكاناً بين مولاه لأحد إيزيس وهم «أولاد حوريس»[٤].

وليس في استطاعتنا الآن أن نتحدث عن كل ما كانت تحويه السماء من «دفة»[٥] وبقرات السماء[٦] و «ثور السماء» وغير ذلك من بحار وجزر. وعلى كل فسوف نتحدث عن بعض هذا عند الكلام على رحلة السماء للموتى.

---

(١) Pyr. 965.

(٢) Pyr. 1524, Pyr, 820.

(٣) Brugsch, Thesaurus, 85.

(٤) Pyr. 1092, L. D., III, 170, Totb. XVII, 42.

(٥) Totb. 148 وربما تخيل المصري السماء تدور كما تحرك السفينة بواسطة دفتها.

(٦) Pyr. 550 وربما تفسر على أنها كانت سحب المطر.

الفصل الثالث

الآلهة العظمى

لما كان من الصعب فصل الحديث عن العالم ومن مظاهر الطبيعة التي ألهها المصريون، فإن هذه الآلهة كانت تكون النطاق الخارجي للحياة المصرية التي إذا أردنا فهمها فلا سبيل إلى ذلك إلا بالتعرف على آلهتها التي كانت تسد في الحياة وتقاد لها القلوب ويحتكم الناس بأعيادها. ولقد بلغ عدد هذه الآلهة الفعلية حداً خرافياً، وشرح بعضها يحتاج إلا أنها لم تبلغ في تنافرها وتعارضها مبلغ الحد الذي بلغته إلهة السماء أو إله الشمس. وكثيراً ما يحدث أن يتعذر على الشخص أن يفهم أيّ الآلهة يعنون، أيقصدون الإله «سوكاريس» أم «أوزوريس»، هل هي الإلهة «ساخمت» أم «باستت»، أو هل هي الإلهة «حتحور» أم «إيزيس». وعلى ذلك أصبحت هناك أسماء وصور مختلفة تعني إلهاً واحداً[١].

آلهة منف وهليوبوليس

وسنبدأ أولاً بتلك الآلهة التي عبدت في ذلك الجزء من مصر الذي كان ولا يزال يحتل المنطقة التي تتوسط وادي النيل والتي لعبت دوراً كبيراً في تطور الحضارة المصرية القديمة. ونحن بذلك المكان الذي تشغله الآن مدينة القاهرة،

---

(١) قارن Erman, Religion, p. 55 حيث يرى أن هناك ثلاثة من الآلهة هم: إيزيس، وهتحور، والإلهة ثالثة يطلق عليها اسم الإلهة الكبرى.

(١) قارن 37

(٢) قارن 4

الذي قيل عنه أيضاً صنع عاصمة الملك «منف» ثم العظيم معبد «هليوبوليس» القديمة المقدسة أيضاً.

والحق أنه منف الذي حاز شهرة كبيرة وقدسه معظم المصريين هو الإله «بتاح» والذي كان في الأساطير الأخرى يسمى أيضاً «كاثين» (صفحة ٢٣٠) وكان يمثل على شكل إنسان يرتدي ثوباً ضيقاً لفّه شارة خاصة. وأحياناً يلبس فوق صدره وسيطاً بصولجان. ويعتقد أن عند المصريين ترجع في أصلها إلى حجرين كانا يريان أنهما لا يزالا محافظاً الأصل الذي يوجد المصريون أنه منه انحدر أسلافهم إلى الوجود. المصريون أنه خالق الفنانين وصانع النحاتين[1]. وعلى ذلك فهو المثل الأعلى للفنانين وحرفي حرفهم (سيدهم) ويسمى الإغريق ذلك «هيفايستوس» ويعني ذلك منذ كان في اعتقادهم أنه هو الذي خلق النيل. ثم تطور هذا الاعتقاد فيما بعد ورأوا فيه ذلك المحيط «نون» الذي منه خرجت جميع المخلوقات. فهو «أب لجميع الآلهة، الإله العظيم صاحب البداية الأولى الأول من كان وأول إله في الخليقة»[2] وبذلك كان هذا الإله بمثابة الإله الذي عاش معصوراً لا حد لها، أو كما يقول المصري القديم: احتفل بعدده لا يحصى من الأحياء الخفية ومن أجل ذلك أصبح مثلاً يتشبه به كل ملوك مصر الذي حكموها عبداً طويلة

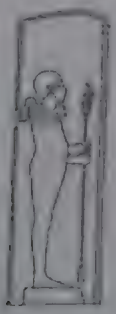

٩ ـ بتاح في مقصورته

---

(١) قارن Edfu II, 37.

(٢) قارن L. D. III, 254 C; Harris I, 44,7; 44.4.

[illegible] ومسمى «سوكاريس» [illegible] «أمير الحياة للموتى». وبالمثل، [illegible] المقدسة تسمى «رستاو» في باب الممرات، ومن هذه التسمية نتبين بوضوح أنهم يقصدون الدنيا السفلى [illegible] أن [illegible] إله [illegible] «سوكاريس» إذ اندمج في جاره الكبير [illegible] سمي «بتاح سوكاريس» وبعد ذلك عندما أصبح أوزريس هو إله الموتى الوحيد سمي «سوكاريس» باسم آخر «أوزريس سوكاريس» وأحياناً أيضاً [illegible]

١٠ ـ سوكاريس (برلين ٧٢٩٩)

أما الإلهة التي عبدها الناس في منف فكان اسمها «سخمت» وسوف يأتي الحديث عنها. وقبل أن ندع الحديث عن آلهة ممفيس ينبغي لنا أن نتحدث عن [illegible] آخر صغير لا يمت بصلة إلى الآلهة الكبرى، هي الإلهة «أنيس» العجل المقدس الذي احتفظ به المصريون في معبد بتاح دون أن يكون هناك علاقة ما (على الأقل في العصور القديمة) بين الإلهين[٢]. ومن الملاحظ أن الجمع بين إله وبين

[illegible] مثلاً Urk. I, 124.

[illegible] Harris I, 44,9.

حيوان مقدس في معبد واحد لم يكن كنتيجة لعقيدة، بل كثيراً ما كان لمجرّد
[illegible] يتمتع أبيس في العصور القديمة بعبادة ذات طقوس معينة[1] يقوم بها كهنة
مخصوصون[2]. أما في العصور الحديثة فقد تغير الحال وأصبح لهذا الحيوان
المقدس عدد لا يحصى من الأتباع

١١ ـ أبيس (برلين ٢٥٧٤)

وكانت المدينة المقدسة «نوبة» أهمية منذ «منقس»، وهي التي تسمى أيضاً
«هليوبوليس». وكان يعبد فيها منذ أقدم العصور الإله «نوبة» الذي كان يسمى إله
سيده قبل المصريين وأقاموا له معبداً فخماً طبع شخص إلا أنه لم يكن في هذا المعبد
صورة لهذا الإله، بل حوى قطعة من الحجر مقدسة تسمى «بن بن» ترتفع في
فناء مكشوف. واعتقدوا أن الشمس يجب أن ترسل أشعتها الأولى على هذا
الحجر. ولم يعثر على معبد واحد من هذه المعابد فقد اختفت كلها، ولكننا

---

(١) Vatikan 127، وقارن كذلك Wilcken, Pholemaer Urkunden I, 18.
بخلاف اعتقاد يحمل من أبيس ومن عجل هليوبوليس الحي مقدس «بوليس» فإن
تبليغ الرسائل إلى إليهما وهذا الاعتقاد يرجع إلى عصر أسرة أحمس أيضاً (قارن مثلاً
(Ber. Berl. AK. 1916, 1148

(١) إن عادة «إطلاق العجل أبيس للحرية» من بين الطقوس القديمة التي يرجع على عهد
بالرغم من عصر الأسرة الأولى، ويحدث ذلك في الاحتفال الذي يعبر فيه الملك
ويحاذيه العجل أبيس، قارن Sitz. Ber. Berl. AK. 1916, 1150، ولعل ما يسمى «احتفال
أبيس» (Urk. I,20) هو بعينه الاحتفال السالف الذكر.

(٢) وكانت مهمة «خدم أبيس والعجل الأبيض» هي القيام على خدمتهما والعناية بهما

أحيانا صوروا إله الشمس في هليوبوليس أيضا على شكل آدمي ثم
مع الآلهة الأخرى. وأحياناً أخرى سمي هذا الشكل الآدمي
ى فيه المصري كما أسلفنا شمس المساء[1]، وأحيانا ثالثة سموه
حوريين الأفقين» أو «رع حور آختي» الإله العظيم الذي كان رأسه
بهاء قرص الشمس. وهذا حدث ما كان يحدث في مثل هذه الأحوال إذ
الإلهان مداً وأصبحا كأنهما إله واحد مع اختلاف في الشكل. وكان الكهنة
قراءة طقوسهم الدينية يتحدثون عن «آ ر ا حور آختي» على حين كانوا
صورته في المعبد اسمه «رع حور آختي» في المعبد الـ شرع حور آختي تسهيلا

[illegible] الملك إلى حورس «آتوم» خالق العالم [illegible]
الأمير المحسن أبوليس ١٤٢٠ م.

---

(١) ويسمي أيضاً «آتوم» «ذلك الذي انتهى» (من عمله اليومي).

[illegible] الأحمر الزوج[1]. ومعنى هذا أن معبد [illegible] هو مقر الإله المزدوج سمي أيضاً بأسماء إله الشمس الأخرى.

ولا نزال نجد أن هناك بعض الآلهة الأخرى التي عبدت في هليوبوليس مثل [illegible] وآخرين. ولكننا في الوقت نفسه نجد أن هناك بعض الآلهة صنفين، أحدهما مثله المصريون على شكل الثور، والآخر على شكل طائر، [illegible] وهذا الأخير لا يزال يعبد حتى الآن [illegible]. واعتبر هذا الإله من أهم الآلهة التي تسمى المعبد في هليوبوليس. [illegible] بالقرب من [illegible] ويطلق اسماً على الإله نفسه.

في مصر

واعتبر العلماء الكهنة أن السمندل (Phônix) هو أزوريس[2] أو هو روح الإله رع[3]. وهذا نعرفه نحن عن هذا الطائر هو أنه وقد فوق شجرة في معبد هليوبوليس[4] ولعل هذه الشجرة المقدسة هي بعينها تلك الشجرة القديمة التي اعتاد كهنة مصر أن يكتبوا أسماء الملوك على أوراقها. وكان السمندل يلقب «سيد الأعياد الخمسية»[5] - بمعنى رب الحقب الطويلة من الزمن -. ولعل ذلك يفسره الاعتقاد عند الإغريق القدماء بأن الـ(Phônix) لا يعود إلا بعد مدة طويلة

---

(١) قارن Harris I, 59, 24 وكذلك قارن الاندماج رع وآتوم Pyr. 1600 والاندماج آتوم مع خبر رع Pyr. . 1652.

(٢) قارن Totb. ed. Naville 17, 13 - 14.

(٣) Totb. ed. Nav 29 B, 2.

(٤) قارن Metternich Stele 77 وكذلك Faijum Pap. ed. Pleyte I - II, 18، وهو كذلك كروح أوزوريس يحط على الشجرة الثابتة فوق مقبرته (Wilkinson, III, 369).

(٥) قارن Faijum Pap. ed. Pleyte I - II, 18.

من الزمن يقدرونها أحياناً بـ ٥٠٠ عام، وفي أحيان أخرى بـ ١٤٦١ سنة

١٢ ـ السمندل

آلهة حوريس

لم يكن إله الشمس حوريس الذي مثل برأس الصقر والذي تحدثنا عنه من بين آلهة هليوبوليس وسميناه «حور أختي»[1] مشهوراً وقوياً في هذه المدينة

---

(١) ومن الواضح أنه ليس هناك من فرق بين حوريس وحور أختي، ويؤكد ذلك النص الوارد في كتاب الموتى

وكان الموطن الأصلي لحوريس هو الدلتا، ومن هنا بدأ البعض أن يرى فيه الإله الغربي لشاطئ. وخاصة في ظل الإله [illegible] الغربي لمصر العليا. ويتمثل في هذين الإلهين حاكما مصر، ولو أن حوريس وحده يعتبر هو [illegible] على مصر مجتمعة. نظراً لأنه البعض ورد أنه في وقت ما حكمت مصر السفلى ومصر العليا، ومنذ ذلك حوريس قد أصبح إلهاً للفئتين فمن الواجب أن [illegible] في مصر العليا مدينة، وكانت هذه المدينة تدعى «قفط» من [illegible] وكانت تسمى «قبتوس» أو كما سماها الإغريق فيما «كوبيولس»، أي مدينة الصقر.

١٤ ـ إله الشمس في إدفو

وأقدم معبد لحوريس بني في مدينة «بهدت»، أو «بحدت» وهي دمنهور المعاية، ومن أجل ذلك سمي بهدتي أو بحدتي، أي هو الذي من بحدت. وفي الوقت نفسه كانت هناك مدينة في مصر العليا سميت بالإسم ذاته وهي إدفو الحالية، وكان لها أيضاً «حوريس بحدتي» أي هو الذي من بحدت، أي هو الذي من إدفو. وكان هذا الإله يصور في إدفو على شكل الشمس المجنحة. وكما يبدو ليس هناك أي شبه بين صورة هذا الإله وصورة حوريس الحقيقية. فكما قلنا صور إله إدفو على شكل قرص الشمس بجناحين كبيرين ذي ألوان مختلفة وصلاً بأسفلهما الجناحان ذوا الريش المختلف الألوان التي تتمكن بهما الشمس أن تطوف السماء. ولا يزال المعبد الخاص بهذا الإله قائماً حتى اليوم ومكتملاً كما تركه ملوك العصر اليوناني الذي أرجعوا إليه عظمته وأعادوا بناءه. وصورة هذا الإله الخاص بإدفو نعرفها جيداً إذ نراها منقوشة فوق مداخل معابد مصر لأنها تعتبر حارساً يحول دون دخول الأشرار المعبد.

غير هذه الآلهة نجد هناك عدداً كبيراً من الآلهة التي سميت بهذا الإسم

يخلق البعض منها إله الشمس[1] أو نجم في السماء، ومن هذه الحالة تستطيع أن نفهم هذه التسمية، ويخص البعض الآخر أشياء أو معبودات لا تهمنا بصلة للإله حوريس. وليس في وسعنا هنا أن نبحث كل اسم على حدة. وهناك حوريس آخر نال شهرة بين المصريين؛ وهو ذلك الإبن الذي فقد أباه أوزوريس والمعروف باسم «حور سايزيس» - أي حوريس بن إيزيس الذي ورد اسمه في قصة أوزريس المشهورة والذي يجعل من يقرؤها يرثي له.

ثم هناك حوريس السمايتو أي حوريس «بتوبوليس»، وفي الدولة الحديثة كان يسمى حوريس الكبير[2] مقابل حوريس الرضيع (إبن إيزيس) وليس من شك قط لا بخصوص حوريس المسمى كنشتاوي معبود أتريبيس في الدلتا وحوريس مسوتاوي، وكلاهما ظهرا في شرق الدلتا في المنطقة التي كان يحدها الطريق الموصل إلى فلسطين. وملاحظة الكون أنه لم يكن هناك إله كبير لهم وهو الذي نتيجة لعوامل دول أن يعتنقها للتمثل بحوريس أو التسمي باسمه.

إلاهات السماء

وكما كانت الحال مع الآلهة المسماة بحوريس نجد هنا أيضاً الأمر نفسه مع إلهة السماء التي لم تحظ بعبادة منتشرة عندما كان اسمها «نوت»[3]. وعلى العكس من ذلك قد حظيت بأسمى درجات التقديس عندما سميت

---

(١) ويسمه ذلك واضحاً من الأسماء المتعددة التي وردت بكثرة في نصوص الأهرامات، قارن Pyr. 981 f. 1094 ff., 1232 ff., 1678 ff., 1257 ff. وهي مصحوبة بأوصاف ثلاث أو أربع لحور «حوريس» إله الشمس، ولا بد أن تومئ هذه الأوصاف إلى ساعات النهار المختلفة.

(٢) قارن Kees A. Z. 64, 106 عن «حوريس الكبير» (حسس).

(٣) [illegible] من الدولة القديمة ذكر كاهن لإلهة نوت [illegible] ومن العصر المتأخر (Berl. Aeg. Inschr I S. 92. Kairo [illegible] ومن العصر المتأخر (Berl. aeg. Inschr I, S. [illegible] (Louvre Serapeum 427).

«حوريس» وهذا الاسم «بيت حوريس»[1] يرجع في أصله إلى تلك الطيرة الشبيهة بالصقر حوريس الذي يحلق في السماء على حين أن عيونه التي تشبه عيني البقرة والشمس[2] وأجنحة تمثلها أيضاً وأس بقرة الحتحور[3] هي ترجع إلى الحتحور التي تصور السماء على شكل بقرة. وفيما بعد أعلنت هذه الآلهة تفقد رويداً رويداً مميزاتها الخاصة بالهة السماء. ومع الغير أن نفهم السبب الذي من أجله مثلت بقرة السماء الشمس أو كما يقول المصريون عين الشمس[4] التي تحملها هذه الإلهة بين قرنيها. وعلى هذا الأساس سميت حتحور نفسها «بعين الشمس» وأصبحت هذه التسمية من بين ألقابها المشهورة وبعد ذلك اصطلحت حاتحور بالتقليل من مميزاتها القديمة. وكان من بين هذا التقليل أنها أصبحت سيدة الإلهات كما احتفظت أيضاً بدورها السهم الذي يحمل معها ذلك المكان الذي تختفي فيه شمس السماء. وهذا هو السبب في أنها أصبحت إلهة الغرب التي تقف وراء جبل مانو وتسمح للشمس وللموتى أن يدخلوا العالم السفلي. وكذلك جعل المصري من حاتحور إلهة للحب[5] وأصبحت الإلهة المطروب عند النساء وسميتها بالذهب. وهذا هو الذي يجعلنا نفهم السبب الذي من أجله ساعدها الإغريق في العصور المتأخرة بالإلهة «أفروديت». وقام النساء على خدمتها وأحبوا[6] احتفالاتها بالرقص والغناء والموسيقى

---

(١) بيت حوريس الموجود في السماء، قارن Pyr. 1026.

(٢) ونجب أن نلاحظ أن «عين» ظهرت منذ عصور متقدمة بشكل نصف آدمي، قارن رقم 1344 حيث يتحدث النص عن أن لها يدين وقرنين طويلين.

(٣) قارن Urk. V 285 ومثلت كذلك على شكل بقرة كاملة في المقصورة المحفورة في الصخر في معبد الدير البحري وهي ترضع الملكة الصغيرة.

(٤) قارن Pyr. 705.

(٥) ظهر ذلك في عصر الدولة الحديثة في أغاني الحب.

(٦) غالباً في عصر الدولة القديمة كما أن هناك لقب «كاهنة حاتحور في كل أنحائها» قارن Rougé Inscr. Hiér. 64.

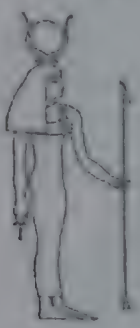

١٥ ـ حاتحور

وكانت مصر العليا الموطن الأصلي لحاتحور، وسميت في أطفيح «الأولى بين البقرات». وهذه التسمية ترجع بالطبع إلى ذلك الدور القديم الذي كانت تلعبه في شكلها الحيواني المعروف. وإلى الجنوب من معبد بتاح في منفيس خصصت حاتحور لحنون سميت أو لقبت بسيدة الجميزة[٤]، وربما كانت هذه الإلهة

---

(١) Lacau, Textes Relig. P. 18, 132.

(٢) Mar. Dend. III Tè st. Chassinat, Mémoires 28, 53.

(٣) Berl. Med. Pap. 21 g.

(٤) Erman, Aegypt. 1 st. 3 Anl. 298.

في أول الأمر ليست إلا شجرة مقدسة حافظها المصري القديم كما هي الحال في مصر الحديثة بالكثير من عنايته واحترامه. وعلى كل حال لم تكن سيدة الجميزة في مركزها أكثر من إلهة شعبية انتشر نفوذها بين السيدات[1].

١٦ ـ رأس حاتحور (من أحد تيجان الأعمدة من بوبسطا)

وإذا تحدثنا اليوم عن «حاتحور» فنتجه إلى معبدها الكبير الموجود في دندرة، الذي يعتبر مكان عبادتها، ولو أن هذا المعبد يرجع إلى العصر اليوناني مثل معبد إدفو وغيره من المعابد.

ولقد بلغ انتشار عبادة حاتحور بين طبقات الشعب حداً جعل المصريين يطلقون اسم حاتحور على كل إلهة أجنبية[2] واعتبرت الآلهة «موت» كسيدة السماء أيضاً، وقد عبدت هذه الآلهة في طيبة واسمها يعني الأم، ولقد لقبت في النقوش التي ترجع إلى عصور متأخرة بلقب «أم الشمس» التي تشرق منها[3]. أما الدور العادي الذي تلعبه «موت» فقد كان ممثلاً للإلهة «سخمت» إلهة الحرب

ومن هنا أصبحت «موت» ترسم برأس أسد. وعندما أصبحت طيبة عاصمة البلاد حظيت هذه الإلهة كزوجة لآمون إله الدولة بأسمى درجات الشهرة

---

(١) قارن Urk. I. 80.

(٢) Urk. I, 126.

(٣) قارن Aeg. Zeitschrift, 38, 124.

١٧ ـ الإلهتان الحارستان «بوتو ونخبت»

---

(١) يطلق المصريون القدماء لفظ «بوتو» بمعنى الأم بصورة «العقاب» يعني نفس الصورة التي تأخذها الإلهة «بوتو».

(٢) يقدم هذه الإلهة التي يطلق عليها أيضاً اسم «البيضاء» (أي التاج) المساعدات لكل أم عند الوضع الأول [Urk. IV, 205] وهذه حماية الإلهة Ejlethya

نعتبرين أو عيون، لذا أنهما استعملتا في التعاويذ السحرية التي أنهت عمل المصريين وسميت بإسم سيدات السحر[1].

يتضح في أشهر الأساطير المصرية نشأة أول الآلهة[2]، ويعتقد أنها ترجع في أصلها إلى إلهة سماوية[3]، وورد ذكرها في قصة أوزيريس، ومنذ ذلك الوقت فقدت طابعها هذا وبقيت محتفظة ببعضها كزوجة الإله وأم الملوك والآلهة الحوريين. ويبدو أن اسمها كان يسمى باسم إله الشمس، ليهذا يعتقد بعض أن إيزيس في الأصل وفي وقت ما كانت تعتبر إلهة الشمس التي تلد الشمس مرة كل يوم

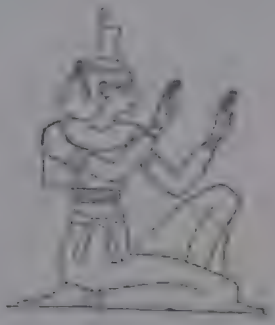

١٨ ـ أيزيس تحمل فوق رأسها العلامة التي يكتب بها اسمها

أما الإلهة «نايت» الكبيرة التي كان موطنها الأصلي مدينة صايس (سالحجر) فقد كانت تلعب أدواراً مختلفة في الديانة المصرية. فمن المعروف أنها كانت تمثل إلهة الحرب، فرمزها المعروف يتكوّن من قوسين ودرع. وإذا

---

(١) قارن Erman, Hymnen an des Diadem, p. 11، وكذلك Pyr. 729, 823.

(٢) من النص الوارد في Pyr. 309 نستدل على أن هذه الإلهة كانت تعتبر مساوية للإلهة «بوتو».

(٣) ويمكن أن يفسر اسمها «مسكن» الشمس كما شرح ذلك مايير Ed. Meyer, Geschichte des Altertums, 1,2² § 187.

[illegible] من الكتابة التي تسمى «الهيروغليفية» لمعنى ذلك كما يعتقد عن الشعب المصري القديم أنها كانت تعتبر الملك في المعركة الحربية[1]، وفي الوقت نفسه [illegible] وبين وأسد رابض فوق الرمز الذي أنها تسير معاً. أيضاً وتشبه [illegible] أيضاً بأسد انطلق في مكان مرتفع. الملك حين يرفع الشاشيق على شكل [illegible] تعبيراً «الدهشة»[2]. وبالأحرى فإن المصري كان يرى أن الكون هو الشجيرة التي خرجت من بقرة السماء فكانت تسمية الإلهة حاتور «البقرة» التي تلد الشمس[3]. أو «الأم التي ولدت الشمس» وأخيراً وكانت الأولى مرة جنساً لجميع الآلهة التي تشبه أمها[4]. ومن الجدير ذكرها في العصور المتأخرة عبدت من النساء كحاتحور، فقمن على خدمتها وسمين بأسمائها[5].

آلهة على شكل أسد

إن الإلهات الكثيرة التي ظهرت لنا برأس أسد أو لبوءة كانت في الأصل [illegible] ثم أصبحت ربة الأمومة. ولما قلت مصر بلداً يسود فيها السلام فقدت هذه الكائنات وبدأ رويداً رويداً صفاتها السافلة، فمثلاً الإلهة «باخت»[6] التي عبدت في بني حسن، أو الإلهة «سخمت» ربة شيء لم تكونا سوى إلهتين في مناطقهن مثل جميع الإلهات الأخريات. فباخت كانت تسكن الصحراء الشرقية وتجول في وديانها. وكانت هي التي تستر سيول المطر التي تحدث بعد العاصفة وتدفعها إلى الصحراء.

---

(١) قارن Ed. Meyer, A. Z. 41, 105.

(٢) قارن Lacau Textes Relig. p. 7.

(٣) قارن [illegible]

(٤) قارن [illegible]

(٥) وقد أطلق اسم هذه الإلهة على خمس عشرة زوجة من بين زوجات أحد ملوك الأسرة [illegible] التي عاشت بعد الخمسين عاماً.

(٦) قارن Urk. IV, 386.

أن الإلهة «سخمت» فقد احتفظت في قسمها بخصيصها في حين أخذت الناسية وجه أخرى أو علاقتها مع زوجها الإله «بتاح» الذي أخذ عنها الخصيص. فما أسلفنا - إلهاً للحرب الذي يحمل السماء[1] (راجع صفحة ٢٠). أما فيما يرتبط بنشأتها وصور تصورتها فهذا ما لا نستطيع تعليله. وعلى أي حال فقد عبدت الإلهة على شكل الأسد وزوجة في الواحة البيرانيس Hermopolis في الدلتا وبشكل خاص كانت زوجة في أخميم مدينة السامية «قادرة في جبل الأفق» ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الإلهة «الشرا» كما سنرى ذلك فيما بعد - قد احتفظت أيضاً بخصيصة أخرى في التخصص الإلهي ومنحي من أجل ذلك باسم «أوميريس Ounrs». وهذه الخصيصة الجديدة جعلت منه إلهاً شعبياً حظي باحترام كبير وخدمة في عصر الدولة الحديثة.

أما الإلهة «سخمت» القوية التي عبدت في منف والتي مثلت على شكل لبوءة فقد احتفظت بشخصيتها الشخيصة[2]. وكانت تعتبر إلهة المعارك الحربية. ونحن لا نفهم تمثيلها بالصل الملكي الذي يبعث النار على الأعداء[3]. ولو أن ذلك قد ورد فعلاً في النقوش المصرية.

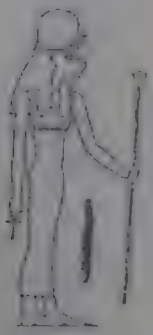

١٩ ـ سخمت

---

(١) ومعنى هذا الإسم هو «الفضاء».

(٢) قارن Lacau, Texte Relig. p. 101 واعتبرت «سخمت» لملكية مصر العليا.

(٣) قارن Pap. Sallier III, 9,4.

ومن الغريب أن الإلهة «سخمت» كانت تختلط في بعض الأحيان مع الإلهة «باستت»[1]. والسبب في ذلك أن الفن المصري لم يكن يميز في وضوح بين [illegible] التي تصاحب [illegible] «سخمت» تختلف اختلافاً تاماً عن [illegible] «باستت». وكانت شعر المصريون بهذا الاختلاف. وكان يصفونها بأن «باستت» ذات نحس و«سخمت» وحش سخرت لأنها تشخص [illegible] وكانت «باستت» هي الإلهة الوديعة التي حالفتهم الحظ في الرقص والموسيقى وتحتوزنها على شكل آدمي برأس قطة تحمل بإحدى يديها «سيستروم» الرقصات وفي اليد الأخرى صورة رأس الإله الخاص «سخمت» وتتدلى من ذراعها سلة صغيرة. ولعل صورة رأس سخمت التي تحملها في يدها تدل على أن هذه الرأس المخيفة توافق مزاجها. ورأس هذه الإلهة لا يدل على معنى خاص، بل يدل على أنها إلهة مدينة «باست»[2].

٢٠ ـ باست (برلين ١١٣٥٤)

---

(١) «مقتبسة من كلمة سخت المصرية» قارن العبارة «ممسكاً بيده القوس كباستت» (Ramses II nach abstrift Statue Karnak)

(٢) «وباستت» الاسم الذي أطلقه الإغريق على الإلهة والمدينة التي تقع حالياً في جنوب الدلتا حول الزقازيق.

وهناك آلهة أخرى ذكرت في النصوص على أنها أنجبت (أوزير وهي الفقيس) الذي لا نعرف شيئاً عن أصلها، ويعتبر اسمها «سيدة البدل» مما يدل على أنها تعتبر أحياناً بإلهة الكتابة. وكذلك كان الحال في النصوص التي يكتفي إلهة العقرب «سلكت».

وإذا ما تحدثنا حديثاً مختصراً عن تلك الآلهات التي كانت تسكن حول الشلال الأول وهما «ساتيس» و «أنوكيس» فنكون بذلك قد انتهينا من ذكر هؤلاء الإلهات المحلية. ولم أكن لم نذكرهن جميعاً. وسنبدأ الآن بذكر بعض الآلهة التي نعت دوراً كبيراً عند المصريين والتي لم نتعرض لها فيما أسلفنا من حديث

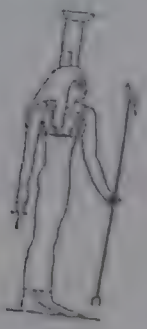

٢١ ـ نفتيس وهي تحمل فوق رأسها العلامة التي يكتب بها اسمها

آلهة أخرى عظيمة

سنبدأ بالإله «مين» الذي يستحق عناية خاصة. فهذا الإله الكبير الذي عبد في تلك المنطقة التي تقع بين إخميم وقفط وبين طيبة وأرمنت، ويمثل هذا الإله واقفاً وقضيبه منتصب، وعلى رأسه ترتفع ريشتان عاليتان، رافعاً ذراعه الأيمن وقابضاً على السوط المثلث الفروع وكان يعتبر إله الإخصاب الذي يسرق النساء وسيد العذارى[1]. وإذا كان هذا الإله قد أخصب أمه[2] فإن هذه الصفة كان

---

(١) قارن Brit. mus, 911.

(٢) قارن L. D. III 162 ولأنه ورد في أنشودة الاحتفال فهذا يدل على قدمه. قارن أيضاً Edfu, ed. Rochem. I. 398.

يجوز بها في الجزيرة العربية. وهكذا نجد باستمرار كيف أن الآلهة في مرحلة معينة تحتفظ بخصائص وأدوار الآلهة في مرحلة سابقة.

وإن إلقاء الضوء على أصل عبادة الإله الأفريقي «آمون» Pan يعتبر أيضاً من الأهمية الأكبر. وقد حاول بعض العلماء التأكيد على أنها كانت بمثابة تذكار من معبودات وادي النيل ـ خاصة التي عبدت لفترة قصيرة في «أمين» أيضاً وفي البلاد الأخرى المجاورة في جميع الأماكن التي اقترب فيها النيل من البحر الأحمر في مصر العليا، وحيث كانت طرق القوافل تخترقها إلى البلاد الشرقية وإلى المناطق الساحلية. وقد أراد علماء كل من هذه الطرق أن يتعبد للإله «آمون» فقط أن يرتدي قطع الجلد التي يتسم من القبائل المتبربرة (Troglodites) التي كانت تسكن هذه المناطق، وهكذا أصبح هذا الإله رباً للصحراء الشرقية صاحب الثروة والكمال والخصاب وسيد البلاد الأجنبية عامة. تفوح منه رائحة الطيب الزكية لأنه يأتي من بلاد «بونت»، وهو صاحب المكان المعروف في بلاد «بونت»[1]. ولقد عبده اليونانيون تحت اسم Pan Ethiopian أي الإله الذي يساعد على وحدة البلاد. ويبدو أن هذه الصفات تميز بها «آمون» منذ أقدم العصور. فالمكان الذي عثر عليه «نوى» في أسلس معبد فقط ويرجع إلى عصر مبكر جداً رسمت على جدرانه أسماء وأقوال وجبال، أي كل المظاهر التي يتعرف عليها المسافر في طريق فقط ـ البحر الأحمر. ومن الملاحظ أن لهذه الإلهة معبد قديم آخر عند مدخل الطريق الموصل للجبال، والدليل على ذلك تلك الصورة التي عثر عليها الألمان رسمها بجانب صورة التمثال والتي تمثل هيكلاً منحوتاً في صخرة ذات قبة مخروطية. ومن الملاحظ كذلك أنه من بين طقوس الاحتفال بالإله «آمون» ظهور أحد المتبربرين في الوقت الذي يتسلق آخرون من جنسه قوائم خشبية مرتفعة. ونصل إلى الاعتقاد بأن أفراداً من القبائل المجاورة التي كانت تسكن الصحراء كانت تشترك بطريقتها الخاصة في هذا الاحتفال[2].

---

(1) Lowie (C. 30 M. B.) ص ٢٥٤.

(2) وقد عثر أيضاً على السبب الذي من أجله وصف «آمون» أنه يثير الرعب في النفوس التي يظهر لها في صورة Urk. IV. 18.

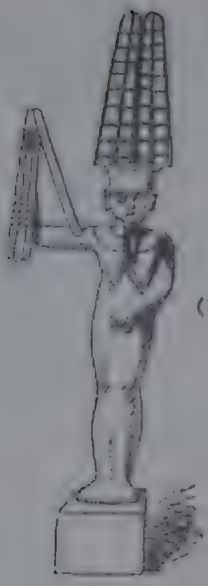

٢٢ ـ مين (برلين ٢٤٣٩)

وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الإله «مين» كان يعبد في وقت ما بطيبة. والدليل على ذلك أن كثيراً ما نجد إلهاً يشبهه تمام الشبه ويعتبر إلهاً للإخصاب وهو «كاميفيس» ويلقب بـ «ثور أمه» ويبدو أن اسمه القديم قد هجر، وذلك لأننا سوف ندرك مما سيأتي ذكره مستقبلاً أنه بعد أن أصبحت مدينته عاصمة كبيرة للبلاد، اضطرّ هو أن ينزوي ليحلّ مكانه إله جديد هو «آمون العظيم» الذي احتفظ ببعض صفات هذا الإله الذي سبقه. ولو أنه في مجموعه يمثل إلهاً آخر ذا صفات جديدة. وفي الوقت نفسه يسمع بين الحين والآخر لقباً من الألقاب التي تعيد ذكرى الإله الأول مثل «ذو الذراع العالية» أو الذي تنسر فوقه النباتات عالية مغطية جميع حقوله الجميلة[1]. وسوف يأتي ذكر هذا الإله من حين لآخر

---

(١) قارن Urk. IV, 990.

[illegible] صفحات هذا الكتاب. أما الثور الأبيض الذي يمت بصلة إلى الإله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وأرمنت.

٢٣ ـ مقصورة مبنى المقصورة في الصخر من أمام مدخلها ساري يعلوه قرنان بينهما [illegible] (حسب آثار الدولة الوسطى).

٢٤ ـ آمون (أنظر أيضاً صورته في أول الكتاب)

[illegible] أن نتحدث طويلاً عن إله آخر من آلهة طيبة وهو [illegible] أن يحتل الاسكندر قد عدموا معبده في القرن التاسع عشر ليقيموا على

الحروب

٢٥ ـ ست (برلين ١٣١٨٦)

وإذا كان ست يعبتر باستمرار العدوّ الأكبر لحوريس فإن في هذه العداوة

---

(١) قارن Pyr. 1081 حيث يقال عنه إنه يصعد ثم يسير.

(٢) قارن Pyr. 832, 865.

(٣) ويستعين المصري بصورته للتدليل على كلمة «عاصفة».

(٤) Pyr. 1150.

(٥) Math. Handb N° 87 b.

(٦) Pyr. 581, 1855.

وربما يفسر بعض الباحثين الذين يرجعون بأصل مصر العليا إلى ملوك مصر السفلى حوريس تحت حمايتهم إياهم حوريس مع ملوك مصر العليا الذين تحالف بحورس إلا أنه بعد ذلك أخذ القطران، فاتحدت البلاد. أيضاً أن هذا الانتصار [illegible] بعملية إنشاء السلام من الأنحاء الذين أصبحا بمثابة إلهين (سيكاتي) مصر[1] وتابع سنت مصر العليا[2] «مديريات ست»[3]. ويتبع حوريس مصر السفلى «مديريات حوريس» إلى أنه في الحقيقة: كان حظ [illegible] أحسن [illegible] ست لأنه نجح في الوقوع إلهاً للدولة الموحدة، على حين أن أخاه المغلوب ظل [illegible] إله الصحراء[4] وشبهة الملك مثل السلطان الأعزل بحوريس ولم يحسن [illegible] في التمثيل الذي ماثلها إلى ست»[5] ثم هناك لقب اختصت به [illegible] الذي أن يطمئن البلاد إلى حوريس وست» ولا يمكن أن نفسر هذا [illegible] بأن الإلهين قد اتحدا زوجة ملكية واحدة. وأكثر من هذا فإنه يشير [illegible] يلمح في الألقاب الملكية انتصار حوريس على ست. وامتداد الحدود إذا ما أراد أن يظهر انتصار الملك على أعدائه أن يصوره كصقر يقف فوق العلامة [illegible] الذهب. وهذه العلامة بالذات تعني السلطان الإلهي الخاص بسلطة حوريس أي الإله ست. ومعنى هذا كله أن حوريس يقف مؤيداً بنصر [illegible][6] والبتة نجد أن الإله ست يعتبر رمزاً لقوى الصحراء الغربية[7].

---

(١) Pyr. 204 ff.; 390, 473, 683, 850.

(٢) Pyr. 204.

(٣) Pyr. 487, 948, 2011.

(٤) والمعنى في Ebers I. 13 يدل على أنه زميله فقط.

(٥) [illegible]

[illegible]

[illegible]

يقدم الملك كبش بمصاحبة القوس والنشاب. ثم كان هذا الإله أيضاً يحمل الإله «ع» فيحتفظ بثعبان يقف بجانبه أثناء الحرب.

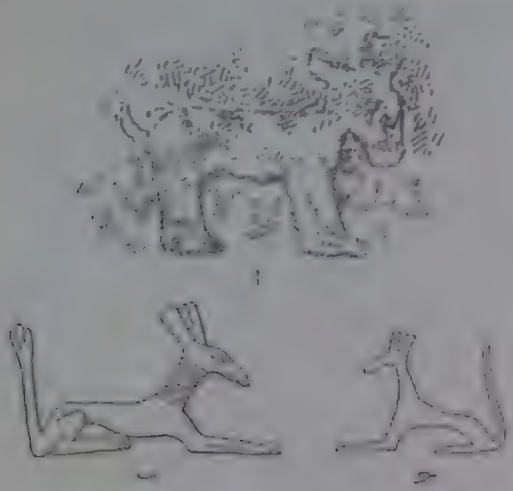

٢٦ ـ حيوان الإله ست:

أ ـ كما ورد على شاهد قبر من الأسرة الأولى (برلين ١٥٤٨٤).

ب ـ من الدولة القديمة. جـ ـ من الدولة الحديثة.

أن الحيوان الذي عبده الناس أول الأمر على أنه الإله ست فهو غريب جداً. فصورته لا نعثر على مثيل لها بين الحيوانات التي تسكن أوربا. وإذا كان المصريون في العصور المتأخرة قد اعتبروه حماراً فإن أذنيه وذيله تشبه في الوضع هذا الحيوان[٢]. ومن المحتمل أنهم تمثلوا قصداً هذا الحيوان إلهاً للأعداء

---

[٢] بل إن برودية الإرض» نجد أن الكاتب قد استعمل حيوان «ست» كمخصص للحمار. وكذلك شاع هذا في العصور المتأخرة. فمثلاً نجد في تكوين آلهة الحياة حورس يظهر حماراً أمام أوزوريس» وكتب الأستاذ روبنز مقالاً: Roeder A. Z. 50, 89 ff. بيّن فيه أن حيوان «ست» يعتبر من الحيوانات الخرافية فهو أقرب إلى الزرافة منه إلى الحمار.

[illegible] في بعض الأحيان [illegible] في مؤخرته. وثمة شيء آخر [illegible] في شأن هذا الإله الغريب. فلونه هو اللون الأحمر، وهو من الألوان [illegible] لدى المصريين. فقد كان لشعر الثور وجلده لون أحمر أو [illegible][21]، لذا فإن [illegible] جسده من الحمال قربانا إذا كان «أشيا» حمراء[22]. فإذا كانت قد نسبت إليه [illegible] حمرة الدم الإنساني غليظاً[23] عند قدماء المصريين، فإن ذلك يعطينا [illegible] ما جرت به العادة في العصور القديمة، إذ كان لا يضحى بالحيوان المملوك للشعب إلا بعد تمييزه بعلامات أو صور غير سارة.

وإذا كان بيت يخدم الأرباب يعتبر عدواً للخير، فهناك إله آخر كان هو المثل الأعلى للألوهية وهي الإنسان، وهو الإله «تحوت» الذي عبد في أول الأمر على شاطئ الخليج البيس «أي مصب» في الدلتا، ثم بعد ذلك وجد لنفسه موطن جديداً في الأشمونين مصر الوسطى، واعتقد الناس فيه أنه إله القمر، وأنه هو الذي يعيد هذا النجم إلى اكتماله بعد اختفائه، أي يجدده، فيصبح هو المعيد للكمال نحو يوس. وهو أيضاً الذي يدير الوقت (الزمن) ويشرف على نظام العالم. ثم هو أيضاً المحاسب وكاتب الآلهة. ومن هنا ـ كما سنرى ذلك فيما بعد ـ أصبح وإلهي كل أولئك الكتاب في مصر وكان الكتاب في موضع احترام الجميع لذلك تجد اسمه مسطوراً أيضاً في كل من قصتي «خلق العالم» و«أوزيريس».

ولا ندري لم صوره الناس على صورة أخرى غير إيبيس هي صورة قرد مفكر، ولعل ذلك يرجع إلى أن القرد كان يمثل إلهاً آخر اندمج في الإله «تحوت» أيضاً بعد. وعلى كل حال لم يكن تحوت هو الوحيد الذي يعتبر إلهاً لنفسه، إذ أنه في طيبة عبد الناس القمر تحت اسم الإله «خونسو» ومعناه الذي

---

(21) Edfu. Dum. Geogr. Inscr. II, 87.

(22) قارن Ebers, 4, 14.

(23) قارن Pyr. 1595.

يحوت السماء[1]. وقد صوّره الناس كطفل أقعى، ووضع ذلك إلى أن أصبح رمزاً للأبجدية التي تمثل السماء، وهي الحروف، ولكن السومريين لم يأخذوا من تحوت الشهرة.

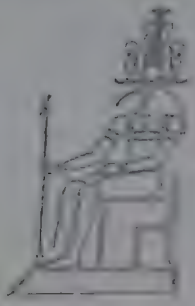

(٦) ـ تحوت

وبما وعدنا قد وصلنا في كلامنا عن الآلهة المطلسة إلى النهاية، فمن الواجب أخيراً أن نتذكر كلمة موجزة عن ذلك الإله أوزيريس الذي ورد بعض أخباره محور الديانة المصرية. فهو لم يكن إلهاً معظماً في أول الأمر، ولكن قصته وعلاقته بالحياة والحوت جعلته يحتل مكان الصدارة بين الآلهة فأصبح من أهمّ الآلهة المصرية. وسوف نتحدّث عنه بإسهاب في الفصل الخامس. ولو أنا نجد لزاماً علينا أن نشكر في هذه العجالة بعض الصفات البارزة الخاصة بهذا الإله دون المزايا العديدة، وهل كانت تلك المميزات معروفة عنه في عصوره الأولى، أم أنها ظهرت وتكوّنت على أثر ظهور قصته المشهورة؟ فالإله أوزيريس بسبب إلهه كل التطوّرات التي تحدث حتى مطلع الأرض طوال العام[2]. فإذا ما أتى الفيضان فأوزيريس هو الماء الجديد[3] الذي يكسب الحقول خضرة. وإذا ما جفّ النبات وذبل، فمعنى ذلك أن أوزيريس قد مات. ولكن موته هذا ليس

---

(١) لقد أصبح ممكناً أن يكون هذا هو المعنى لتحوت. انظر: A. Moret, Mil. du Ramesseum, 269.

(٢) قارن Ed. meyer, Geschichte I² § 178 وراجع أيضاً [illegible]

(٣) قارن Pyr. 25; 589, 767.

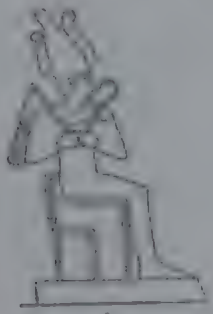

٢٨ ـ أوزيريس

٢٩ ـ من جنة أوزيريس يتزع النبات

«الحبوب الجديدة»[1] طعام الإنسان[2]، ثم «المياه الجديدة» التي[3] تكسب الأرض خصبها، فهو الذي يكسب الشباب بعوائد المحصول، تخرج من البيهة[4] بل تغمر البحار والمحيطات ثوائبه[5]. وكان يسمى «الكبير الأعظم» إلا المصريين سموا البحار باسم «الأعظم الكبير» ثم أطلق عليه أيضاً «الأسود الكبير» لأن المصريين كانوا يسمون البحيرات الكبرة باسم «الأسود الكبير».

وبجانب معتقد المصريين أنا هو المطر الذي ينهمر فوق سباع الجبال إذ ... يسيل الماء منحدراً عن وجه الأرض ويخترق طائفة فوق الطبقات ثم ينفذ أوزوريس بالأرض الخالدة فوق قمار جلوده «ست» الذي يحدث وفي الحين البيضاء لعهد أوزوريس الذي يحكم عليها الأموات تأله ثم نمت الأرض. والأرض من فوقه والماء ينبع من قدميه[7].

ولن أبسل هذه الفقرات هي تلك التي كتبها مصري حائر في عصر الدولة الحديثة متحدثاً فيها عن بعض هذه الصفات فيقول:

«توقد الأرض قاطبة، على أوزيريس النبيت وتزلزل زلزال زلزالها إذ تحرك، ويجري النيل من عرق أصابع يديه، يهب الناس (الحياة) من أنفاسه، وتنمو فوق الأشجار والنباتات والحبوب وجميع الثمار، ويجثم فوقه كل ما تشيده يد الإنسان من قنوات ومنازل ومعابد وآثار ومقابر وغير ذلك من الأشياء

---

(١) ويطلق عليه اسم «فخري» بمعنى «حبوب» وذلك في مقبرة سيتي فارن Sir. iv. 8. Kamm 18.5.

(٢) قارن Bibl. Nat. 20. Osiris hymn. 4.

(٣) Pyr. 589, 767.

(٤) Pyr. 848, 868.

(٥) Pyr. 628 ff., 847, 1631.

(٦) Pyr. 388.

(٧) قارن Diod. I.87. Diod. Geogr. Inscr. III. 18 وراجع أيضاً Mac Dowal. III. 39

المقدسة التي ليس من اليسير تدوينها دون أن يثن أو يتضجر من العبء الذي يحمله»[1].

«المجموعة حتى الآن أن الوعل أندوتي كان في مدينة «ددوة» التي سماها اليونان «أوزيريس»، أي بيت أوزيريس، ومن هذه المدينة انتشرت عبادة هذا الإله في جميع أنحاء مصر [illegible] وبناء على ذلك، فإن هذا الضريح يعتبر [illegible] كثيرة هو من القطع التي تحتفظ بها المتاحف المختلفة في أوروبا. [illegible] كان يرمز إليه ويعبد في شكل عمود [illegible] وليس أدل على هذا من أن [illegible] القديمة، (أي حوالي ٣٠٠٠ ق. م) ومنذ ذلك العصر أصبحت [illegible] المدن التي تعتبر المركز الرئيسي لعبادة أوزيريس. ويلاحظ أن أوزيريس منذ عهد [illegible] يتمتع بصور على هيئته، بمعنى أنه ما دام ميتاً فيجب أن يكون [illegible] وكثيراً ما نجد [illegible] وهو [illegible] يديه عصا الحكم [illegible]

أما في عبادة الشمس «رع» (في الدولة) فقد صور على شكل آخر ليس الأمر، نأمل في مناقشتنا أن نفسر هذا الشكل فإنه كان يمثل عقائد [illegible] [illegible] وكانوا يعتقدون في عهد هذا الإله بإقامة ذلك [illegible] ربما كان نستنتج من ذلك أن يشيروا إلى أن الحياة قد دبت في الإله [illegible] وهذا الرمز يسمى عمود «دد» من أقدس الرموز عند المصريين.

---

(١) قارن Erman, Litt. S. 376.

(٢) راجع أيضاً Pyr. 745, 1833, 2196، وكتب عن ذلك أيضاً Ed. Meyer, A. Z. 41, 67, ff.

(٣) [illegible] يعتقد بعض الناس على أنه نوع من النحاس، والبعض الآخر يرى فيها مجموعة من سبائك [illegible] (Schäfer, in der Festschriften von Griffith) وعلى كل حال فمن المراجع [illegible] في. فقبل أن نعلم يحتاج الناس لرفعه في الهواء إلى حبال سميكة.

يبدو جلياً في الكتابة المصرية عليه تحت الأسرة. لاحظ ذيل ذلك
لاعتقادهم بأن الإله ولو أنه ميت إلا أنه باقٍ. ومن المعروف أن المصريين قد
أضافوا إلى رمز أوزيريس هذا رمزين آخرين: الأول لزوجته إيزيس، والآخر
لابنه. أوزيريس ولقد اختفى المصريون بمعظم أعمال هذه الإضافات التي
يرجع أقدمها إلى عهد [illegible]

٣٠ ـ رموز أوزيريس (وإيزيس) وأنوبيس

آلهة الموتى

إذا كان أوزيريس قد ظهر لنا كإله للموتى عند المصريين أجمعين، فمن الصعب علينا أن نعتقد أن هذه الصفة لازمته منذ أول العصور. لأن موتى كل مدينة يرقدون مجتمعين في جبانة واحدة تقع بالقرب من هذه المدينة. ولا بد أنهم كانوا تحت رعاية إله محلي خاص بهذه الجبانة[1]. وغالباً ما تأخذ مثل هذه الآلهة المحلية للموتى شكل ابن آوى، أي الحيوان الذي يجوب المناطق الصحراوية ليلاً حيث تقع هذه المقابر باحثاً عن فريسة (طعام). وهذا هو الشكل (الرمز) الذي اتخذه سيدُ أهل الغرب[2] (أي الموتى)، ولو أن أوزيريس في أبيدوس قد انتزع هذه الصفة لنفسه، وأنوبيس الذي كان يرمز له بابن آوى والذي كان إلهاً للدفن منذ عصور الدولة القديمة[3] وصل إلى مكانته هذه لأنه ذكر في

---

(١) كان وفي أول الأمر هذا هو رأي ماسبيرو.

(٢) قارن Pyr. 220، وراجع أيضاً Ed. Meyer, A. Z. 41, 97 ff.

(٣) Urk. I, 120; 123.

[illegible] الآلهة الذين ورد ذكرهم في هذه القصة ظهروا في
الصورة الآدمية، نجد أنوبيس فيما عدا هيئته الشكلية، وكذلك تل أبيب فقط هم
الذين [illegible] وكان موطنه الحقيقي على الأرجح مصر الوسطى.

[illegible] أنوبيس [illegible] وأوزير [illegible]
[illegible] وأوزير [illegible] وهو أن أنوبيس [illegible]
[illegible] وهو [illegible]
[illegible] أوزير [illegible]
[illegible] أوزير [illegible]
[illegible] أوزير

[illegible] في التصوير المصاحب أنه يقدم للملك [illegible] صور صقر الإله حاملاً
[illegible] الذي يعبد الطريق له بين الأعداء.

(٢١) أبيدوس، معبد الملايين
من أحد نقوش جدرانه

الكباش والنيوس

إن بعض الآلهة التي وقع بين الآلهة التي مثلت على شكل أبو الهول وقد أصبحت أيضاً فيما بعد يطلق بالآلهة التي اعتقد أنها مثلت على شكل الكباش. وبعض لا يستطيع أن نفرق بينها إلا في حالتين: الأولى الخاصة بالتيجانات المقدسة للإله أمون في طيبة التي تصور بقرون طويلة إلى أسفل ومستقيمة فوق الرأس، والثانية التي يتميز بقرون أقصر تتخذ في التجاعيدات متعددة فوق الرأس. [illegible] اليونان أنفسهم يصفون هذا النوع الأخير فيتحدثون [illegible] والثاني الليبي. ونحسن صنعاً لو أننا أخذنا بهذا التقسيم. وأهم الآلهة التي مثلت على شكل الكبش هو الإله «خنوم سانتس» معبود جزيرة هرقليوبوليس الواقعة جنوباً بالقرب من أهناسيا، والذي أراد كُتّابه أن يجعلوا منه في العصور المتأخرة إلهاً للعالم، فيناه الشمس والقمر ويخرج من أنفه الهواء[1]. وكان اسمه «الكائن فوق الجزيرة». ومن هذه التسمية نستدل على أن معبده كان يقع عند المدخل الموصل إلى أرض بحيرة الفيوم. وتتصف الآلهة الأخرى التي أيضاً تمثل الكبش والتي تحمل اسم خنوم بصفات مختلفة، فأحياناً يعتقد البعض أن خنوم هو الإله الذي يخلق ويكوّن، مثله في ذلك مثل الإله بتاح إله مسفيس. فخنوم يعمل عمل

---

(١) قارن Urk. II, 3.

[illegible] إلى دولايه[1] يخلق البشر، وكل طفل يولد هو من صنع [illegible] بمنذه بالشكل له خلق أعضائه السليمة[2] ويسكن الإله خنوم [illegible] [illegible] البادرة[4] التي تنبع من هذا المكان، وهي عقيدة قديمة ترجع إلى أول العصور. [illegible] الجنوبية، وهم الذين أعطوا هذه الصفات لإلههم هذا المحلي.

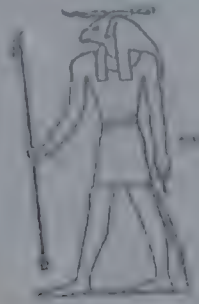

٢٢ ـ خنوم

[illegible] كانت في شمال مصر. فمثلاً القبض الذي [illegible] في منديس [illegible] عقيدته حتى العصر اليوناني. ومع [illegible] ملاحظته مع هذا [illegible] من الآلهة أنها لم تكن مثل الحيوانات المقدسة الأخرى التي تسمت بأسماء [illegible] بل اتخذ التحنيط بل أطلق عليها اسم القبض[5] ولم يحدث أن صورت [illegible] شكل كبش. وربما يمكن أن نعلل هذه الظاهرة بأن الشعب بالنسبة إلى هذا [illegible] من المعبودات لم يسمح بتطور أشكالها، بل أبقاها كما عرفها منذ أقدم العصور. وسوف نتحدث عن الأدوار المهمة التي لعبتها هذه الآلية في الديانة المصرية.

---

(١) L. D. IV. 70 ff.

(٢) Pap. Westcar 10,2

(٣) Urk. I. 69

(٤) Urk. I. 110. 113

(٥) Ed. Meyer, I 2², 178.

الآلهة ذات تمساح

وهناك إله يجدر بنا أن ننوّه عنه بإيجاز سمي باسم «سوبك» وهو التمساح الذي عبد بصورة مجلى في بعض مقاطعة مصر العليا. [illegible] في مدينة [illegible] وكان [illegible] يضحك عندما يأتي الفيضان[٣]. ولم يستطع الفنان من أن يصوّر هذه الإلهة ترضع تمساحاً من كل من ثديها.

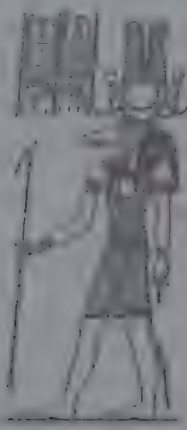

٣٤ ـ سوبك

وأهم مكان انتشرت فيه عبادة «سوبك» كان أرض البحيرة في الفيوم، ثم في مدينة أمبوس الجنوبية، إذ اعتاد الناس الاحتفال هناك بظهور الفيضان كل عام، ويعتبر هذا دليل أنه كان إلهاً للنماء. وقد عثر على صورة له قديمة لا ترتبط بأي مكان في معبد نقش في محراب صغير[٤] فوق «ذراعي» وعلى الصدر يلتقي

---

(١) [illegible] Pyr. 507, 510 ويجدر بنا أن نلاحظ بأن المصري القديم رأى التمساح مستقراً فوق الشاطئ، فاعتقد أنها تكسبه الخصب.

(٢) Pyr. 510.

(٣) قارن Erman, Litt. S. 195 عن أنشودة النيل.

(٤) قارن Relief aus dem Sonnentempel von Abou Gurab in Berlin

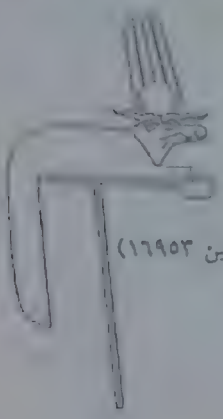

٣٥ ـ صوبك من معبده في الفيوم (برلين ١٦٩٥٣)

الثعابين وآلهة صغرى أخرى

وكان الضفدع والرعب أيضاً هما العاملان اللذان دفعا المصريين إلى تقديس كائنات حيوانية أخرى مثل العقرب والحشرة السامة الكبيرة ذات الألف قدم، ثم أخطر الثعابين السامة المعروفة باسم «الناشر»، فالعقرب هي الإلهة «سلكت». أما الحشرة ذات الألف قدم فقد عبدت في هليوبوليس تحت اسم الإله «سواه». أما الثعبان السام فقد عبد في شكلين مختلفين كما عرفنا ذلك من قبل: أولهما هي الإلهة «بوتو» حامية ملك مصر، والثاني هو العمل حتى إله الشمر ورعيله. وانتشرت الثعابين المقدسة في مصر إلى درجة أنه في العصور القديمة أصبح اسم كل إله يختص برسم ثعبان مثل الصقر الذي اعتبر مخصصاً لكلمة إله (في الكتابة المصرية القديمة) بل أكثر من ذلك صورت

---

(١) قارن Morgan, Ombos II, 78, 627 C.

الآلهة الصغيرة الطيبة «رتن أوتت» إلهة الحصاد على شكل ثعبان[1] ثم بعد ذلك أصبحت العادة تحتم أن يحتوي كل معبد نموذجاً حياً من هذه الثعابين وعلى كل حال فقد كانت كل مقبرية تحتفظ بعدد أكبر من المعبودات. والأشياء التي لم تعتبر آلهة، ولكنها كانت ذات صفة إلهية. فمثلاً مسلة هليوبوليس قدست مثل الآلهة التي سبق أن ذكرناها حيوان الفينكس الذي تشاكل أقوم بشكاله جداً بدأ العرف بينه وبين أبو قبير[2]. وفي غير ذلك من أعداد المعبودات فقد لبس أشكالاً مختلفة مثل الأسماك والطيور والثعبان والأنسجة وغير ذلك. غير أن الصور التي تظهر لنا على جدران المعابد، والتي تمثل الديانة القديمة لم تظهر لنا شيئاً من هذا النوع من المعبودات الدنيا إلا أننا لا نشك مطلقاً في أن هذه المعبودات كانت منتشرة بين أفراد الشعب.

وسوف نتحدث عن بعض هذه الآلهة الصغيرة مثل «بس» و«تويريس» عند الكلام على الآلهة الشعبية في عصر الدولة الحديثة. ومما تجدر ملاحظته أنه كلما طال الزمن على الديانة المصرية وامتد بها الدهر كلما سمحت الظروف لهذه المعبودات الدنيا أن تتسرب إلى المعابد وأن تجد لها مكاناً مرموقاً بين آلهة الديانة الرسمية.

وكثيراً ما اعتبرت هذه الآلهة الصغرى كمساعدين للكبرى. فمثلاً «أبيس» و«ميفيس» (راجع صفحة ٤٩، ٥٠) و«مافيديت»[3] المرعبة التي ظهرت منذ أقدم العصور، وكذلك الـ «أوب وات» الذي سبق الحديث عنه، كلها تعتبر من هذا النوع من الآلهة. وكذلك أوزيريس رب الموتى كانت له رسل[4] يرسلها من

---

(١) وكانت قديماً تعتبر أيضاً إلهة النسيج، قارن Pyr. 1755, 1794

(٢) قارن A. Z. 63,5 وقارن أيضاً Daressy, Ann. du Serv. 18,176

(٣) قارن Griffith in Royal Tombs II, 50.

(٤) ويظهر ذلك جلياً في قصة حوريس وست Horus und Seth. 15,5 ff. Gard. I. E. A. IX. وراجع أيضاً Pap. Smith 19,12، وكذلك Totb. 29, I; Totb. 125, Einleitung 16، وكذلك Pap. Smith 19,12 حيث وصف أنه رسول الإله الضماخ.

عالمه الذاتي إلى الناس لكي يعلنوهم بالموت.

الفصل الرابع

تتبع التطورات التي حدثت للديانة المصرية

إن الأحداث الكثيرة التي استهدف لها الشعب المصري خلال تاريخه الممتد لا بد وأن أثرت هي الأخرى على ديانته. إن مصر كانت دولة متحدة قوية، ثم انحلت وانقسمت إلى إقطاعيات، وانزوت أسرات ملكية، وحل محلها بيوتات أخرى اختارت لنفسها عواصم أخرى وحدثت تلك الثورة الجامحة التي هزت مصر هزاً وقلبت الأوضاع فيها قلباً، فغزتها أمم متبربرة، ثم ما لبثت مصر أن غزت هي بدورها أمماً أجنبية. كل هذه الأحداث أثرت على الديانة المصرية، سواء في مظاهرها الخارجية أو في أحاسيس الأفراد. ومهما يؤسف له أننا نتصور كل هذه الأشياء ولا نتفحصها، ونراها رأسية حتى إلا في حالة واحدة ألا وهي الإصلاحات التي قام بها أمنوفيس الرابع. وسوف نكتفي بالحديث عن هذه الأحداث التاريخية في حينها، ولكنها نود هنا أن نتعرض للتغيرات التي أخذت تدخل الديانة المصرية دون تأثيرات خارجية.

وإذا وجد في مدينة واحدة معبودات عديدة تحظى بتقديس الناس فليس من شك أن هؤلاء لا بد وأن يتصوروا وجود علاقة ما بين هذه المعبودات. فإذا كانت إحداها إلهة كبيرة والآخر معبوداً صغيراً فلا مندوحة هناك من أن يعتقد الناس أن الإلهة هي الأم والمعبود هو الابن، ففي طيبة أصبح خنسو ابنا للإلهة «موت»، وفي دندرة أصبح «ايحى» ابنا لحاتحور يجلس على حجرها[1]، وفي

---

(1) Lacau, Text. Relig, S. 133.

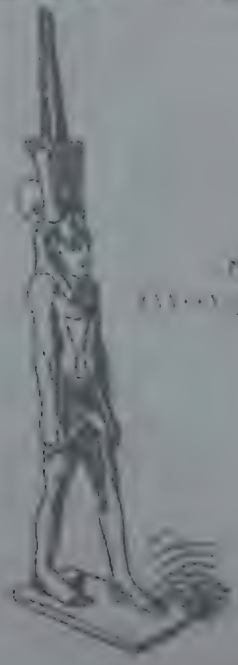

٣٣ ـ الإله أوزوريس
أبيدوس (٢٤٠٠ ق.م)

[illegible] أوزيريس» ونرى بوضوح من هذا المثال أن [illegible] ولكن [illegible] الشمس - لأن [illegible] ويشاركه [illegible] الشمس. والواقع [illegible] أوزيريس برمز الحبوب. ولو أننا لا نستطيع إثبات ذلك. ومن الأدلة التي تحبذ [illegible] الشمس، ويجمع [illegible] ذلك [illegible] وهناك [illegible] أوزيريس التي أصبح [illegible] إلهات مختلفة. فسميت مثلاً «سيدة جوزار» لأنها لو كانت في بدئها الإلهة الأصلية على شكل الثعبان[1]

ومن الحالات التي كان لها نتائج خطيرة الخلط [illegible] في إله الشمس. وأول إله التصق [illegible] إله هليوبوليس القديم كما ذكرنا ذلك [illegible] وسوف نعود إلى ذلك في مناسبة أخرى على صفحات هذا الكتاب.

ولقد أخذت عبادة الشمس تنتشر منذ عصر الدولة القديمة. ولعل السبب في ذلك أن ملوك الأسرة الخامسة الذين حكموا مصر من عام ٢٤٧٠ إلى ٢٤٢٠ ق. م ينتمون إلى كهنة هذا الإله، فأصبح هذا المعبود أكثر المعبودات تقديساً عندهم. وعلى كل حال نلاحظ منذ الألف السنة التالية كيف أن الناس قد أضافوا في كل مكان اسم «رع» (الشمس) على أسماء الآلهة القديمة، وهكذا نراهم أن يضيفوا على الآلهة «منتو» - رع» و«خونسو» - رع» و«حورس» - رع» وغير ذلك نصيباً من القوة التي تتمتع بها إله الشمس الذي كان يتصرف في مقاليد العالم أجمع. ولو أنها في حقيقتها لم تزد عن تلك المعبودات التي يمثلها الصقر والكبش. وأصبح أيضاً آمون الإله المحلي لطيبة منذ عصر

---

(١) فرد ٤٤ ،Wb. ،Pyr. ويلاحظ القارىء أن في هذا تقريب لأدلة هذه الحجة.

[illegible] واحداً. ولقد اختلف العلماء في أيهما الأقدم، إله الشمس مركز «ست» معبود مصر العليا بالنسبة إلى «حوريس» معبود مصر السفلى والنوبة. ولا يمكن [illegible] هذا التفاضل إلا أنه تأثر بحدث تاريخي نرجح أن يكون ما [illegible] المصرية خاصاً بظهور دولة غارقة في القدم سمي ملوكها «خدم حوريس». ويخيل إلى الذهن أن هذه الأسرة الملكية، حيث حكمت النفوس [illegible] أن تعتبر من الآلهة ومن هنا نشأ هذا الاختلاط الذي أشرنا إليه حين [illegible] حول أصل الآلهة في العصور التاريخية. وانتصرت عبادة الشمس في النهاية المصرية «المختصين للإله» و«المسنت» وأصبح حوريس قبل كل شيء المثل الأعلى للملك، فهو الإله الذي كان أول من حكم الناس، وبذلك كان كل من [illegible] من الملوك خلفاءه ومثليه. ولقاب الملك يلقب حوريس [illegible] أنه إذا أراد أن يتوقر به يسمى الإله لقب بحوريس الذي يمثل العصر والملك الرهم [illegible] الألقاب التي يدانيه حوريس من مكان البلاط الأسرة [illegible] من عهد الدولة الوسطى سمي الملك «حوريس»[3]. ويبدو أن الملك ليس إلهاً مثل بقية الآلهة تشيد له المعابد وتقدم له القرابين، فلم يبلغ تأليهه هذا الحد. فإذا ما سمي بحوريس أو الإله الطيب[4] أو إذا ذكر أثناء الحديث باسم الإله[5] فلا يعتبر ذلك طريقة مهذبة للتعبير عن خضوعهم التام له، حتى إذا ما شاع هذا الاستعمال اللفظي لم يفكر أحد في معناه الأصلي. ولقد بالغ المصريون

---

(١) لقب حوريس هو أعظم الألقاب. أما لقباً ملك مصر العليا ومصر السفلى فلم يكونا غير تعيين لوظيفته الدنيوية.

(٢) Urk. I, 138.

(٣) Kahun Hymnus, Erman Litt, S 179.

(٤) انطلق عليه في أقدم العصور «الإله العظيم» وهو لقب لم يستعمل قط بعد إلا عند الحديث عن الآلهة الحقيقيين Urk. I, 8.

(٥) فمثلاً ورد ذلك في اللقب القديم «رئيس خزانة الإله» أو في التعبيرات التي يتحدث فيها الملك فيها «الإله» Urk. IV, 20.

[illegible] في استعمالهم لمثل هذه الألقاب مع الملك فقالوا عنه إنه «الشمس المضيئة الذي إذا شعشت كان النهار هو الذي ينحدث من قبله» أو «هو حيوان ناري تلزمه نصيب فوق الأرض». وهكذا لا يمكن أن تسموي القابه «حوريس» و«رع» مع معنى حقيقي يختلف عن الأمثلة التي سردناها فيما سبق.

وهناك لقب آخر أضافه ملوك الأسرة الرابعة على ألقابهم، ومن المحتمل أن أول من استخدمهم شيخوفو، وهذا اللقب هو الذي يرجع أن يكون نوع من تحسين [illegible] ثم بقي هذا اللقب ثابتاً من بين الألقاب الملكية[1]. ويمكننا تخمين أن هو [illegible] لكسر السبب الذي من أجله اتخذ هذا اللقب، ولرجعه إلى ذلك الاعتقاد [illegible] الذي سيجيء بعض الشيء الأخير في عصور متأخرة، والذي يقول بأن الملك ولو أنه ابن لأبيه من الناحية الفعلية إلا أنه في نفس الوقت هو ابن الآلهة [illegible] وأكثرها قديماً. ولسنا في استطاعتنا طبعاً أن نفسر مرجع هذا الاعتقاد وأصله [illegible] بقوله ذلك، خصوصاً وأن أسباب فيما الخلاف السحرية لا زالت قابلة بسيطة.

ويظهر أنه من الصواب أن نفسر اللقب متمسكاً بفكرته هذه في القصة التي [illegible] حوالي عام ٢٧٠٠ ق. م والتي تتحدث عن ملوك الأسرة الخامسة، وتبين أنهم يتحدرون من إله الشمس. فتقول إن الربة «رد جد» حين كانت على وشك الوضع، وكانت تحمل توءمين [illegible] الذي والثاني «ساحورع» جاء إلى ربها إله الشمس «رع» وأخبرها بأن أحد [illegible] سيكون ملكاً على مصر من بينهم ملوك يفوق تقديسهم تقديس الآلهة، فطلبوا منه أن يساعدهم في تنفيذ مشروعهم المقدس. فملوك يشيدون المعابد ويقدمون القرابين على المذابح ويكثرون منها على الدوام ويجعلونها كثيرة وافية»[2]. وهكذا [illegible] ولدا التوءمين من تحته إلى أسفل فولد «رن» وجعلها تسيل منه وتلد [illegible] الآلهة [illegible] أشكال ثلاثة بالكورة حول جديد. فأعطاهم خنوم الذي يصنع الناس أعضاء [illegible] أجسامهم ليرمي أجسامهم، وتبنت مسشنت إلهة [illegible] أنهم ملوك عظماء فيبنون شؤون الملك في هذه البلاد بأجمعها».

[illegible]

[illegible]

وهؤلاء هم الملوك أومركاف، وسحوورع، وكاكاي - أول ثلاثة ملوك من الأسرة الخامسة الذين لم يوالوا تشييد الأهرام بالحجر فكان لكل منهم هرم من اللبن أو كتلا منهم؛ [illegible] في القصل التالي. ولم يتم بناء أي من هذه الأهرام الثلاثة من الحجر قام أي منهم بتشييد معابد كبيرة.

وهذه القصة الخرافية حبكها وأخذ يسردها رجل من الرجالات الموالين لأسرة الملك خوفو؛ ويبدو أنها تشير إلى [illegible] إلى ثورة الشعب وتمردها على الملوك الذين أقاموا هرمي جيزة العظيمين[1]. وتشير هذه القصة إلى أسرة شبه ملكية أقامت حكمها في معبد من عهد الدولة الحديثة. والإله الذي هو أمون. ثم نجدها أيضاً في معبد من معابد العصور المتأخرة للإله ابن سوبك.

وكما كانت العادة في القصة الخرافية نجد في طيبة أن الإله أمون أراد أن يجب منكاً يقوم بتشييد «منازل» للآلهة وتكثر على يديه القرابين التي تقدم لها وهو يعلن هذا إلى الآلهة أجمعين الذين يعدونه بحماية الملك المرتقب ويبعث الإله أمون رأى شابة وجد فيها ضالته، فأرسل «تحوت» لكي يستعلم عن أحوالها، فرجع تحوت وأبلغه ما يأتي: «هذه الشابة التي تحدثت في شأنها اسمها أحمس وهي أجمل من أية امرأة في هذه البلاد، وهي زوجة الملك تحوتمس» وعندئذ «تقمص أمون شكل زوجها الملك تحوتمس» وقاده تحوت إلى الملكة التي وجدها مستلقية تستريح في قصرها الجميل «فاستيقظت الملكة على عبير الإله، وضحكت لجلالته، فتوجه إليه الإله وجسده يحترق بنار الحب وأفصح لها

---

(١) وأسلوب هذه القصة يدل على أنها دبجت وكتبت في عصر الدولة الثانية Pet. IV 241 ff. وهذه القصة في مجموعها تعتبر نموذجاً جميلاً لأسلوب النثر، ولكنها تحملت الكثير المضطرب الذي وصلت به إلينا بعد أن أراد الناسخون مرحها مصحوبة بصور ورسوم لتشهها على حساب الصعيد، ولا ندري تماماً الصعيد الأول الذي دبجت حوادثه هذه القصة، وأول نموذج وصل إلينا هو ذلك الذي نقش على جدران معبد الملكة حتشبسوت الثالث (Berlin. Aeg. Inscrh. I, 208) ومن عصر الدولة الحديثة وصل إلينا نموذجان الأول للملكة حتشبسوت (Naville. Der el Bahari II. 46 ff. Urk. IV. 216) والثاني للملك امنحوتب الثالث (Gayet, Luxor 63 ff).

وانتهم الإله معها كل ما أراد، وتركته يسعد بها وقبلته «ثم تحدثت السيدة احمس» إلى جلالة هذا الإله آمون قائلة: «يا سيدي، ما أعظم قوتك، وما أعظم أن يرى الإنسان جمالك [illegible] لقد أسبغت على جلالتي نور عظمتك [illegible] إني في أثر أسعادي، بعد أن نلت جلالة هذا الإله كل ما أردته [illegible] آمون إليها قائلاً: «اخنمت آمون حتشبسوت» هو اسم هذه الإبنة التي وضعتها في صفتك وطبيعتك تبعاً للكلمات التي نطقت بها الآن. وذلك لأن [illegible] تتكلم مع الإله استحسنت أعضاء احمس» بمعنى «الورود» و«النيل» يعطي [illegible] رمز هاتين الكلمتين اشتق الإله اسم الطفل الذي سيولد. ثم أعلن الإله بعد ذلك بأن أمر بتنفيذ هذا النسب الملكي في جميع البلاد، وبتنصيبه على عرش والده ويتحمل ليحكم، وسوف تحكم الشعوب وتقود الناس أجمعين. إنها حتشبسوت فلا وصمة يجب أن يحتمل العمل، ولذلك تقف أمون «الإله خوجا» وهو المحارب الذي يصنع فوز دولاته فعلاً ماثلاً من نصوذجين الأول أحمر، والثاني أبيض «وح الضوء» وهكذا كتب لهذا الطفل أن يكون من أهل البهجة والسعادة والصحة، تطيعه كل الأمم والشعوب، ويملك القوت

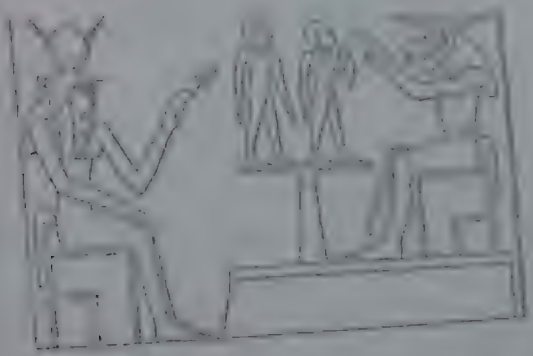

٣٧ ـ خنوم يشكل على دولاب الفخاري الملك وقرينه والروح الحامي حاتشبسوت تقديم رمز الحياة (عن ادمونز Edmonds)

والملك. وكتب له أن يجلس على «عرش حوريس» يحيط به جلال «روع» كملك.
وأنها أمر بذلك أبوه «آمون رع» الذي يحبه. وتحدث «حتحور» «ملكة الجنوب
ومعها القداسة الإلهية «حقيت» إلى مكان الولادة الذي تتوقف عليها الأبدية
«مسخنت» وهكذا رأى الطفل نور الدنيا مرفوعاً بأحسن ما يفكر المصري أن يتمناه
لملكه. وظهر كملك لمصر العليا والسفلى الذي سوف يحتفل بعيد أبيه قبل

وتعلن [illegible] على الأرض مولد [illegible] في حفل
هذا أيضاً أن «حاتحور» «أعظم الإلهات شأناً لحضور الميلاد» لكي توفق [illegible]
«حتشبسوت» بعد أن ولدت [illegible] وأنه أن هذه هي ابنته التي هي من صلبه، «فضلها وطوقها بقلائد وأحبها أكثر
من كل شيء ورباها وقال لها: مرحباً، مرحباً بنتي حبيبتي من صلبي، وهنا
يعنينا هنا كيف أن آمون طلب إلى آلهات عدة أن يرضعن الطفل، وكيف أن البقرة
السماوية قد أرضعتها، وكيف ترعرعت ورحب بها من آلهة البلاد، وكيف أنها
في آخر الأمر قد جلست على عرش البلاد بين تهليل الشعب المصري. وذلك
لأن هذه الفترة من حياتها الأرضية لعب أبوها الآدمي الدور المهم فيها.

وقد نقشت عبارات وصور هذه القصة - كما أسلفنا - كمستند رسمي فوق
جدران المعابد. ونكاد نجزم بأن الملك والملكة الأم لم يريا بأساً في هذا. ولم
تكن هذه هي القصة الوحيدة التي دوّنت، بل هناك قصص أخرى كتبت بطريقة
سافرة. فمثلاً نرى أن «بتاح تاتن» قد أكد لرمسيس الثاني أنه قد تنبأ بالأعمال
العظيمة التي سيصنعها له هذا الملك فقال: تقمصتُ صورة «تيس مندس»
واضطجعتُ بجانب أمك الجميلة لكي تلدك وأصبحت أعضاؤك كلها إلهية»[1].
هذه القصة دوّنت فوق جدران معبد أبي سنبل الصغير[2] الذي بناه رمسيس

---

(١) قارن Rougé Inscriptions Hieroyl. 131, 3.

(٢) قارن L. D. III. 194 كما قام رمسيس الثالث بنقش هذه القصة فوق جدران معبده بمدينة هابو.

...ني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وليس من شك في أن تعبير الإله ...
...لمصر عبورة الفجر ... بدا من الشرق.

... ويبدأ الآن السكان ومن الآلهة الذين يساعدون الملك ليوم، ورأسه هو حتى إلى
... الشرق ويحمل رأسها على هيئة رأس الشمس الصورة في معبد الأقصر انظر:
Gayet, Luxor, pl. 66.

... يوم الملك قد ولد فإن الإله فلا بد أنه لا يموت ميتة الآدمي. فإذا ما
... الجسد الميت فهو يصعد إلى السماء ويندمج في قرص الشمس الذي خرج
منها[1].

وحيثما أشير أخيراً التشبيهات المأخوذة من تلك الحقيقة التي اعتبروها من
... الآلهة والكائنات الإلهية؛ فهو يحمل فوق رأسه الفصل مثله في
... الشمس. والفصل كما قدنا فيما سبق هو ذلك الثعبان الذي يحرق
... الشرير. وأصبح الفصل هو الرمز الملكي يضعه الملك فوق جبينه
... فوق تاجه. والمتتبع من ذلك أيضاً أن أصبح الملك كنتيجة لهذه الاعتقادات
... يعمل حراسة الآلهة، فهو منهم ومن أبنائه وهو ابن لهم. ومن الطبيعي
... علاقة البنوة بين الآلهة ثم لكن تختلف اختلافاً جذرياً. وكان كل إله أو إلهة
... يحدثه على أنه ابنه أو ابنها كما كان يدعوهما على أنهما أبوه وأمه.
... حتى في الزمن القديم أن الثالوث بأكمله وهو مؤلف من تسعة أشخاص

(1) IV 53

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المقدسة هو الذي أعطى الناس الكلمات والكتابة. ومن أجلهن له معرفة
[illegible] بأن يمنحه المعرفة ويعلم الكاتب الحساب[1] التصحيح، وعلم
[illegible] لأجل الكتابة بدقة في معبد. ومن أجل ذلك أعطى [illegible]
[illegible] من هذا الجنس في الفصل السابع «المترجم» «ومرسيس مشت العظيمة»
أعظم آلهة مصر مذ[illegible]

وكان للإله «تحوت» زميلة تقاسمه وظيفته ككاتب وعالم هي الإلهة
[illegible] وسجل [illegible] أو تشكتات[2]، و«ساشت» هي الإلهة الأولى

٣٩ـ ساشات من معبد سخوزو
(الأسرة الخامسة)

التي كتبت[3]، وقد كانت في الأصل هي الإلهة الكبرى[4] ووظيفتها أن تسجل
أعمال الملوك[5] وتعلن أسمائهم على شجرة في معبد «هليوبوليس»[6] بينما
يقوم «تحوت» بتسجيل مدى كل ملك على غصن طويل (راجع لوحة رقم ٢).
وهناك رسمة أخرى لشجرة الإلهة «ساشات» في الأهمية هي الإلهة «ماعت» رمز

(1) [illegible]
(2) [illegible]
(3) وكتبت في معبد دندرة Düm. Geogr. Inschr. IV. 134.
(4) [illegible] لم تعرفها في أساطير أخرى ولا نعرف شيئاً في هذا الخط إلا
[illegible] في صورتها التي شهرت بها في قصة أوزوريس، وعلى كل حال فقد
[illegible] من ساشات [illegible] وأوزوريس
Brochardt, Gemeinsch. des Lebens T.2, [illegible]
(5) [illegible]

لوحة ١ ـ أتوم وسشات وتحوت يكتبون أسماء رمسيس الثاني على الشجرة المقدسة في هليوبوليس (من الرمسيوم I. D. III 169)

---

(١) يرجع عدم تصورها كإله إلى أن الإسم يعتبر مؤنثاً.

(٢) راجع Monuments, Dendara, I. 73 A; II, 26; III, 38.

[illegible] أشرب من نداماه»[1]. وكان القاضي الأول والوزير يسمى عند [illegible] ويحمل صورتها فوق صدره كشارة لوظيفته. ثم في آخر الأمر اندمجت [illegible] في تلك المجموعة التي سميت بالحتحور والبقرت «ربة» سيدة السماء، حاكمة [illegible] التي لا مثيل لها»[2]. ومع هذا يجب أن لا ننسى بأنها كانت [illegible] في الأساس فكرة استخلص الناس منها شخصية ـ حالها في ذلك حال فكتوريا عند [illegible]. وهناك طبقة أخرى متعلمة، غير طبقة الموظفين اتخذت لنفسها من [illegible] مجموعة آلهة عالماً خاصاً لهم. نقصد بذلك الأطباء الذين تسع فنهم بشهرة [illegible] الحسنين. فلو أنهم اتخذوا من تحوت قائداً لهم «فهو الذي يمنحهم الكلام والكتابة والذي يصنع لهم قوائم الأدوية (الدفاتر الطبية)»، ويكتب النجاح لكل من اتبعه من العلماء والأطباء»[3]، إلا أنهم اختاروا راعياً خاصاً بهم هي الإلهة «سخمت» إلهة مثلث على شكل الأسد[4]. وفي العصور المتأخرة عندما نسج الوزير القديم «أي أم حتب» إلهاً للأطباء جعلوا من سخميت أماً له.

١٠ ـ سخمت (برلين ٩٤٦٨)

---

(١) Urk. IV 385.

(٢) من عصر رمسيس الثاني Berl. Aeg. Inschriften II, 317.

(٣) Ebers I, 8.

(٤) Ebers 99.? وهناك طبيب الملك سحورع الذي أطلق على نفسه اسماً يحوي اسم «سخمت».

وكذلك استطاع الفنيون والصناع الذين لا تزال أعمالهم تثير بتقديرنا وإعجابنا حتى الآن إلهاً يحميهم؛ فقد وضعهم بتاح إله ممفيس الذي كان هو نفسه ذكراً بين الآلهة، وكان رئيس كهنته بمثابة القائد الأعظم للصناع. وإنه لمن الجدير هذا الإله بالفعل وخصوصاً إبان عصر الدولة القديمة حيثما لعبوا دورهم المهم في حياة ملوك هذه الأسرة[1].

وإذا كنا لم نعثر على علاقات مماثلة لتلك التي كانت قائمة بين بعض الطبقات الأخرى من الشعب وبين آلهة لهم، فإن لهذا ما يبرره، فبالرغم من أن الصيد لم يلعب دوراً هاماً في مصر في العصور القديمة، كما أن الفلاحين وهم السواد الأعظم من أفراد الشعب لا بد أن كانت لهم آلهتهم التي تحميهم وترعاهم، ولكنهم لم يتركوا لنا وراءهم عمارات مشيدة أو آثار حجرية. ولكن الحال تتغير في العصور الحديثة وبدأنا نلاحظ تدخل أفراد هذه الطبقات في الحياة الدينية.

ومما يبعث على الدهشة أن المصريين كثيراً ما تحدثوا - علاوة على آلهتهم المعينة عن «إله عام» ويحدث ذلك عادة في الأدب عندما يفكرون في تلك القوة التي تتحكم في مصائر الناس. فمثلاً يقولون: «ما يحدث هو أمر الله»[2]. «عسى الطيور يسعى ويكافح ولكن الله لا يجعل النجاح من نصيبه»[3]. «ما تزرعه وما ينبت في الحقل هو عطية من عند الله»[4]. «من أحبه الله وجبت عليه الطاعة»[5]. «الله يعرف أهل السوء»[6]. «إذا جاءتكم السعادة، حق عليكم شكر الله»[7]. وربما كان المقصود بالله في كل حالة من هذه الحالات على حدة هو «إله

---

(١) قارن Urk. I, 38.

(٢) Erman, Litt, S. 89.

(٣) Erman, Litt, S. 104.

(٤) Erman, Litt, S. 9 i.

(٥) Erman, Litt, S. 97.

(٦) Erman, Litt, S. 112, 100.

(٧) Erman, Litt, S. 111, Urk. I. 39.

الشمس»[1] مثلاً أو «الملك»[2] أو «الكا»[3] التي ستتحدث عنها فيما بعد
[illegible] عن المعنوم لا بد وأن صاروا [illegible] تلك الفكرة الغامضة عن
[illegible] وهناك فقرة وردت في كتاب قديم من كتب الحكمة[4] تقول
[illegible] وذلك واجب على الناس تقديس صورته كبديل له[5]. هذا إذا لم
المصريون قد قصدوا ما فهمنا نحن من هذه العبارة.

هؤلاء الفقراء الذين كان هذا هو شعورهم وحديثهم لم يكونوا بعض من
[illegible] ولو أنهم في واقع الأمر تعلقوا أيضاً بدينهم الموروث وبقوا عبيد
أمناء لآلهتهم.

---

[1] [illegible] Lit. S. [illegible]
[2] [illegible] Lit. S. [illegible]
[3] Op. Cit. S. [illegible]
[4] Op. Cit. S. [illegible]

الفصل الخامس

أساطير الآلهة

تحدثنا فيما سبق عن الأساطير التي حبكت حول تلك المعبودات البسيطة وأبرزتها وغيرت من معالمها وإن ذلك الفيض الكبير من الإرشادات والتعليقات التي نجدها في كل معبد والتي تفسر أعياده وتقص قصة لكل صورة من صوره لترينا إلى أي حدّ بلغت تلك الأساطير من ذيوع. ولأن المصريين منذ أقدم العصور يعشقون القصص الخرافي؛ لذلك نجد أن هذه القصص قد حبكت وتداولها الناس كأساطير محببة إلى نفوسهم قريبة إلى قلوبهم، لأن الآلهة فيها تشبهوا ببني الإنسان فهم يتعاملون ويحبون ويكرهون، ومن ثم فقد خلعوا عنهم ذلك الرداء الذي يجعلهم بعيدين عن متناول يد الإنسان، ويبدو أن القصاصين قد استجابوا إلى رغبة عامة الشعب وانزلقوا في هذه الاستجابة إلى أنهم ألصقوا بمعبوداتهم صفات لا تتفق مع جلالها وعظمتها، وهذا مما يثير دهشتنا إلى حدّ بعيد. وإذا حدث أن تحدث الناس بقصة معينة عن إله في مكان معين فلا تلبث هذه القصة أن تنتشر في البلاد تختلط تارة وتمتزج أخرى بقصص الآلهة الأخرى الخاصة بالأماكن المختلفة التي تنتشر فيها كما يحدث أيضاً أن تصبح بعض هذه الأساطير مشاعاً بين جميع المصريين.

وفي آخر الأمر لم يستطع الدين الرسمي الذي يعتنقه الكهنة ويمارسونه في المعابد أن يصمد لهذه الأساطير، فتسربت إليه الواحدة بعد الأخرى ولكن بعد أن نزع عن الكهنة بعض الأوهام التي ألصقوها بالآلهة. ولو أنهم لم يستطيعوا

التي حاكتها هذه الأساطير حول الآلهة. فالإله «ست» مثلاً
[illegible] الأعم لم يستطع أن يتخلى
[illegible] الأساطير إلى القلوب الرئيسية
[illegible] وانتشرت عبادته حقيقية من الشعب
[illegible] الإكبار والتبجيل لدى الشعوب التي
[illegible] أن يحرموا منها
في أعماقه.

وهكذا هذه الأساطير بصور مختلفة، فتلك الصورة التي تمثله الحيوان
الرمزي وهي أقدم صورة إذ هي صورة بسيطة قصيرة ولهذا لم تكن
[illegible] أما الصورة الأخرى فهي التي احتفظت بشعبيتها ولكن للأسف لم
[illegible] إلى العصر الحاضر. وأخيراً هناك تلك الأساطير التي تقدم
[illegible] أيها الشرقي العزيز هذه الأخيرة المستحدثة لا يستطيع أن يتصور أن
[illegible] الأخير الرئيس» و«ست» هما في الحقيقة ليسا إلا إلهين. وذلك لأنه
[illegible] هذه الفكرة لا يتعدى تصورها.

ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن هذه الأساطير جعلت من الآلهة كائنات حية
[illegible] بل هي التي دفعت الناس إلى الشعور نحو البعض منهم
[illegible] نحو البعض الآخر بالكره والبغضاء. فالأساطير هي التي جعلت من
«أوزيريس» إلهة طيبة ومن «ست» إلهاً مكروهاً.

وإذا تساءلنا الإنسان في العالم ونشأته فليس من شك أنه حاول الإجابة
على ذلك متأثراً بما كان يلاحظه من مظاهر الطبيعة التي تتغير وتختل طوال
العام فتحيى حظوظ مصر برمتها في نعمة من الفيضان لا تلبث أن تنحسر عنها
[illegible] وتصوروا أن
الأرض أيضاً قد برزت من الماء، وتصوروا أن
جبلاً عظيماً من الأرض كان أول ما ظهر على سطح ذلك المحيط القديم الذي
[illegible] فكان هذا المكان بداية بدء العالم. فهو التل المرتفع في القدم أو
[illegible] الرابي المزدهر الذي ظهر في أول العصور، وحددوا مكانه في مواقع
[illegible] من مصر

وفوق هذا التل القديم ظهرت المعالم الأولى للحياة، إذ سكنت فيه الضفادع والثعابين وهي من الكائنات التي تتفق مع ما يغمر هذا المكان من ظلام دامس. وسميت هذه الكائنات بأسماء نشأت من طبيعة هذا المكان الأول، الظلام، الامتداد، الدياجية وغير ذلك. وكان اسمها الخاص بها، ومدينة شمون تحمل اسمها حتى يومنا هذا (الثمانية). والدراسة التي بين أيدينا عن هذا التل الطيني تبدأ بالتعريف مع طبيعة هذا العالم الغيبي المختلف عن الذي نعيش فيه. وقد ظهرت فيه أوزة الصحراء بجؤجؤها الذهبي الذي تطاير واضعاً البيضة الشمس التي طارت بمخالبها الوردية لتجل ذلك سميت «الصاعية الكبيرة» فوق سطح الماء. وكان ذلك بمثابة الشيء الأول والصوت الأول الذي أحدث الظلام الدامس، وانطلق في ذلك الصمت الأزلي الذي خيم فوق العالم.

٤١ ـ إله الشمس الشاب في زهرة اللوتس

وهناك أسطورة أخرى تقول بأن زهرة لوتس نبتت من الماء الأول[٢] وكان يجلس فيها طفل الشمس، ثم تضيف أسطورة ثالثة على ذلك فتقول: إن بقرة كانت تسبح في الماء[٣] وجلس فوق ظهرها إله الشمس الطفل. وهذه كلها

---

(١) Lacau, Textes Relig. S. 133.

(٢) Kees, Ag. Z. 57, 116 ff.

(٣) لعلهم هنا قصدوا بقرة السماء.

(١) نوت ترفع جو عن جيبها ويرى تحت إلهة الشمس رع في هيئة الشمس (رسم ١٥)

ولقد كان العالم الذي برز من السماء الأولى لا يزال مضطرباً إذ لم تكن السماء قد انفصلت عن الأرض وكانت إلهة السماء نوت مستلقية فوق زوجها إله الأرض جب ولكن أحدهما «شو» إله الهواء زج بنفسه بينهما ورفع السماء إلى أعلى ورفع معها كل حي خلق. أي تلا إله «وحده سفينته» فاستحوذت عليها نوت وقامت بتعذيبها وجعلت منها نجوم السماء[1] ولم تستثن منها الشمس وأصبحت جميعاً يجبن بسفنهن جسم «نوت».

وهكذا كانت نشأة عالمنا هذا، إذ أنه منذ انفصال السماء عن الأرض اتخذ الجو وكائناته الشكل الذي نعرفه، ولم يكن هناك من اتصال بين العالم العلوي

---

(١) قارن Pyr. 785.

والآخر السفلي سوى «عظام شو»[1] الذي تحمل ذراعاه الحملتان نوت»[2].

وبينما كانت تفصل إله السماء عن الأرض عين إله الأرض حاكماً عليها بأعطى كيب ما يراه وسلطته الفائقة بأنها (أي الآلهة الكبرى) وهكذا قالت الآلهة من الكبرى أمير الآلهة (أي الآلهة تهرع إليه وتصبح زملاء له بقدر من الآلهة (كرعيم الناس جمعاً) أيضاً وأنها تراه أقوى من كل إله[3]. وهكذا ستكون الآلهة تحت الأرض [illegible] الآلهة وعلى أرواحها وما ورثوه وعلى أقواتهم وما يملكونه»[4].

ومن الغريب حقاً أن سيادة إله الشمس (الذي كان حاكم الدنيا) لم تمنع من انتشار التسليم بها، فقد الشمس الأولى اعتاد أبطال «التحويلة» أن يخصوا سيادته هذه[5] وكانوا يتطرونه في الصباح عند الشرق أي الشمس يكون قادراً يمزقونه إرباً وشب قتال عنيف في كل مكان في السماء وعلى الأرض، كان النصر فيه إلى جانب إله الشمس وقدمت له أفراح الأعداء في جزيرة اللهب في شمون، وهنا تستطرد الأسطورة[6] فتزيد أن صورة لا تشبه معزاها تجر بعد أن انتصر رع على أعدائه ووضع الحق مكان الباطل دمّر بأنفه في زهرة لوتس ولم تكن هذه الزهرة سوى «نفر ـ تم» أحد الآلهة الصغرى في معبد معفيس.

وفي هليوبوليس عرف الناس أيضاً أن رع قد قتل الأعداء هناك ولكنه كان متقمصاً صورة قط كبير، وأن ذلك حدث بالقرب من شجرة لا شك أن الناس قد صوّروها في المعبد فيما بعد[7].

---

(١) Pyr. 208, 393.

(٢) Pyr. 1471.

(٣) Pyr. 1618, 1619, 1645, 1834.

(٤) Pyr. 824.

(٥) Totb. 17. وقارن رسالة جرابو Grapow's Dissertation S 36.

(٦) Pyr. 265. 266.

(٧) Totb. 17, 54.

وأخبر رع حشي أن تيد سانحضر في اليوم التالي الشهر وأنذاك قال: «نادوا نون على الفور رسلاً مسرعين يجرون مثل الظل». وفي الحال أحضروا له رسلاً من هذا النوع. وقال لهم جلالة هذا الإله: «أسرعوا إلى البحيرة وأحضروا لي كثيراً جداً من «الديدي»، (ويبدو أنها مادة تصبغ إلى اللون الأحمر) وأعطوا هذا المادة إلى الإله «ذي الصغيرة في هليوبوليس» وقام هذا الإله بطحنها على حين قامت سيدة بتحضير الحنة «الميرة» من الشعير. وخلطوا بعد ذلك المزيج مع بعضهما وأصبح سائلاً يشبه «دم البشر» فمثلو ٧٠٠٠ إبريق من هذا الحنة. وأحضر جلالة الملك رع مع الآلهة ليروا هذه الجعة. وعندما أصبح الصبح الذي سيحتفل فيه هذه الآلهة الناس قال: «سأحمي الناس منها». فاحملوا هذا إلى المكان الذي تموت فيه الناس فيه» فنفذوا هذا الأمر وصبوا الجعة هناك حتى غمرت الحقول وارتفعت عنها بمقدار أربعة أمتار. وفي الصباح خرجت الآلهة ووجدت المكان مغموراً ورأت وجهه معكوساً على السائل بشكل جميل فشربت منه واستطابت طعمه وقفلت راجعة وهي ثملة فلم تتعرف الناس».

وإذا كان الإله العجوز قد حفظ بني الإنسان من الهلاك إلا أنه لم يرغب في البقاء سيداً على هذه المخلوقات الناكرة للمعروف ولقد قال متململاً «وبحياتي لقد تعب قلبي من وجودي معهم» وهنا تدخل نون العجوز في الأمر ونادى على ابنته «نوت» التي على شكل بقرة وجلس رع على ظهرها فرفعته إلى السماكين وتكونت بذلك السماء، ولكن عندما ألقت نوت بنظرها إلى أسفل «ارتعشت من شاهق الارتفاع» فنادى رع الإله «شو» وقال له: (ابني «شو» ضع نفسك تحت ابنتي «نوت» وخذها فوق رأسك) فنفذ «شو» ما أمر به وستند منذ ذلك الحين بقرة السماء التي تلمع النجوم على بطنها وتتحرك الشمس فوقها في تاريها هنا وهناك.

ويحدثنا كتاب التعاويذ نفسه (الذي نقلنا عنه هذه الأسطورة) عن القمر ونشأته فيقول بطريقته التي عرفناها فيما سبق: «عندما كان رع يسكن السماء قال مرة: نادوا لي تحوت، فأحضروه إليه في الحال. فتحدث جلالة هذا الإله إلى

قالت قائلة: «فلتكن أنت في السماء في مكاني إبان تلك الفترة التي أكون
[illegible] في مكاني هذا كملاك عني، وسوف يذعرك الناس
[illegible] هذا في أسلوب يعتمد على اللعب بالألفاظ فيشبه
[illegible] سوف أجعلك تخضض (hold) السماء بجميع
[illegible] عن ذلك الشر (light)». ثم هي في خاتمة أسرق خاتمة
كتاب لرع، يقول: «أرسل (hoh) إليك من يفوقك عظمة، فنشأ «ابن» الطائر
طائر نحوت».

[illegible] في كثير من الأساطير المصرية طريقة اللعب بالألفاظ ويرجع أن
أدت إلى نشأة أشياء كثيرة، ويمكن أيضاً أن نسبب هذه الظاهرة إلى الخصائص
المصريين وتعلقهم بتحميل اللفظ الواحد معاني كثيرة يحوي كل معنى شيئاً من
[illegible] «الذي أنشأ نفسه» و«الذي أنشأ اسمه»[1]

[illegible] «الذي سوف يخلق بأعجوبة» و«عين الشمس» و«عين الشمس
[illegible] ترجمة ذلك أيضاً معنى ذلك هي الجسم نفسه» و«أن فيها الناس أيضاً
[illegible] الذين أوقفت نفسها على خدمة رع». وأحياناً كانت عندهم
كواحدة من الآلهات العظمى.

[illegible] سوف نلاحظ ذلك أيضاً على الصفحات التالية أن هذه الفتيات
[illegible] وتلك قصة رحلت إليا والكل الأسف ثم نفهم منها إلا
نصفها[2] تتحدث عن هذه الصفة: وحدث ذات يوم أن أومن رع نفسه في مهمة
(لا بد وأن كانت مكافحة بعض أعدائه) ولكنها لم ترجع فأرسل «رع» لإحضارها

---

(1) Tom. ed. Naville 17.6.

[illegible]

بين «رع» و «شت» فأعطاها ذلك كل التقدير. فكي «رع» ومن دموعه كانت البشرية ـ وهنا نجد لعباً بالألفاظ بين «رميت» بمعنى دموع و «رميت» بمعنى البشر، ثم «زاد حمق العين عندما رجعت ووجدت عيناً أخرى قد نمت في مكانها» وعندئذ (كما أحاول أن أفهم ذلك من النص) وضعها الإله على جبينه كتميمة. ومنذ ذلك الوقت حكمت عين الشمس العالم أجمعه، ولا عزاء في ذلك لهذا التمثال الذي عمله «رع» فوق عينه ثم رمز لوجه. أما «شو» وأشيع هو الآخر منذ ذلك الحادث يسمى «أوسيريس» في الذي أحضر الجميلة[1].

وهناك نص جميل يتحدث عن أسطورة اشتريت فيها عين الشمس بمثابة بنت للإله، وأحياناً يسميها مدفوعاً بحبه العظيم لها «دمي» وأحياناً أخرى «عيني» وأنا «ملكت[2]» طلبت إلى أبيها في موتها أن يسمح على الأقل لصورتها أن ترى الشمس مرة في كل عام. هذه الأبنة كانت هي «تحوت» ـ أي عين الشمس ـ واعتاد الناس حمل صورتها في معابدها بالمدينة والصعود بها إلى سطح المعبد لكي ترى إله الشمس.

ومن الأسطورة التي ذكرناها، والخاصة بعين الشمس التي أرسلت في مهمة ثم اعيدت مرة أخرى، اشتقت قصة وصلت إلينا من المعابد التي ترجع إلى العصر اليوناني[3] في مصر، ويبدو أنها كانت قد انتشرت بين الناس انتشاراً كبيراً: سكنت الآلهة «تفنت» في صورتها كلبوة متوحشة الصحراء النوبية وكانت تمزق أعداءها إرباً والنار تشع من عينيها وتخرج من فمها، ثم أراد «رع» أن تكون بالقرب منه، فأرسل إليها في طلبها هما أخرجا «شو» الذي كان أيضاً على شكل أسد جبار و «تحوت» إله الحكمة والطلاسم ـ وتقمص هذان الإلهان صورة

---

(١) راجع Sethe, Sonnenauge S. 26, Junker Osirislegende S. 5.

(٢) Dekret Von Kanopus Z. 28, 55, Herodot II, 129 - 132.

(٣) اكتشفها بونكر ونشرها في Abh. Berl. AK. 1911 وراجع أيضاً Sethe, Sage von Junker. Osirislegend كذلك von Sonnenauge.

لوحة ٦٠ : تحنوت في هيئة ثور، يقرن الثيران بالعبدة إلى مصر
المختار من عهد الأسرة الصاوية - برلين ١٢٢٤٥

في مياه المكان المقدس فتحولت من لبوءة إلى إلهة جميلة - وهلل الجميع لها واستقبلوها وأقاموا لها الحفلات ثم رحلت شمالاً على ظهر سفينة وتوقفت في أماكن عديدة وفي كل مكان استقبلت بالتهليل والفرح، فنزلت في «أومبوس» وفي «دندرة» وفي «الكاب» و«إسنا» وخصوصاً في «دندرة» التي أصبحت منذ ذلك الوقت مكانها المختار. ولا غرابة في ذلك فهي ليست إلا الإلهة «حاتحور» أم الإلهة التي احتفل بها الناس تارة كـ «سخمت» الشريرة، وتارة أخرى كـ «باستت» الطيبة.

ومما يدل على اعتزاز المصريين بهذه القصة في العصور المتأخرة أنهم جعلوها إطاراً لمجموعة شعبية من قصص الحيوان، حفظت لنا على بردية من العصر الروماني[1] وفي هذه القصص تغطن أيضاً الإلهة «ابنة رع» وتُذكر أيضاً «قرص الشمس الكبير» بلاد النوبة، وكانت تظهر على شكل الأسد في حالة غضبها، وإلا فإنها تتخذ شكل القطة «باستت»، أما «تحوت» وهو يظهر على شكل القرد (وهو الحيوان الذي يتفق معه راجع ص ٧٦) ونسب مجيئه له حرجاً كبيراً، إذ أن الآلهة تهدد هذا الرسول المسكين بالموت وذلك لغضبها الشديد على أبيها الذي من أجله اضطرت إلى ترك مصر، ومن الغريب أنها احتفظت بصورتها على شكل القطة مع أنها كانت غاضبة، فأخذ «تحوت» يكثر لها خطأها أن تقتل كائناً ضعيفاً لأن الإنسان لا يعرف ما يجنيه به القدر. وربما تحتاج إلى معونته. وضرب لها الأمثال. ومنها قصة الأسد والفأر، وحدثها بأن لكل مسيئة عقابها، ثم نوّه أيضاً بمصر وطنها حيث عاشت مرّة عيشة طيبة كإلهة عبدها الناس أجمعين وحيث يسود الناس الآن الحزن والقلق، وأقنع الجميع عن الفرح والسوسيقى، وعندئذ بدأت القطة في البكاء وانهمرت دموعها غزيرة كالمطر - ولكل ما فتئت أن انتابتها ثورة غضب مرّة أخرى وتحولت إلى لبوءة

---

(١) قارن Jurken, Abaton S. 78.

(٢) Spiegelberg Mythus vom Sonnenauge.

... حرارة معرفتها الدخان وأصبح ظهرها بلون الدم، وكان وجهها يبرق
... وعيونها مثل من النار... وغمرت الصحراء بأتربة تصاعدت من قدمي
... ربها إلى السماء. وأثار الفزع تساءل كيف يزيد هذه الثورة بشاشة. فتحولت مرة ثانية
... إلى قرد أسود يفتش عليها أساطير أخرى هدأت من نفسها وطيبت مزاجها،
... وتغير الأمر بعد أن رحبت موافقته إلى مصر. ومن وصلت إلى هناك حتى
... استحالت إلهة في كل موطن من مواطنها الصورة المقدسة لها. فتحولت في منفية
... إلى الهة «بست» (ص ٨٥) وفي طيبة إلى الإلهة «موت» (ص ٨٦)
... وفي آخر الأمر تحولت إلى «تفنوت» وتصالحت مع أبيها رع. ولقد حدث أن
... تهددت خطر كبير في مصر، ففي أثناء نومها دنا منها الثعبان الضخم «أبو فيس»
... فتسللت منه الثورة الذي كان يجلس عند رأسها قائماً على حراستها، وهكذا دن
... في ذلك تحقيق للصورة التي قصها عليها في أسطورة الأسد والنار.

ووصلنا هذه الأسطورة - كما أسلفنا - عن طريق نصوص ترجع إلى العصر
المتأخر، ولكن لا بد وأن تكون هذه الأسطورة منتشرة على الأقل في عصر
الدولة الحديثة؛ إذ أن هناك رسماً على قطعة خزفية يرجع إلى عهد هذه الدولة
يحاول الفنان أن يصور عليها القطة وقد جلس أمامها القرد يغريها على العودة
إلى مصر.

وأسطورة الإله أوزيريس تفوق كل الأساطير التي تحدثنا عنها فيما سبق،
إذ تغلغلت في الدين منذ العصور الأولى[1]، بل وأثرت على بعض نواحيه، ولو
أن هذه الأسطورة في أصلها بسيطة لا تتعدى قصة ملك طيب قتله أخوه الشرير،

---

[1] ومما يدل على ذلك أنه قد ثبت لنا أن أي ملك منكر يرجع هذه الأسطورة. فتحتمس الرابع
المعروف بتخلصه من أبي الهول (١٤٢٠ ق. م) يسمي أيام السنوات الخمسة بأسماء
الآلهة الخمسة الواردة في قصة أوزيريس. وقد جاء ذلك في مدينة هليوبوليس. ويظهر
أن هذا التقويم قد استمر حتى الأسرة الخامسة في مدينة هليوبوليس. ويظهر
أن أسبوع هليوبوليس لم يكون إلا من إضافة آلهة أسطورة أوزيريس إلى الآلهة السحابية
(راجع كتاب إدوارد ماير Chronologie ص ٩٠).

وانتصرت زوجته جشته ونجحت في أن ترد إليه الحياة ولكن ليست كاملة، ثم حكمت على تربية ابنه في كتمان مطلق، حتى إذا ما ترعرع وصلب عوده انتصر على قاتل أبيه وجلس على عرشه. وهي كما نرى قصة جميلة فهم الشعب مغزاها العظيم. ويبدو أن هذه القصة انتشرت من موطنها الأصلي وهو شمال الدلتا[1] على أفواه القصاصين إلى جميع الأرجاء المصرية وأصبحت من بين التراث القومي للشعب المصري مثلها في ذلك مثل أساطير حرب طروادة عند الإغريق، وكذلك أثرت أسطورة أوزوريس على الديانة المصرية تأثيراً بيناً، بحيث أصبحنا لا نتصور هذه الديانة بدون قصة أوزوريس.

والآن ما هي العوامل التي أكسبت أسطورة أوزوريس كل هذه القوة؟ العامل الأول كان بلا شك هو الاعتقاد بأن الاستبداد والتعسف ليسا هما القوتان اللتان تسودان العالم، بل الحق والإخلاص. ثم العامل الثاني كان الاعتقاد بانتصار الإله المقتول على الموت. فلو أنه قد مات حقاً إلا أنه قد استرجع الحياة، ولو أنه تنازل عن حق السيادة على الأحياء إلى ابنه حوريس إلا أنه أصبح سيداً على الموتى، أولئك الذين كانوا مثله يستحقون التمتع بحياة ثانية. ومن الواضح أن هذه كلها كانت أفكاراً يتمسك بها الشعب المصري منذ أول عصوره، ولكن هذه القصة كانت بمثابة المثل الواضح الذي تبلورت فيه هذه الأفكار وأصبحت لهم بمثابة الحقيقة الواقعة وأخذ كل مصري ينسج لنفسه حياة على منوال أوزوريس وإيزيس.

ولقد حدث أن اختلطت بعض الأشياء بقصة أوزوريس في عصور مبكرة لا تمت بصلة ما لها. فمن البديهي مثلاً أنه إذا كان الاسم الذي أطلقته القصة على

---

(١) ومما يرجح شأنها في الدلتا أسماء الأماكن الواردة فيها، كما أن إيزيس كانت قد أصبحت ربتها في مستنقعات الدلتا، وكذلك مدينة «دوو» مسقط رأس عبادة أوزوريس هي إحدى مدن الدلتا، بل مقاطعة عنجدتي هي إحدى مقاطعاتها.

* عن تفاصيل هذه الأسطورة في صيغتها التي سادت في منف، انظر الفصل السادس (صفحة ١٠٧).

[illegible] هو «ست» وعلى الابن المظفر له هو حوريس. [illegible]
[illegible] «حوريس» [illegible]
[illegible] وما دام الأمر [illegible]
[illegible] «العين» التي قدمها حوريس
[illegible] في الأصل «عين حوريس» أي العين التي افتقدها حوريس
[illegible] الذي اعتقد الناس توهماً أن
حور إله السماء حوريس. [illegible] ما يحدث عادة لكل
[illegible] وأسبب بها الأمر كلما استوجبت ذلك
الكثير من المعتقدات التي تفيض بها الثقافة الشعبية. ولو أنها لا تمس
[illegible]

[illegible] أوزوريس أن تحيا بين الشعب مدة طويلة دون مؤثرات
[illegible] مختلفاً [illegible] ولكن هذه القصة اقتبرت من صلب
[illegible] في عصر مبكر، وهكذا وقف تطورها وأصبحت منذ ذلك
الوقت ثابت الأصول. ولو أن بعض تفصيلاتها تغيرت على مر آلاف السنين.
[illegible] الأسباب التي بنيت عليها هذه القصة كأسطورة؟ كما أنه
[illegible] هل كان هناك حقيقة ملك بشري يحمل هذا الإسم، أو إلى
[illegible] تعلو هذه الأسطورة بمظاهر الطبيعة: أي بمتعاقب الحقول ثم بالحبيب
[illegible] بعد انحباس دفعة كل عام.

[illegible] في ص ٧٢ عن الصور المختلفة الخاصة بأوزوريس بعد أن
[illegible] إلهاً فتارة صوروه كماء الفيضان، وتارة اعتبروه هو الأرض ثم عبدوه
[illegible] للموتى. ولا فائدة هنا أن نتحدث عن هذه الصور، بل سنقصر الحديث على
[illegible] وصلت إلينا من عصور مختلفة.

[illegible] وردت في أقدم المتون الدينية بعض التلميحات لهذه القصة لا تتفق
[illegible] فمثلاً نجد أوزوريس ابناً للإله «كب» والإلهة «نوت»، وأن
[illegible] «ست» الشرير كان ينعقبه، وشاركه في هذه المؤامرة[1] أخ آخر هو

---

(1) [illegible] Pyr. 168, 173, 175

«تحوت» وتمكن «ست» من أن يهزم[1] أخيه وقتله[2] ثم رمى به في النيل
فسبحت جثته في الماء وكان أولها لحضر طائرة بعد أن تسمية البحار
تارة [illegible] وتارة أخرى [illegible]
أوزوريس حزنت الآلهة بأجمعها وبكت إيزيس وصرخت نفتيس. أما إلهة مدينة
نوبة - وهي موطن أوزوريس الأصلي «فقد [illegible]
و«تحوت»[4]. أما الجثة فقد بليت، ولكن «نوت» أم أوزوريس انحنت عليها
«فضمت عظامها بعضها إلى بعض وأعادت القلب إلى الجسم ثم وضعت الرأس
في مكانه[5]. أما إيزيس ونفتيس فقد بحثا في كل مكان حتى عثرا على الجثة
المتلفة في الماء وأمسكت إيزيس بها وأخرجتها[6] وأسرعت الآلهة لمساعدتها.
[illegible] وأمروه بأن يستيقظ فاستيقظ أوزوريس واستقبل حياة جديدة.
فهو «الذي هجر النوم وكره التعب»[8] وهكذا لم يتعفن جسد أوزوريس ولم
يبل[9].

أما عن سوريس وكيف وضعت بذرته، فقد تصورها المصريون كما يأتي.
تحولت إيزيس إلى طائر حطّ فوق جثة زوجها وحملت منه[10]، ثم وضعت

---

(١) Pyr. 1007.

(٢) Pyr. 1477.

(٣) Pyr. 628 ff., 1630.

(٤) Pyr. 163.

(٥) Pyr. 318, 825, 828. وفي الواقع أن ضم أجزاء الجسم بعضها إلى بعض، وكذلك «إزالة التراب» عن الفم بواسطة الإله جب، إنما ينتمي إلى صيغة أخرى ورد فيها أن الجثة تبلى في الأرض.

(٦) Pyr. 1630, 584.

(٧) Pyr. 1500, 72 i.

(٨) Pyr. 72 i, 260.

(٩) Pyr. 1500.

(١٠) Pyr. 632, 1636 وقارن الرسوم المنقوشة فوق جدران معبدي أبيدوس ودندرة Mar. Dend. IV 88.9.

(١) Pyr. 663

(٢) Pyr. 1463

(٣) Pyr. 1242.

(٤) Pyr. 609 / 643.

(٥) Pyr. 578.

(٦) Pyr. 616

(٧) Pyr. 192

(٨) Pyr. 957, 958.

(٩) Pyr. 517

(١٠)

(١١)

(١٢) Pyr. 845.549.

(١٣) Pyr. 25,765.1607.

(١٤) Pyr. 1988, 1989

ينبغي علينا أن نتعرّض لقصتين فقط من تلك المجموعة الهائلة من القصص التي حيكت حول أسطورة أوزوريس. وتتعلق إحدى هذه القصتين بمن أن إيزيس قبضت أدوات حورمخس وقذفت بها في النيل، ثم عندما أرادوا استعادة هذه الأدوات وجدوا سوبك وهو الإله على شكل التمساح وقد ابتلع بعضها. والأمر الخطير حقيقة واضح تماماً أن سوبك تقمص شبكة الصيد ليلتقطها. وقد عبدت هذه الشبكة أيضاً في شكل مجموعة في معابد جبل أبو سير.

٤٣ ـ أبناء حورس على زهرة في بحيرة، يجلس على حافتها أوزيريس
(Totenb. ed. Nav. I, 136)

وأهم من هذه قصة أولاد حوريس الأربعة وهم: نمستي وحابي ودوامون. ف وكبح سنو. أف. ويقولون إن حوريس قد أنجبهم من أمه نفسها[1]. وقد عهد إليهم أنوبيس بالقيام بدفن أوزوريس «فغسلوا» أوزوريس ثم بكوه وفتحوا فمه بأصابعهم النحاسية ليتمكن من أن يأكل ويتحدث ثانية[2]. وقد كان أولاد حوريس هؤلاء، حقلاً واسعاً ترتع فيه تخيلات الشعب المصري فاعتقدوا أنهم

---

(١) يجسد هذه حسب القصة التي يرجع إلى بلوتارك (Plutarch, de Is. cap. 20).

(٢) Totb. ed. Nav. 112 nach Tb. (A. Z. 58,4).

(٣) Pyr. 1983, Totb. 17.37.

[illegible]

ويعبر النص التي وصلت من العصر المتأخر عن حياة أوزوريس وحسب ما ورد واضح مما تحدثنا عنه من أساطير مقتضبة من العصور القديمة التي [illegible] وإلهة السماء نوت أربعة أطفال وثلاثين هما أوزوريس وحتحور وأخيه حورس وست، وزوجته الأولى من أوزوريس، والثانية من ست. وعلم أوزوريس العالم تحسك وعلم الناس كل طب مفيد «ووزنه في [illegible] هذا الكون»[1] وأسند إليه قيادة البلاد لسعادته وسلمه هذه الأرض [illegible] وهوائها وسائها وفضائها وكل ما يطير وكل ما يسبح في الفضاء وما يزحف ويوحوشها. فمن ذلك أعطى لابن نوت وسعدت مصر بذلك وكان أوزوريس ملكاً عظيماً، وسطع على عرش أبيه كالشمس عندما تشرق في السماء وسر بأشعته كل من يعيش في الظلام، وكان عادلاً «نبت من أقدام الحقيقة في مصر» وحينما تكون الحرب يظهر بإنهائها لأنه كملك يلقب بـ «الذي يسوي المشاكل الخاصة»[2]، ثم بجانب ذلك كان بطلاً من أبطال الحروب «واسع الشهرة إذا ما وقع بأعدائه، قوي الشكيمة إذا ما أردى عدوه قتيلاً. وكان أعداؤه ينحنون أمامه، وعمل على توسيع رقعة بلاده» وكذلك كان مبرزاً في سيادته على الآلهة «كمرشد لكل إله بأوامر صائبة مدحته التاسوعة الكبرى (من الآلهة) وأمته التاسوعة الصغرى» ولم يتحدث هذا النص عن السبب الذي أوغر صدر «ست» منه. وربما اختبر السبب منطقياً لا يحتاج إلى تنويه، فما دام هناك في

---

(١) L. D. III 170 - 17 i, Totb. 17,42.

(٢) وانظر التشديد في كل ما نقوله في هذا الموضوع على أنشودة أوزوريس المنقوشة على لوحة رقم ٢٠ المحفوظة في المكتبة الوطنية، راجع Legrain 21 - 28.

(٣) راجع Louvre C 2 (m. R).

حتما نقتيس بجانب الجثة وأخذتا تولولان بالنشيد الآتي (١) الذي اصبح فيما بعد نموذجاً لكل الأناشيد الجنائزية، وهو: «ارجع إلى منزلك! ارجع إلى منزلك!

---

(١) راجع Pap. 3008 des Berl. Mus.

ارجع إلى منزلك، لتراني، فإني [illegible] أنا أفتقدك [illegible]
[illegible] أبي ؟ أراك الآن وهو [illegible]
[illegible] عد إلى ذلك الذي تحبك. الذي تحبك [illegible]
[illegible] عد إلى أختك. عد إلى زوجتك. إلى [illegible]
[illegible] عد إلى زوجتك فإني أختك من أم واحدة تحب إلا
تبعد عني فالآلهة وبنو البشر يتوجهون إليك باكين إياك. أناديك وأناديك حتى
يسمع صوتي في السماء، ولكنك أنت لا تسمع صوتي. ويشهدنا أنا أحببنا الشر
أحببتها على الأرض ولم نحبّ غيرها يا أخي، يا أخي»

[illegible] سمعه وعطف عليها لسمو الآلهة مكاناً، إذ أرسل إليها وفد إله
الرياح أنوبيس فنزل إليه من السماء[1] الذي يدفن أوزوريس. فجميع أشلاء الإله
التي [illegible] أعضاء (كما ورد في بعض النصوص المتأخرة) أو التي
دفنها [illegible] ثم ظهرا في الحائط وأتمّ كل المراسيم التي أصبحت فيما بعد
[illegible] بعضاً من المصريون. أما إيزيس فروحت بأجنحتها فهبّ الهواء ودبت
الحياة في جسم الإله الميت[2] وحرّك ذراعه ثم انقلب على جانبه ورفع رأسه.
[illegible] من الصعب عليه أن يحيا فوق الأرض حياته الأولى. لذلك أصبح لزاماً
عليه أن يحيا حياة ثانية. وبذلك صار ملكاً للموتى بعد أن كان ملكاً للأحياء.
ولكن النصر كان حليفه أيضاً فوق الأرض(إذ ترك لها وريثه الذي أنجبه من
إيزيس.

فعندما حملت إيزيس هربت من مطاردة «ست» لها إلى أحواش الدلتا،
وحيداً وفي هذا المكان الموحش حيث ظهرت فيما بعد مدينة Chemmis
المقدسة، ولد حورس الذي [illegible] في هذه الوحدة ولا يدري إنسان أين

---

(1) راجع Mit. aus den Oriental - Samml. IX. H. 17 ويعتبر أيضاً أنوبيس ابن أوزوريس من
[illegible]

(2) Diod. IV. 43. 44.

مكانه، وقد حاولت الآلهة أوزوريس حتى الموت، حتى هدأت الأخطار هذا
الحين. حوريس ولكن كان باستمرار ينجو منها بيقظة وعناية أمه. [illegible] من
قبل أمه الحنون من قبل الصور التي تحمي الآلهة الأم والطفل حورس
وضيعها. وهكذا ترعرع حوريس في الخفاء حتى [illegible] [illegible]
سنة وقد آن الآوان رجوعه هذه فيه حوريس عليه وعلوه فيه [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

٤٥ - إيزيس مع حوريس مختفيان في أحد الأحراش

وعندما انتصر حوريس قادته أمه إيزيس إلى قاعة كبيرة فجلس الآلهة
المجتمعون هناك فرحين قائلين: «أهلاً بك حوريس، ابن أوزوريس أيها
المنتصر المخلص حقاً ابن إيزيس وأوزوريس!» ولكن ست رفع أمره إلى
المحكمة طالباً بشدة (كما ورد ذلك في الوثيقة البردية) في صحة ميلاده،
وأيضاً في أحقيته في الوراثة. فعقد الآلهة الكبار جلسة للنظر في قضية ست، وتحضير
الشاكون. إلا أنهم فوجئوا بظهورهم المفاجئ. إذ أنهم وجدوا أن الحق بجانب
حوريس فأعطوه ما كان لأبيه «فخرج منتصراً تيهاً لأمر قد وسيع سالماً للقطرين
ويقي تاج فوق جبينه». ولقد كانت هذه القضايا تنظر بمنتصر في مقاطعة الدلتا
بهليوبوليس». فمثلاً تؤكد النصوص المصرية أن أوزوريس قد تقدم أمام هذه
المحكمة للدفاع عن نفسه وجهها إليه «ست» وأعداؤه الآخرون، إلا أن تحميت
دافع عنه وأظهر براءته. فحكمت الآلهة على ست وأعلنت نصر أوزوريس الذي
وضع قدمه فوقه ثم ارتفع أوزوريس إلى السماء حيث حكم هناك. وإذا اعتقد
الإنسان أن العالم الثاني كان تحت الأرض فيكون مكانه في الأعماق حيث حكم
الموتى «كذلك الذي يأتي إليه الجميع ممن كانت تدب فيهم الحياة فور الولادة

[illegible] أوزيريس [illegible] (١) المرحوم (٢) [illegible]
أول أولئك الذين سكنوا الجزيرة التي «الفيوم»؟ حينما كان ابنه حوريس أول الأحياء
الذين سكنوا الأرض. فيه بدأ عصر الحضارة الحقيقية. ولا غرابة فكل ملوك مصر
ليتبوأ سوى عظماء الذين جلسوا على عرشه.

والذي من شك في أن القارئ سوف يلاحظ من هذه الكلمة القصيرة التي
[illegible] عليه أوزيريس من التضحيات الأخرى ولماذا كانت أحبها إلى
حوريس المنتصر الذي [illegible] ما فيها من مشاعر بشرية وإلى نزوع أوزيريس
إلى الخير والبر، ولأنه يؤنس لروحها وحبها لأبيها ثم إلى تقوى حوريس الطفل

والفصل الأخير من هذه الأسطورة والذي يتعلق بالكفاح بين حوريس وست
قد وصفته لنا قصة لذيذة في العهد المتأخر من عصر الدولة الحديثة(٣) غير أن
هذه القصة لا تتحدث عن الكفاح الأصلي الذي أصيب فيه كل منهما بجروح،
وإنما تعرض الأمر - على نحو ما ورد في الرواية القديمة - كأنه نزاع قانوني، أو
قل بالأحرى قضية أقامها أحدهما ضد الآخر بكل ما يتبع ذلك من إجراءات قانونية،
بمعنى آخر فقد كان هذا إجراء بعيد عن القوة والخشونة يفهمه المصري الذي
قطع شوطاً بعيداً في التحضر والتمدن. وفي الحق يبدو كل شيء في هذه القضية
وقد طبع بطابع الإنسانية المتحضرة، كما تبدو الآلهة كأنها بشر(٤) - وفيها صور
لنا حوريس كابن فقد أباه، ولولا ما اتصفت به أمه من مكر ودهاء لتعقدت
الأمور أمامه وأصابه مكروه. أما «ست» فصور كرجل حقير متعسف يخافه

---

(١) هذا الاسم هو اسم أوزيريس كملك لعالم الموتى، ثم بعد ذلك أصبح يطلق على
الأموات. ولقد شاءت السعادة أن يبقى هذا الاسم لأحد القديسين (سان أنوفريو).

(٢) Siut. I. 234.

(٣) حفظت لنا بردية بنتي (قصة حوريس وست) وقد علق عليها ونشرها جاردنر. وسنرى فيما
بعد أن هذه القصة لم تنشأ في وقت متأخر وهو ما يمكن أن تدل عليه بنيتها.

(٤) فمثلاً يملك «ست» حديقة يقوم على خدمتها بستاني ويزورها «ست» كل يوم وذلك
عادة على بيت.

ويخشاه كل الآلهة إلا «رع حوراختى» «سيد الجميع» الذي رأس مجلس
الشمس يقود الأسود أثناء رحلته.

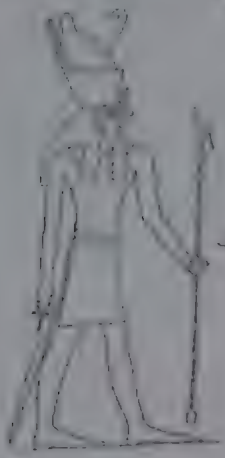

(١) رحوبر على هيئة سفنكس

وتتكون المحكمة من تلك التاسوعين، أي من أكثر الآلهة جلالاً وتبجيلاً
(انظر ص ١٣٧) وكان يقود مناقشتها «شو أنوريس» ويدون محاضرها «تحوت،
إله القوم» إله هليوبوليس - وهو الذي يأتي ذكره أحياناً بجانب «رع حور
آختى» - فتجيره تتدرج عاليا تقف على الحياد أثناء نظر القضية، وتشهد في ذلك
مثل الملك بالنسبة إلى الوزير.

ولقد استمر انعقاد المحكمة ثمانين عاماً دون أن تستطيع إصدار الحكم.
والواقع أن المسألة كانت دقيقة، فهي تتعلق بمعرفة ما إذا كان حوريس الذي ولد
بعد وفاة أبيه هو حقيقة ابن له[1].

وعندما اقتنع شو أنوريس، ابن رع، بأحقية حوريس دافع آمراً بأن يُعطى له
منصب أبيه، وعندئذ أعلن تحوت أن ذلك «صحيح مليون مرة». ثم صاحت

(1) Plutarch, de Iside Kap. 19.

[illegible] أن تفرج وانت الرجل الشجاع قائلة: «اغضب إلى [illegible]
[illegible] ولكن رع [illegible]
[illegible] وكان الغضب يتملكه من التاسوع، بيد أن ست [illegible]
[illegible] حتى [illegible]
[illegible] ولكن تحوت قال: إنه ليس في الإمكان إعطاء منصب
أوزوريس لأخيه ما دام يوجد ابن له من صلبه، فغضب رع حتى. أشتر
[illegible]

وفي الصباح قال أنوريس: ماذا نحن فاعلون؟ وعندئذ اقترح أتوم إحضار كبش
[illegible] لكي يكون حكماً. ولا شك أن سبب ذلك يرجع إلى أن هذا الإله
الخاص بالنسل هو خير من يستطيع أن يعرف ما إذا كانت صحة نسب حوريس
[illegible] صحيح. ولكن قبل أن يرسل أنوريس لم يرد أن يتدخل في هذه
الأمور الا اذا رح الطرفين وطردهما وكتابة خطاب إلى نيت العظيمة، أم
الإله، على أن ينفذ بعد ذلك ما تشير به، فوافق الآلهة على ذلك وعهد إلى
تحوت بالكتابة إلى نيت باسم أتوم.

وجلس تحوت وكتب خطاباً بأسلوب القصر ختمه بهذا السؤال: «هذه
[illegible] الطفلين ظلا واقفين ضوال ثمانين عاماً أمام هذه
المحكمة؟»، فكان الجواب الذي وجهته نيت للآلهة واضحاً غاية الوضوح
[illegible] منصب أوزوريس لابنه حوريس ولا ترتكبوا ظلماً كبيراً، وإلا فإني
[illegible] وسأسقط السماء على الأرض». واقترحت فوق ذلك أن يأخذ سيت
[illegible] نعويض عنه وعشرت الابنتان الأجنبيتان لرع.

وعندما وصل خطاب نيت قرأه تحوت أمام الآلهة فأعلن الجميع في صوت
واحد: «لقد حكمت الآلهة على حق». بيد أن سيد العالم غضب على حوريس وقال
له: «إن جسمك ضعيف جداً، وإن هذا المنصب لثقيل جداً عليك أيها الغلام
الصغير».

وعندئذ استاء أنوريس جداً وكذلك التاسوع كله في طيبته، وبقي رع

حور أختي وحيداً، وأجرأ «بابا»، وهو إله خسيل الشأن، على [illegible]
[illegible] «إن سحرك فارغ» فأدارت عنه [illegible] نحو الآلهة الأخرى فصاحت
[illegible] ثم قربا المستمعة ودعوا إلى مجلسهم.

ولكن نفس زع كانت مليئة بالحزن، فألقى رمح غضبه على الأرض من فوق
[illegible] وأمضى الإله العظيم يوماً بأكمله مستقبلاً على الجمر في قصره والحزن
[illegible] وفي اليوم التالي [illegible] حضرت إلى والدها سيد الجميع ومكثت عنده وكشفت من حوريها، [illegible]
[illegible] وقام، تحت مكانه في وسط التاسوع المعظم.

وقال لحوريس ولست: «تكلما». وعندئذ قال ست عظيم القوة، ابن
نوت: «ألست أنا أقوى من في التاسوع؟ إني أقتل كل يوم عدواً لرع حور أختي،
واقف في مقدمة سفينة الملايين، وهذا ما لا يستطيع إله آخر أن يفعله، وإني
لعرفن بحق أن آخذ منصب أوزوريس». وعندئذ قالت الآلهة: «إن ست لعلى
حق» ولكن أوزوريس[1] وتحوت صاحا صياحاً عالياً، وهما يقولان: «أيعطى
المنصب لأخ الأب، على حين يوجد ابن من صلبه على قيد الحياة؟» فأجاب
تحوت (زيس) مخاطباً الإله العظيم الحي: «أيعطى هذا المنصب لهذا الشاب،
على حين أن ست أخاه الأكبر لا يزال موجوداً؟» فصاح التاسوع في مواجهة سيد
الجلبة: «ما هذا الكلام الذي تقوله، إله يحتقر بالا يسمع؟» وقال حوريس «إنه
ليس عملاً طيباً إن تهجرن من شأني هكذا أمام التاسوع وأنا أجره من منصب أبي»
وعندئذ غضبت إيزيس من التاسوع وأقسمت «بحق حية أمي نيت، وبحق حياة
رع ناتن، صاحب الريش المرتفع، سوف توضع هذه الأقوال أمام أنوم، ذلك
العظيم المقيم في هليوبولس، وكذلك أمام خبري الذي يقيم في سفينته» وعندئذ
قال التاسوع لها: «لا تغضبي فإن الحقوق ستعطى لمن يستحقها، وسيعمل بكل
ما تقولين» وعندئذ غضبت ست من التاسوع لأنه قبل هذه الكلمات لإيزيس.

---

(١) هكذا في الأصل الألماني، وربما كان المقصود هو أوزيريس ـ المعرب.

وقال له: «سآخذ صولجاني الذي يبلغ طوله ٤٥٠٠ ذراع، وسأقتل كل يوم ... مذنبا، وأنت ستنفذ الحكم بأنه لن يبقى في المحكمة ما دامت إيزيس ...
فيه».

وبعد هذا القسم قرر زوج حورس أن يعرض المحكمة إلى الخطر ... الحكم إلى ملاح الجزيرة بألا يسمح بعبور أية امرأة يمكن أن تشبه إيزيس ... بعصا الحكم ملموع إلى الجزيرة وجلست الآلهة تتناول طعامها.

وبينما إيزيس منحنية في شكل امرأة عجوز لتسير وقد انحنى ظهرها وتحمل في أصبعها خاتماً من الذهب واقتربت من الملاح وقالت له: «إني أحضر إليك ومعي إناء من الدقيق لصغير يرعى الماشية في الجزيرة منذ خمسة أيام وقد اختفى الحيوان».

لم يرفض الملاح الملاح أن يعمل شيئاً لأنه تلقى أمراً بألا يسمح بعبور أية امرأة، ولكن إيزيس قالت له: «أهذا بسبب إيزيس؟ سأعطيك هذا الخبز». وبعد استمرار الملاح في إصراره على الرفض أعطته خاتمها الذهبي، فنقلها بالرغم من قرار الحظر.

وعندما مرت إيزيس تحت أشجار الجزيرة لمحت الناسوع يتناول طعامه مع سيد الجميع في قاعته، وعندئذ لمحها ست من بعيد، فتلت صيغتها السحرية وتحولت إلى شابة جميلة ذات قسمات ومحاسن رائعة جميلة لا يوجد مثيل لها في جميع أنحاء البلاد، وعندئذ وقع الإله في حبها وترك الأكل واتجه نحوها، لأن أحداً لم يرها سواه، ثم أخفى نفسه وراء شجرة ونادى: «إني هنا أيتها الفتاة الجميلة» فأجابت «يا سيدي العظيم، لقد كنت زوجة راعي قطيع وأنجبت له ولداً غير أن زوجي توفي وتولى ابني رعي ماشية أبيه، ولكن أجنبياً حضر وجلس في حظيرتي وقال لابني: «سأضربك وسآخذ ماشية أبيك وأطردك». هكذا قال، ولكني أود أن تكون له حامياً ومعيناً». فقال لها ست: «أتعطي الماشية لرجل أجنبي، على حين يوجد ابن الرجل على قيد الحياة؟» وعندئذ تحولت إيزيس إلى طائر وطارت واستقرت في أعلى قمة شجرة سنط وصاحت

... إن فمك نفسه قد قالها، وإن مهارتك نفسها قد حكمت ... فماذا تريد بعد ذلك؟» عندئذ ارتبك ست «ذهبي والعار والعدالة ... إلى رع حور آختي، فقال له الأحير: «هل لديك من جديد؟» فأجابه ست: «إنها ... المرأة الشريرة التي عادت من جديد لتسيء إليّ» وقص عليه قصته وصرح له أيضاً بأنه قال: «لا تعط الماشية* لرجل أجنبي ما دام الابن لا يزال موجوداً». ... أن ضرب الأجنبي على وجهه بالعصا وطرده خارجاً»، وعندئذ قال رع حور آختي «أجل إنك أنت الذي حكمت على نفسك بنفسك، فماذا تريد بعد ذلك؟»

وبناء على تعليمات ست أحضر أيضاً الملاح، وكان إلهاً صغيراً، أمام الجامع وعوقب وأصبح الذهب إلى هذا اليوم ملعوناً مكروهاً في معبد من الآلهة بسبب حكم الذهب.

وبعد ذلك غادر الآلهة الجزيرة واستقرّوا فوق جبل الشاطىء الغربي، بيد أن رع حور آختي وأتوم (وقد أشير إليهما هنا بوضوح على أنهما شخصان) ذهبا معاً خفية إلى الجامع قائلا فيه: «لماذا تجلسون هنا؟ وماذا تعملون هنا؟ إنكم تتركون الشابين يقضيان حياتهما في المحكمة عندما يصلكم الذي عليكم أن تعطوا حوريس التاج الأبيض وأن تنصبوه في مكان والده فاغضب ست، ولكن الجامع قال له: «لماذا تغضب ألا يجب أن نفعل ما يشير به أتوم ورع حور آختي؟» وعندئذ وضع التاج الأبيض على رأس حوريس، ابن إيزيس. فأخذ ست يصرخ وقال غاضباً: «أتعطون المنصب لأخي الأصغر على حين أني أنا أخوه الأكبر ما زلت موجوداً؟». وأقسم قائلاً: «إنه سينزع التاج الأبيض من على رأسه ويلقي به في الماء حتى يمكنني أن أقاتله بشأن السلطة». ولقد وافق رع حور آختي من جديد على الاقتراح، وعندئذ تحوّل الإثنان إلى فرسي بحر وكان

---

* الكلمة التي استخدمت هنا للماشية لها معنى مزدوجاً. فهي تعني أيضاً «وليمة». وقد قصدت إيزيس هذا المعنى.

عليها أن يقفزا ويثوما في عرض البحر، والذي لا يستطيع منهما أن
[illegible]
[illegible]
[illegible]

للمحكمة ووجه رع حور آختى الكلام إليهما معاً قائلاً: [illegible]
[illegible] التي ما فتئتم تبدأونها كل يوم». وعندئذ دعا ست حوريس إلى منزله، وعندما أقبل الليل أعدّ لهما فراش، ولكن ست اعتدى على الشاب اعتداء منكراً

وهذه الفعل المنكر الذي اقترفه ست، والحيلة التي لجأ إليها حتى [illegible] هذه الفضيحة والخزي، كلّ هذا موضوع حادثة وتفصيل لا يحتاج سرده هنا.

وعندما اقترح ست اقتراحاً جديداً لتسوية النزاع وإنهاء المعركة، إلى مصير فاريسا من المحجر يحران بهما، فمن يبلغ منهما نهاية الرحلة بسلام يحصل على منصب أوزوريس. أما حوريس فقد صنع لنفسه قارباً من خشب الأرز، وطلاه بالقير والقى به مسدد في الماء دون أن يلاحظ ذلك أحد. ولكن ست لمح بمنظاره أنه من المحجر، فذهب إلى الجبل واقتطع قمته ونحت منها قارباً طوله ١٣٠ ذراعاً، وعندما صعدا على ظهر سفينتيهما أمام التاسوع فإن سفينة ست غاصت في الماء. وتحوّل هو إلى فرس بحر ومر سفينة حوريس، غير أن حوريس تمكن من أن يطعن خصمه بوساطة مزراق بطريقة بلغ من عنفها أن تدحرج التاسوع طالباً الرحمة والعفو عنه.

وعندئذ أبحر حوريس على سفينته حتى بلغ مندس وذهب لزيارة بيت العظيمة، أم الإله، والتمس منها المعونة لأن قضيته قد استغرقت ثمانين عاماً واعترف بصحة دعواه ألف مرّة، ولكن ست لم يهتم بحكم التاسوع. ولا نعلم بماذا أجابت نيت على هذه الشكوى، وأخيراً اقترح تحوت كتابة خطاب إلى أوزوريس وذلك لكي يحكم بينهما. ووافق الجميع على ذلك.، وعندئذ كتب تحوت خطاباً لأوزوريس زينه بكل عبارات البلاغة والبيان الخليقة برسالة ملكية

---

(١) إذا استثنينا هذه القصة، فإن اللواط يكاد لا يظهر في مصر القديمة، بينما يعتبر أن الموضوع هو تصوير «ست» تصويراً سيئاً للغاية.

وعندما وصل جواب أوزوريس هذا إلى رع والتاسوع كتب رع لأوزوريس على سبيل السخرية: «آه إذا كنت لم توجد وإذا كنت لم تولد فإن الشعب والنبات كانا يوجدان وينموان مع ذلك»، وقد أجاب أوزوريس على خشونة رع بأن أخبره بأنه سيكون سعيداً أكثر من رع وأكثر ما يتمناه التاسوع سيكون من نصيبه، وختم أوزوريس كلامه إلى رع بقوله: «سيضيف إلى ذلك أني سأجعل الحنطة تنمو في العالم السفلي». فلما بلغ رع جواب أوزوريس ندم على ما فعل فيما يتعلق به على وجه خاص. ألا يوجد في البلد الذي يقيم فيه أوزوريس رجل واحد مرهبة لا تخاف أني إله أو آلهة. وقال: «إني سأجعلهم يخرجون ويرجعون قلوب أولئك الذين يقترفون الشر». وعندئذ سيكون عليهم أن يكونوا هم هي. وهي الحق ما دامت وجودي هنا وبقائي في الغرب، على حين تظلون جميعكم في الخارج. من منكم أتقى مني؟ ولكنهم يخطئون ويكذبون. فعندما خلق بتاح السماء ألم يقل لنجوم السماء: «سوف تستريحون في كل ليلة في الغرب حيث يحكم أوزوريس كملك» وفضلاً عن الآلهة فإن الناس والشعب يحب عليهم أن يستريحوا حيث تكون أنت، هذا ما قاله لي».

وعندما وصل خطاب أوزوريس لسيد الجميع وللتاسوع قرأه عليهم تحوت فقالوا: «إن كل ما قاله صحيح جداً، فهو سيد الطعام».

وأخيراً أعلنت المحكمة أحقية حوريس، وعندئذ كلف أتوم إيزيس أن تحضر ست مقيداً بالأغلال ولامه على عدم إذعانه لقرارات المحكمة، فأذعن ست وترك لحوريس منصب أبيه، فاعتلى حوريس عرش أوزوريس وتوجوه بالتاج الأبيض وحيت إيزيس ابنها كملك طيب على البلاد.

وأخيراً تساءل بتاح فيما عسى أن يكون من أمر [illegible]
[illegible] فأعلن رع حور آختى بأن عليهم أن يمهدوا له سبيل العودة في
منزلة الإبن وأن يُسمع صوته في السماء، أن يحتشد الجميع(١). وهكذا انتظم كل
شيء وابتهجت السماء والأرض بأكملها.

وكل من يقرأ هذه القصة الطويلة بكل ما فيها من دعابات ومحن، من
حقه أن يتساءل عما إذا كانت يحق لنا أن نعدها نصاً من الأساطير الدينية التي
كانت تستمتع بأهمية عظيمة في نظر الشعب المصري. بيد أنا لا نعرف هذه
القصة إلا من مخطوط من القرن الثاني عشر، ولذلك فإن [illegible]
لم تكن إلا مجموعة من قصص متباينة لمؤلف واحد استخدم فيها الشخوص
آلهته.

على أن هذا الشك لا يكاد يستند إلى أساس صحيح، إذ أن بعض أجزاء
من هذه القصة وصلت إلينا عن طريق مصدر آخر، في صورة مماثلة تماماً.
فمثلاً الجزء الخاص بأفراس البحر وقطع رأس أبوفيس(٢). وكذلك قطعة أخرى
من القصة أطول حفظت لنا في بردية ترجع إلى عهد أحد ملوك الهكسوس(٣)، وهذه
القطعة تتضمن بالضبط ذلك الجزء من القصة الذي اخترنا أن نعلق ذكره بسبب ما
فيه من فحش في القول، ولهذا فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى الاعتقاد بأن هذه
القصص كانت تتعلق بالأساس وتتناقلها الأفواه فداً عن فم، إنما تتناسب وتتفق
مع حاجات المستمعين، فالطبقات الدنيا من الشعب تجد للذتها في غير ما تجد
فيه الطبقات الراقية. وهكذا تشمل الأسطورة الجد والسخف والغيب والعين.
وتلك صفات ينتمي كل منها إلى الأسطورة سواء بسواء، وتبدو أسطورة

---

(١) وفي رواية أخرى (Sall. IV, 9.4 - 5) يبدأ [illegible] نصيباً له.

(٢) Plutarch de Iside Kap. 20 وكذلك راجع Sallier, IV, 26 ff.

(٣) Pap. Kahun, Taf. 3.

أوزوريس بنوع خاص في أحدث صيغة لها وهي ترجع إلى العصر اليوناني كما تقبلت الطبقات المختلفة من الشعب تصوراتها المختلفة. وفي الكتاب الذي خصصه لها بلوتارك[1] حذف كثيراً من التفصيلات التي رآها غير لائقة بل وسيئة. ومع ذلك فقد كان أحد كبار المخلصين لعبادة إيزيس، وإنه إذا كان كل شيء قد حدث حقاً كما هو مكتوب، فإنه لا يتبقى لنا - إذا اتبعنا أسلوب آشيل في الكلام - إلا أن نبصق ثم نطهر فمنا. والشيء الذي أعجب بلوتارك واستثار شوقه من وجه أخص في هذه الأسطورة هي الخرافات والمعتقدات التي يمكن تفسيرها بأسلوب وطريقة فلسفية.

وسنرى في الفصل الثاني والعشرين مظهر أسطورة أوزوريس في ثوبها الأكثر رقياً وتهذيباً عندما نتكلم عن انتشارها في أوروبا.

[illegible] في الجزء الأخير من هذا الفصل الأخير قصة أوزوريس من [illegible] في الكتاب الذي [illegible] على [illegible]

لقد لعن رع نوت حتى لا تستطيع أن تلد في أي شهر من شهور السنة. ولكن هرمس توفق بها فخلق أيام النسيء الخمسة[2] التي لا تدخل ضمن أي شهر من الشهور، وبهذا تمكنت من أن تلد في هذه الأيام أبناءها الخمسة [illegible] وست وإيزيس ونفتيس.

وقد ولدت أوزوريس « تفح صوت من سعيد عليا معلناً أن الملك العظيم

---

(1) Plutarch de Isside Kap. 20

[illegible] وهرمس.

(2) من المعتقد القديمة أن الآلهة الأوزيرية خمسة ولدت في أيام نسيء الخمسة، انظر مثلاً Pyr. 1091 وفي هذا دليل ملحوظ على قدم أسطورة أوزوريس، وعندما اتبع التقويم عام [illegible] كانت هذه الآلهة معروفة في هليوبوليس. راجع Ed. Meyer I², 197.

... عندما استولى على السلطة ...
... كان الناس قد ألفوها من قبل حتى ذلك الوقت. وأدخل زراعة
الفواكه وأعطى الناس القوانين وعلمهم كيف يعبدون الآلهة ويقدسونها، وأسس
بجوب البلاد جميعها دون حاجة إلى حرب، وكان لا يجتنب الناس بل يستميلهم
بالإغراء والموسيقى[1].

ولم يحدث في غيبته أي شرّ، لأن إيزيس زوجته كانت يقظة ... أن
أن نيفون الذي كان يتقد صدره بالغيرة، دبر مؤامرة ضد أوزوريس اشترك فيها
اثنان وسبعون رجلاً وأخذوا في تنفيذها عقب عودة أوزوريس، فقد صنع صندوقاً
رائعاً بحجم أوزوريس تماماً وعرضه في خلال مأدبة ووعد مداعباً بإهدائه لمن
يستطيع أن يملأه تماماً، فلم يوافق الصندوق تماماً أحداً إلى أن جاء السيد ...
أوزوريس فنام فيه، وعندئذ أسرع في الحال أتباع نيفون المتآمرون ووضعوا
الغطاء وأغلقوه بالمسامير وألقوا بالصندوق في النيل، ويقال عادة حين وقع
البحر ... وعندما أخطر أوزوريس! فكذا حدث عليه إيزيس حزناً عظيماً وأسرعت
بحوب البلاد بحثاً عنه وذلك بمظهر الأحزان على الجهة التي انساق إليها الصندوق
لأنهم كانوا قد رأوا بطريق الصدفة كيف ألقى التابوت بالصندوق في البحر
وقد علمت إيزيس فوق ذلك بأن الصندوق قد جنح إلى شاطئ فينيقية عند
مدينة جبيل (بيلوس) ونبتت شجرة بحت سريعة وأحيطت في داخلها. بيد أن
ملك جبيل أعجب بضخامة هذه الشجرة واتخذ من جذعها الذي يضم الصندوق
عموداً يدعم سقف قصره. وعندما بلغت الأنباء إيزيس غادرت إلى جبيل وجلست
باكية في حالة شديدة من الذل والمسكنة بجوار نبع. وكانت لا تكلم أحداً ولا
تلاطف إلا خادمات الملكة. فكانت تضفر شعورهن وتعطرها بالطيب العجيب
الساطع الخاص بها. فعندما لاحظت الملكة الطيب الذي يفوح من خادماتها

---

(1) راجع Plutarch, de Is. الفصل ١٣. وهناك مصدر آخر يونانى يتحدث عن تجوال أوزوريس.

وحدث أن الملكة[1] اكتشفت أن طفلها يرقد في الفراش الذي

فصرخت وبدت فقد الطفل خلوته. وعندئذ كشفت الإلهة عن نفسها

وأخرجت الصندوق من باطن الشجرة، ولفت

الكتان وغطتها بالدهون، ولا تزال تعرض حتى اليوم في معبد جبيل

على أنها هدايا إلهية.

وخرجت إيزيس على الفور وأخذت تبكي وتندب بحسرة لعلمها أن الإله

اليوم نفسه قد مات وأخذت الإله الأكبر والثاوت وعدت بهما إلى مصر

وهناك في عزلة، فتحت الصندوق ووضعت وجهها على وجه الميت وقبلته وهي

تبكي وتنتحب، وعندئذ بأجراس الصدى توجهت إليه إيزيس، ونفسها تفيض

بالعطف، عزاة بليغ من رغبتها أن مات من الخوف.

وعندما تحت إيزيس الأم ولدها حوريس الذي كان يرعى في جزيرة خمات

المستورة التي فيه مدينة أوزوريس. ولكن تيفون الذي كان يضطاد ليلاً اكتشف أن

جثمان شقيقه أوزوريس إلى أربعة عشر قطعة وبعثرها. وعندئذ أخذت

إيزيس تحرك المستنقع بقاربها من سيقان البردي باحثة عن أشلاء الجثمان. فعثرت

عليها جميعاً ما عدا عضو التناسل، ثم تعثر عليه لأنه ابتلع خاصاً من السمك الذي

قد التهمه. ومن ثم فقد أصبح هذا النوع من السمك مكروهاً ومحرماً عند

المصريين. ثم دفنت جميع أجزاء الجسم الأخرى على انفراد، كل جزء حيث

وجدته، وهذا هو السبب في تعدد مقابر أوزوريس في مصر.

وعندئذ خرج أوزوريس من العالم السفلي ليعد حوريس للقتال. وقد سأل

عن أجمل شيء في الوجود فأجابه الصدى: إنه هو علاج الظلم الذي حاق

---

(١) كانت تسمى عشتروت، على اسم الإلهة الفينيقية التي وجدت سيبلها كذلك إلى مصر.

بالوفاء [illegible]. وعندما اتخذ حوريس أهبته للقتال كان تيفون قد هجره عدد [illegible] بالقليل من رفاقه ومن بينهم "زيس نفليك"، وهي قرصة السمر التي سنعرض لذكرها في الفصل العاشر.

وبعد قتال استمرّ عدّة أيام انتصر حوريس على أعدائه. بيد أن [illegible] كانت تستطيع تيفون من ابنها حوريس مخبأ بالأدغال. عند ذلك [illegible] وأعلان [illegible] علم بمحتال حوريس ذلك وأطاح بالتاج من على رأسها. وتكفل [illegible] بمسحه فشرع على شكل رأس البقر.

وعندئذ اتهم تيفون حوريس بأنه ابن غير شرعي، وادّعى [illegible] حوريس وعترفت به الآلهة أبناً شرعياً لأوزوريس. وفي [illegible] غُلب ست على أمره تماماً.

وبهكذا تنتهي رواية بلو تارك. ونحن إذا قارناها بالروايات الأقدم عهداً التي أوردناها فيما سبق، فإننا سنلاحظ أن هذه الرواية الأحدث من الأسطورة المدنية تلائم من حيث الشكل ذوق القارىء اليوناني. وتفوق ذلك فوق من بين المظاهر البهيجة التي توحي بها طبيعة أوزوريس، هو ذلك المظهر الذي يصور من أوزوريس الشكل المثالي الأول للميت الذي تتخذ له طقوس جنازية للدفن والصندوق الذي كان ينام فيه يذكر بالتابوت. وجميع حوادث حمل أيبيوس تشير أيضاً إلى الدفن وإعداد الجثة، لأن كل ما يستخدم في هذه الظروف من خشب وزيت أرز يستورد من هذه السيناء. وهناك كتاب قديم للحكمة يؤكد أيضاً هذا الأمر[2]. «فإذا لم تحمل الرحلة إلى جبيل «بيبلوس» فإن خشب الأرز ينقص للمومياوات وزيت الأرز لا يوجد لتحنيطها».

ومع ذلك فإنه مما يستلفت النظر أنه لم يرد ذكر الإله الذي دفن أوزوريس إلا عرضاً. فقد ظهر مرّة واحدة صم أنوبيس وهو طفل وُلد من علاقة غير شرعية

---

(١) علاوة على هذا امتدح حوريس الجواد، أكثر من الأسد، لأنه يمكن به مغازلة الفتيات.

(٢) قارن Erman, Litt, P. 135.

وحدته بعد أن أرشدتها عن مكانه طائفة من الكلاب، فربته إيزيس ور
هذا الطفل حارسها وتابعها. وكان أنوبيس هو الذي يتولى حراسة الآلهة ف
تتولى الكلاب حراسة الإنسان.

وشخصية أخرى أكبر خطراً أيضاً، وهي حوريس الطفل التي لم تذكر إلا
عرضاً ولم تكن تمثل إلا إلهاً صغيراً معيناً، وهو حربوقراط - كما يسميه
الإغريق - أي «حور. يا. خرد». وحوريس الطفل. وكان ينظر إليه على أن إيزيس
قد ولدته بعد موت أوزوريس، وأنه لهذا السبب قد ظل هزيلاً.

وإنه ليمكن ذكر أحدث صيغة لأسطورة أوزوريس، فقد عادت [illegible]
[illegible] أوزوريس على
الأرض. وقد زادت مقطوعة «الناي المسحور» في نشرها وذيوعها بين الناس [illegible]
[illegible]

ولكننا نحن الذين نعرف هذه الأسطورة من مصادرها القديمة الت
وهي أقدم ما في العالم من أساطير، فإننا ننظر إليها نظرة مختلفة كما نستطيع أن
نوضح هذا في عجالة.

الفصل السادس

اللاهوت

إذا كنا قد عالجنا في الفصل السابق التطورات، والأساطير التي تعتبر في مجموعها ذات طابع إنساني قريب إلى الفهم فإننا في هذا الفصل سنعالج أمر الديانة المصرية عموماً مما يتعلق بالتأويلات والتعليلات التي اصطنعتها الكهنة لتأييد سلطانها. وقد أثر الكهنة تأثيراً عميقاً منذ أقدم عصور التاريخ، وإن اشتهار المصريين القدماء بالحكمة العميقة حتى يومنا هذا ليعتبر - فيما أرى - خير دليل على هذا النوع من النفوذ.

وكما هي الحال في كل مكان نجد أن الدين يختلف في أعين الأديان فيه لا يفيد شيئاً جوهر الدين، ولكي نعطي مثلاً نقارب إلى الأذهان ما أشرنا إليه لا يؤثر على العقيدة المسيحية موقف كل شخص من الأقانيم الثلاثة، ولو أنه قد يحدث أحياناً نتيجة للتفصيل في هذه النقطة أن يختل الكنيسة عندنا بأسرها.

وقياساً على ذلك فإن بعض ما حدث للكهنة حول آلهتهم، من التقديس قد نفع الشعب وداع في طبقاته. ولقد بقيت هذه التقديس مجهولة حتى لتشتمل في عصرنا منقوشة فوق جدران المعابد ومدونة في النصوص المحزنة من الحفاريات المحاطة بالأسرار، وإن لم تلعب دوراً مهماً في حياة أفراد الشعب. وإذا كان هؤلاء يسمون أولادهم باسم الإله «بتاح» العظيم مثلاً وإن كانوا يخزعون إلى هذا الإله في ساعات حرجهم فإنهم أهملوا شأن الإله «تاتنن» الذي اخترعه الكهنة وجعلوه

... عبد الإله «بتاح»، ولو أنهم ما ذكروه في أحاديثهم واعتبروه إلهاً أبدياً خالداً.

... احتفظ الكهنة بسر تعاليمهم الدينية إلى درجة جعلتنا نعجب مما ورد في بعض النصوص المنقوشة فوق المعابد الدينية ولم ندرك لها معنى إلا بعد أن ... ما يقصد بها منقوشاً على معابد العصور المتأخرة؛ فمثلاً كل من يزور المعبد الصغير في مدينة هابو لا يستطيع أن يفسر لماذا سمى منذ أول العصور ... المكان المقدس لآلهة الأبدية»[1]، ولم ندرك فحوى هذه العبارة إلا من ... البرديات اليوناني ظهر منه أن الكهنة كانوا قد اعتبروا هذا المكان ... أبدي

... تقل معابد الجنوب تعاليمه، ولو أنه قد تخلفت لنا جميع معابد ... العقائد المصرية حسب مدارسها المختلفة، ولكن ضاعت ... معابد الوجه البحري تقريباً وكثير من معابد الوجه القبلي، ويجدر بنا هنا ... واجتهادهم أن يصلوا إلى نتائج فتحت أمامهم الطريق إلى الكثير مما غمض من ... الكبرى التي كانت ذات أثر في الديانة المصرية لسبب واحد هو أنها كانت ... تتفق كل ... واحدة لأن كهنة هؤلاء الآلهة لم يصلوا إلى نتائج ... مستمداً من هذا الجميع، ولقد حاولوا أن يعرفوا كيف تكون العالم ... من الأيام فوق سطح ... الكهنة في منف ـ مثلاً ـ يقولون بأن الأرض الطاهية (تا ـ تنن) هي ... الإله «بتاح» نفسه، ومن أجل ذلك سمي هذا الإله باسم «تا ـ تنن». ثم ... الكهنة بعدئذ أن يدعوا بأنه منبعهم إلى الصدارة فلما لم تسعفهم الفرصة ـ ... هناك إله آخر تتشوت تعاليمه وتتغلغل في نفوس عدد أكبر من أنصار

---

(1) Sethe, Amoun, 103.

إلههم أضفوا على ذلك الإله ذي العباد الكثيرين من صفات ومناقب إلههم المحلي»(١).

وكذلك الحال في تعاليم المدينة المقدسة «هليوبوليس» وأول ما حويت به هذه التعاليم هو تاريخ بدء الخليقة، فقالوا: «عندما تكون إله الشمس (أو تنما سموه في هليوبوليس الإله أتوم) في المياه الأبدية فوجدها قبل أن تتكون السماء والأرض وقبل أن تخلق الذرة أو العلقة، ثم يجد مكاناً ما يقف فوقه»(٢) فوقف فوق تل، ثم «صعد فوق حجر الـ «بن بن» في «هليوبوليس»(٣). وبعدئذ وجد نفسه وحيداً وفكر في أن يخلق له زملاء (رفقاء) فحمل من نفسه(٤) وبعد هذا الحمل تقيأ(٥) فكان الإله شو والآلهة تفنوت. ويلمح واضحاً من أسمى هذين المعبودين أنهما خلقا بالطريقة التي ذكرناها فيما سلف؛ فالاسمان اشتقا من كلمتين قديمتين بمعنى (البصق) الكلمة الأولى: إششر، والثانية تف.

وأنجب شو وتفنوت الإلهين كب إله الأرض ونوت إلهة السماء. ثم أنجب هذان الأخيران أوزوريس وسوف وإيزيس ونفتيس. ثم تكاثر أبناء الزوجين الأخيرين.

ولقد حكم هؤلاء العالم في أول الأمر قبل أن تتجمع السلطة في يد حوريس فكانوا الآلهة العظام ولأن عددهم كان قد بلغ التسعة فقد سماهم المصريون التاسوع، أو التاسوع العظيم لهليوبوليس. ولكن هذه التسمية قد سببت بعض الإضطراب لأنه بجانب هؤلاء الأبناء كان هناك أحفاد وأحفاد أحفاد لإله أتوم الذين امتازوا بتقديس الناس إياهم واعتبروا آلهة. فالمنظر الكهنة أن

---

(١) ومن الأمثلة الواضحة عن ذلك أن التفتح بين حوريس ومست قد أصبح في الفيوم كفاحاً بين «الإلهين سبك وتحوت». Fayoum Papyrus II, 38.

(٢) Budge, Nesi Amsu, p. 147, 156.

(٣) Pyr. 1652.

(٤) Pyr. 1248, 1652.

(٥) Pyr. 1652, A. Z. 67,34.

[illegible] الثاسوع المصغر الذي يتكون من حوريس [illegible] ومعاونيه والوصي ولكي يكملوا العدد أضافوا إليهم بعض الآلهة غير مشهورين. ولقد حظيت فكرة كهنة هليوبوليس بتقدير كهنة بعض المدن الأخرى، وأرادوا أن يكونوا من آلهتهم المحلية تاسوعاً فوضعوا معبودهم الأثير في مقدمة هذا التاسوع ثم أضافوا إليه عدداً من الآلهة كان أحياناً يزيد عن التسعة، ومثل ذلك تاسوع طيبة[1] الذي جمع ما لا يقل عن خمسة عشر معبوداً، وأحياناً نجد عدداً من الآلهة يكون تاسوعاً ليس من بينهم معبود معين قدس في هليوبوليس، ومثل ذلك في مدينة أبيدوس التي ثالث تاسوعها من الإلهين باسم خنوم ثم نحوت، ثم إلهين باسم حوريس وإلهين باسم أوب أوات[2]. ومما يثير العجب أن المصريين منذ العصور الأولى أخذوا يتحدثون عن عدد التسعة من الآلهة التي اعتبروهم تاسوعاً لها [illegible] معبوداً إلهاً واحداً هنالوا مثلاً: إن التاسوع قد بدأ [illegible] ثم أنه قد خرج منه عدد التاسوع[3]. ويتضح أنهم قد رأوا في عدد التسعة من الآلهة تاسوعاً وحسب، دون أن يصل إلى الاعتقاد بأن هذا ثم يكن إلا نوعاً من أنواع التجانس الذي هو واضح في كثير من التصورات المصرية.

ويجدر بنا هنا أن نؤكد أن تعاليم هليوبوليس هذه رغم أنه تبدو عريقة القدم فقد ظهرت في عهد كانت فيه الأوضاع قد [illegible] واختلطت بمعتقدات عدم المصرية.

وعندما سطعت تعاليم هليوبوليس لابد أنهم رأوا في جميع الآلهة لم تستطع جارتها منذ عدد الأسرة بهذه المنزلة، وخاصة لدا لإلههم الذي [illegible] من

---

(1) Sethe, Amun, 41

(2) [illegible]

(3) [illegible]

(4) [illegible]

الأسود، وقد دفع الورع بكتبة «شباكا» أن يخلدوا كذلك على هذا الحجر بقية من كتاب آخر، وعلى هذا الشكل الغريب وصل لنا هذا النص[1].

وأطلقوا على الإلهين الثاني والثالث من هذا الثلاثي «بتاح ـ نوبه» الذهبي الأبدي وزوجته «بتاح ـ ناونت» وقد أنجبا الإله النوم. ومعنى ذلك أن المسيح هذا الأخير وهو أعظم آلهة هليوبوليس أقل شأناً من الإله بتاح المعنوي. فكل ما اتصف به النوم من خصال استمدها من «بتاح» بل إن شفتيه وأسنانه التي عمل بها

---

(1) ومن الغريب أن هذا الحجر تعرض للتلف مرة أخرى. فقد وجد بعض أهالي منف أنه يصلح قاعدة لرحى. فاستعملوه في هذا الغرض فانمحى جزء كبير من النقوش. وعند عام ١٨٠٥ توجد هذه الوثيقة الغريبة في المتحف البريطاني.

هو وثقوت قد استعارها من بتاح؟ بل صاروا أقوم من قدرته على أن يحيي [illegible] وأن [illegible] ليسا إلا من بتاح. ومن هذا [illegible] الموضوع نجد أن [illegible] هذا يحرك كل شيء إلى الوجود. [illegible] ما يرى [illegible] وشمت الأنف الهواء بعث هذا ما رأت وسمعت وشمت [illegible] في الجسم هو [illegible] قلوب الناس فيحيى بها [illegible] الأعضاء [illegible] أنوم تشكلن من أعضاء بتاح حتى عرف الأول بأنه بتاح تحيت والثاني بأنه حابي. وقد عنى الدكتور [illegible] بترجمة هذه الكلمة "الخليفة" التي تحتل [illegible] في هذه الجملة وفي ما يأتي وكل ما يجيء أو يذكره الإنسان؛ كما أنهم جعلوا [illegible] هو الذي أنشأ الأشياء بفمه بعث السلام والنعم [illegible] الأشياء كما مست [illegible] أنف الإله حتى تنفس وكل ما في جسمه الأنبياء. وبعد ما أخرجت الكلمة سمعت الأذنان وتحركت الأعضاء.

وخلاصة القول، هو أن بتاح خالق أتوم بل خالق كل الآلهة «وسعد قلب بتاح بعد أن خلق الأشياء كلها وخلق كلمة الإله».

وهيمن بتاح أيضاً على الأرض «فقد كون الآلهة وشيد المدن وأنشأ المعابد ووضع الآلهة في معابدها وسمح للقرابين التي تقدم لهم أن تتكاثر وجدد كما زود مقاصيرها المقدسة بمحتوياتها، ثم صنع لها أجسادها لبسعة [illegible] ثم دخلت الآلهة إلى أجسادها التي صنعها من مختلف الأخشاب [illegible] والمعادن والأحجار الكريمة المختلفة وجميع الأشياء التي ينبت عليها [illegible] وهي تشبه الأشكال التي تكونت الآلهة بعد بتاح».

[illegible] الآلهة بتاح عن حكمتهم العميقة في كلمات رنانة، إذ من [illegible] التي خلقها بتاح قد انحدرت في أحكمة أبية

Pyr. 1146. Berlin Papyrus [illegible] الإله المعبود هي التي تخلق الأشياء

وهذا يدل على أن المعابد الأخرى تضاهي معبد منف في كل شيء.
والواقع أن الآلهة التي تعبد في المعبد هي أعضاء الثالوث الذي يمثل الإله بتاح أو أمون أو رع[1] كما حملوا من «تحوت» الجانب العقلي الذي يكون
شيئاً ثم جعلوا «اللسان» بمثابة الناطق بما يجب أن يكون. والكلمة عندهم في كل
حديث ترجع إلى العصر اليوناني أن هذه من بين التعاليم التي تلقاها في هذا
المعبد[2]. «فالقلب هو العقل يشبه المعبد أما اللسان فيشبه مساعد
دينيه حوريه» وهي أن هناك إلهاً واحداً خرجت منه الآلهة الأخرى. وإن القلب
هو الذي يقود هذا الإله الواحد.

ولكن الوثيقة نفسها التي تحوي فيها كهنة منف من الإله أتوم على لسان
شرحه، يحدثهم قد شرحوا موقفهم من إله آخر هو أوزوريس ولم يجرؤ الذين
يجرءوا أن يجعلوا منه طيفاً من أطياف بتاح. إلا أنهم جعلوا منه واحداً معين
يكون منهم ملاط بتاح وأنه آخى الآلهة التابعة لـ[3] ثم جعلوا من منف الميدان
الذي جرت فيه أهم الأحداث لهذا الإله.

وفي منف نوجه أوزوريس إلى العالم السفلي. وكان ذلك بعد أن انتقله
إلى إيزيس ونفتيس. وفي هذه المدينة أيضاً حاول كب أبو أوزوريس أن يقتسم
بين حوريس وست السعادتين، فأعطى للأول مصر السفلى وللثاني مصر العليا.
وفي منفيس أعطى حوريس حفيده من ابنه الأول حكم البلاد بأجمعها.

وهناك بعض التعاليم الخاصة بمدينة الأشمونين ومدرستها الدينية تعتبر
أيضاً من تخريج منف. ولو أنها لم ترد في الوثيقة التي نحن بصددها فيما

---

(١) قارن ١٠ ورد في أنشودة أمون المحفوظة متحف برلين حسناً، وقارن كذلك A. Erman. Literatur P. 299.

(٢) Horapollo I, 2i.

(٣) ولو أنه ورد في نص آخر أنه قد خلق من بتاح Berliner Inschriften II. 149.

[illegible] هو خالق الآلهة الثمانية الأولى فيها[1] كما أنه اعتبر
[illegible] «رع» الشمس، وبذلك أصبح «والد آبائه أجمعين
[illegible] هو صانع كل ما خلقه في الكون.

[illegible] الحقيقة في مدينة
[illegible] وعلى هذا أصبح
[illegible] ولما كان هذا
[illegible] في مدينة أخرى فيها
[illegible] إذ حدث في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد
[illegible] واحداً
من الآلهة الأولى التي أوجدت الكون الأول وجعلا شأنه في هيئة إله استقر أيضاً
[illegible] في العالم السفلي «الدوات» وحكمة الهناصر، وهكذا وصلتنا هذه الحكمة
[illegible] من تعاليم هذه الديانة من طريق معابد طيبة في العصور التالية.
والمهم مما سبق هذه المحاولات التي يُراد منها هو تعليم الاكتفاء بالآلهة الثمانية، بل
يجب بطبيعة الحال أن يوضع إله قيطهم يكون هو الذي خلقهم، وبالفعل
صار آمون الذي كان واحداً منهم هو خالقهم ويدل اسمه على أنه «المكان
الخفي»، وعلى هذا النحو لم يكن لآمون هذه أية أهمية لأنه صور على هيئة
ثعبان اسمه «كم ـ اتف» ويعني هذا الإسم «ذلك الذي أكمل زمانه»

وهكذا كان هذا الإله الثعبان ذي موضوع لبداية الدنيا فانتهى أمره وأنجب
«اتم ـ اتف» وتلا على هيئة الثعبان اسمه «ايرـ تا» خالق الأرض الذي خلق
بدوره الآلهة الثمانية الأولى، ومنها نشأت الخليقة. ولأولئك السفلاء الذين لم
يتعمقوا على هذه الحكمة ذات المعاني العميقة كان «كم ـ اتف» عندهم هو
«آمون العظيم» معبود الكرنك. وهو أيضاً آمون إله التناسل وخالق الأرض
ومعبود الأقصر.

---

(1) Sethe Amun, 200, Arun. 2, Taf, II.

الذين يدفعون الشمس إلى الشروق والنيل إلى الأرض. ولما كانت الكهنة تعلم أن الإله نبدو لها غريبة فإنها لم تكن تملك الشيء الكثير لتقوله عنه، ولكنها كانت تعتقد أن إلهه الكبير أوزوريس كان يحيا حياة شبيهة ثم مات.

ولقد تمادى أهل المعرفة من رجال طيبة في تنفيذ فكرتهم هذه حتى أنهم جعلوا من أوزوريس إلهاً هو (كم - اف) الذي يتفق في معنى اسمه والذي قد اكمل وفنى مع أوزوريس، ثم ليزيدوا في إحكام الحلقة جعلوا من أمون المربع أوزوريس وقالوا إن جسد أمون يوجد في الدنيا السفلى، وإنه أي أمون تتجه للشمس يزوره جسده هذا عندما يتجول في الدنيا السفلى أثناء الليل.

وليس من شك أننا في عصرنا هذا لا نستطيع مطلقاً تفهم دقائق هذه التعاليم، ولكنا نكاد نعتقد أيضاً أن أكثر الكهنة تعمقاً في هذه التعاليم لم يكن يعيرها أهمية ما أثناء حياته الكهنوتية العادية؛ فإنهم لم يروا في أمون الكرنك إلهاً مبتاً منتهياً، بل كان هو أكبر آلهتهم وأقواهم، هو ملك الآلهة الذي يسوس العالم ويتحكم في مقاديره كما أنهم في واقع الأمر لم يروا في أوزوريس ذلك الإله الذي تظهر روحه باسم أمون بل كان إله الموتى فقط

---

(١) وهكذا ورد أيضاً أن التسعة أبناء لرع قد دفنوا في إدفو وكان لهم عيد سنوي وكان يقدم لهم القربان كل يوم Edfu, Recherm. I 137, 289, II 51

... هذه التعاليم التي تقول بأن الآلهة قد خلقوا من إله أول واحد نشر ...
فكرة أخرى وهي أن كل ما نطلقه الآلهة من أشياء. فإن هذه الأشياء تحتوي ...
بعض صفات تلك الآلهة. وقد قالوا في ذلك «إنها خرجت من أعضائها» وليس ...
من شك في أن هناك علاقة ما تربط بين كنه هذه الآلهة وبين تلك الأشياء التي ...
تخرج منها، «كثيراً ما سموا الماء «أعضاء أوزوريس» ولعل هذه التسمية تفسر ...
ذلك الاعتقاد القديم الذي يجعل من أوزوريس إله الفيضان الجليدية. ولكننا لا ...
نكاد نفهم السبب الذي جعل المصري يقول بأن الماء هو ذلك السائل الذي ...
يجري من جثة أوزوريس. ولعل السبب الذي جعلهم يسمون «الهواء» «أعضاء ...
... هو إله الهواء ... - وهو في حالته الأولى كأحد الآلهة ...
الثمانية - إله للهواء والرياح[2] كما اعتبرت زوجته «أمونت» إلهة الرياح ...
الشمالية[3]. ولقد سبق أن تكلمنا بشيء من التفصيل[1] لأنها كانت تعتبر في ...
وقت من الأوقات مكاناً لا تحقق فيه العلاقة بين الجسد الذي صنعوها لتخرج ...
من حاتحور[4] والزهور من أوزوريس[5] والظران من ست[6]. ومن المعروف أن ...
المصريين حتى وقت متأخر أنهم لم يجدوا كل الأدوات التي استعملوها في ...
حفرهم إلى أصل إلهي حتى يكسبوها نوعاً من التدشين فيرجعوا المرّ والبخور ...
إلى أصلها الإلهي. إذ كانوا يعتقدون أن حوريس عندما يحرقونها كتقدمة لهذين ...
الإلهين[7] كما أحبوا تسمية البخور «عرق الإله»[8].

---

(١) هكذا ذكر في معبد رمسيس الثالث بالكرنك، وقارن Brugsch, Grosse Oase 25,3.

(٢) راجع Spiegelberg, A. Z. 49, 127

(٣) راجع في كل ذلك Sethe, Amun

(٤) Mariette, Dendera II, 37 a

(٥) راجع Philae, 1545

(٦) Philae, 967, 893

(٧) راجع Plan ... وقارن في ذلك Plan de Louvre أن البخور هو بمثابة دم ست

(٨) راجع مثلاً Philae, 1096 وكذلك Edfu II, 42.

(٩) راجع مثلاً النصوص التي تتكلم عن أمون حيث يقال عن البخور هو رائحة عرق جسم الإله.

ولقد وهب هذا العرق[1] المقدس

في صناعة أقمشة غطوا بها تماثيل الآلهة واحتاجوا إليه في

ولقد اعتقدوا أيضاً بأن كل المواد التي تستعمل في

وإذا كنا فيما سبق قد ذكرنا أن روح أوزوريس قد بقيت على قيد الحياة

وسوف نتحدث في الفصل الرابع عشر عن اعتقاد المصري بأن لكل إنسان روحاً

وهي أن هناك غير «با» ما أسموه «القرين» أي كا. ولقد خلقوا على الأقل ما

اعتقدوه عن البشر، فكان لكل إله «با» و «كا»، ولكن لم نجد المسائل مع ذلك

بمثل السهولة التي جرت عليها مع البشر.

فأولاً كان لكل إله «با» تسكن كما تصوروا ذلك تمثاله الموجود بالمعبد.

ولكن لم تسكن فقط المعبد بل كانت تتجول في أمكنة أخرى وبخاصة في السماء.

وهكذا تصور لنا نقوش معبد دندرة التي ترجع إلى عهد متأخر كيف كانت

تهبط روح حاتحور من السماء إلى معبدها المحمول لتسعد نفسها

كما اعتقد المصري أن روح الإله تسكن الحيوان المقدس في معبده، وقد

أعطى هذا الاعتقاد رجال الدين المتفقهين فيه فرصة طيبة التي يتحكموا في

---

(١) عدا هذا لم يكن هذا الأصل الإلهي يبدو دائماً في شكل طريف، فقد جاء أن أعضاء الإله قد نمت فنشأ العرعر والأرز ونجمت نبتة البردى (Pap. Sall. 825. II, 7).

(٢) Salt, 825 II, 7.

(٣) Ritual de L'embaumement, Maspero, Pap. du Louvre N 3 Pl.. 7,10

النصر ـ القوة ـ النمو ـ الطعام ـ الاستمرار ـ النظر ـ السمع ـ
ذلك كثير[٧] ثم في الوقت نفسه اعتبرت الكا فهو تعدد و[illegible] مع
إنها كائنات تنشر الخير مثلها في ذلك مثل النيل والحقل[٨]

ولما كان الملك في اعتقادهم ذا صفات إلهية، لذلك يجب أن يكون له

---

(١) راجع Sitz. Ber. Berl. Ak. 1916, 1148

(٢) راجع Plutarch de Is. 20

(٣) راجع Toth. 17, vgl. Grapw Dessertation 45

(٤) Destruction, I, 80

(٥) ومن الأمثلة التي تبين مخلف هذا التفكير أنه حسب أنشودة تاسوع الحبيبة، فإن لإله الشمس أربعة رؤوس كل منها على هيئة رأس الكبش تقوم جميعاً على عنق واحد، وله لذلك ٧٧٧ أذناً ومئات الألوف من العيون. وتمثل هذه العيون الكباش الأربعة آلهة الرياح الأربعة (عن مقالة لم تنشر بعد: Roeder, Urgötterlied aus Hibis

(٦) راجع Edfu. ed. Rochem. I, 441.

(٧) راجع Pichl. Edfu, Inscrip. 128, 130.

(٨) راجع Brugsch, W. B. Suppl. P. 997 and Pyr. 396.

أن الإله يمكن أن يكون بمثابة روح لإله آخر، فمثلاً «آمون» كان روح

وليس من شك في أن الصورة التي أعطيناها هنا عن معتقدات المصريين

F 2; Rougé J H 38.

(٢) راجع Pyr. Text. Spruch 474, 575, 580, Sethe A. Zeit, 57.

(٣) راجع Brugsch, Grasse Oase, 16,40.

(٤) راجع Gaspero, Dissertation S. 39, Maunnus d'Edfou, ed. Chassinat 96 وفي هذه كان يعتقد أن روح أوزيريس تتألف من أربع أرواح هي روح «ب» في إدفو وروح «با» وروح «كب» وروحه هو نفسه.

معبوداته عدد كبير سمي باسم «سخمت» إلهة الحرب ولكل
الواحدة عن الأخرى: «سخمت» محبوبة «بتاح»، ...
في ... «سخمت الخيرى»، ...
محبوبة من «سوبك» وغير ذلك ...
هناك مئات من الإلهات «هاتحور» عبدت في مناطق متفرقة من مصر.

... الكهنة المتفقهين في الدين نفس العناية إلى قصص الآلهة
... التي تقربه إلى الأذهان، فما ارتبط منه بحياة الشعب
... وجعلوا منه موجزاً مشوهاً، ثم سعوا إلى تحقيق ما لذا فهم مهما
... تفسير ما أطلق عليه من أسماء، ووجدوا ضالتهم دائماً فيما نسبوه إلى
... من أقوال وأعمال ... وحسبوا بعفوية أنه قد قيل في خصوصهم أن الإله ...
قد تناول لأبنائه يعبر عن ملكه فتحدهم قد أضافوا إلى ذلك قصتين تعتورهما
الحماقة والسخف[٢]: لقد فزع ست أمام عظمة غريمه إلى درجة أن نزف الدم
... فسرع ودفن هذا الدم في الأرض فنشأ عن ذلك ما أطلقوا عليه حوت
الأرض وهو عبد تخصص له في مدينة «بجنسباه» (هيراكليوبوليس) وفي بعض
المخطوطات الأخرى ثم عندما ثبت رع تاجه على رأس أوزوريس، مرضت هذه
... من حرارته المستعرة، ونكس رع أخرج الدم والقيح من الرأس وشفي
أوزوريس وتكونوا من هذا الدم والقيح تلك البركة بجوار معبد هيراكليوبوليس.

ونذكر هنا مثلاً آخر يدل بوضوح إلى أي درجة مسخ هؤلاء المتفقهون
... الذين لم يدركوا أن إلههم وهو قرص الشمس المشع

---

(١) راجع: A. Zeit. 58,44.

(٢) راجع: Totenbuch 175 nach. Kees A. Z. 65 ff.

بناءه أطلقوا عليه اسم حوريس قد حارب أعداء مع. ولما كانت العادة جر
حوريس هو أن يذهب الدهن إلى حوريس [illegible]
قصة المجنح [illegible]
المجنح وأصبح يظن أن الأشياء [illegible]
[illegible] البحر، على حين [illegible]
[illegible] من الآلهة [illegible]
[illegible] الكفاح وما وقع إبانه من أحداث نجملها فيما يلي

سافر مع وحوريس إدفو ونحوت في معبده وجابو مصر من حدودها النوبية
إلى البحر، وبكل مكان عشروا فيه على أعداء [illegible]
[illegible] وقاهروه. وأعاد نحوت أن يبدل ملاحظة إلى نوع معد لكل [illegible]
[illegible] وكانت هذه الملاحظة هي الأصل الذي ترجع إليه تسمية هذا [illegible]
مدن وقريات ومعابد وأعياد وأشجار وحقول وكهنة ومعبدات تطلق على كل منها
اسمه بعد كل معركة ونتج عن ذلك من ٦٠ إلى ٧٠ اسماً عرفها ذلك الجدول
المحفوظ. وإذا أبدى لنا هذا التفقه في العلم سخيفاً فإنه قد أثر على المحدثين
بوجه يبعث على الدهشة مقدار ما أثر على المحدثين [illegible]
[illegible] قد رأى في هذه القصة وثيقة ثمينة تشير بعضها إلى هذا المكان[1] المقدس
على الجدران الداخلية للممر المحيط بمعبد إدفو

وفي آخر الأمر ألف هؤلاء العلماء المستغفلون قصة عن التشريع الأول
للعالم حاكوا أطرافها مما تجمع لديهم من قصص وحكايات، وتقول هذه القصة
إن الآلهة في أول الأمر كانوا ملوكاً لمصر السفلى، قبل أن تعرف مصر ملكاً

---

(1) مما يدل على أن هذه الشعبة في الأسطورة تنتمي إلى المادة المحلية أنه لم يرد في [illegible]
ذكر الإلهة الإجنبية عشترت.

Brugsch, Sage von der Geflügelten Sonnenscheibe (Abh. d. Gesellschaft der Wissenschaften 1870).

[illegible] وانتقاد العلماء في هذا الطريق إلى [illegible]
[illegible] لكل إله الغاباً تشبه القاب الفراعنة، ولقد عثر على لوح حجري
[illegible] بأبيدوس ترجع إلى عهد الدولة الوسطى وكتب عليه اسم أوزوني
محبوباً بقلبين من الملك سنوسرت الثالث، حوريس الذي عدا من العلماء في
مطلع مصر - ست الشمال والجنوب - أونوفريس - أون - نفر»

[illegible] في وثيقة ترجع إلى عصر الدولة الحديثة:

«ملك الشمال والجنوب - ست القوى - ابن الإله رع المحبوب منه، حوريس
محبوب الإله حور أختي»[2]

وأخذ من هذه العبارات علماء اللاهوت أن يقوموا بتفسير النصوص الدينية
التي [illegible] وشرعوا على تفسير بما يشبه الفصل السابع عشر من كتاب الموتى
[illegible] هذا التعبير الذي في الفم بمثل الميت أنه فم تكه إلهي ويفاخر بأنه أصبح
[illegible] الإله [illegible] «أنا مين» في حروفه وشكل الريشتين العاليتين
على حروفه، وهي هذا القول ما يرجع في الأصل إلى ذلك الاحتفال الذي يظهر
فيه تمثال هذا الإله وقد ثبتت فوق رأسه الريشتان اللتان تعتبران من العلامات
المميزة لهذا الإله. وإذا رجعنا إلى التفسير القديم نجد أن «مين» هنا هو الإله
حوريس في أبيدوس. ولأن تمثال حوريس لا تميزه الريشتان فسرت هذه على
أنهما «تمثلان شكل ذكر الإله يحاميان جبين أبيه أتوم». وفي تفسير آخر يرجع
إلى عصر الدولة الحديثة نجد أن «مين» قصد به أيضاً حوريس ولكن لجأ صاحبه
إلى التغلب على صعوبة تفسير الريشتين بشكل آخر فقال إن «الخروج» معناه

---

(1) Louvre. C. 2
A. B. 99 et [illegible]

الفصل السابع

الحوادث التاريخية وأثرها

تحدثنا حتى الآن عن القوى الخفية التي تؤثر باستمرار في الديانة وتشكلها. ولكن بعض الحوادث الخارجية قد أثرت فيها أيضاً وقطعت سلسلة تطورها. ومع عدم إحاطتنا بالتاريخ المصري إحاطة تامة فإننا نعتقد أنه يمكننا معرفة هذه الأحداث التي نفرد لها هذا الفصل.

في مقدمة ما توافر لنا من روايات، نجد حدثاً كان له أكبر الأثر على الديانة إذ اتحدت مملكتا مصر العليا والسفلى لتكونا دولة واحدة صار مقر حكمها منف. وقد تحدثنا غير مرة عما كان لهذا من أثر في الديانة، فحسبنا عنها حينئذ، ولقد غدت الديانة بعدئذ شبيهة بالحكومة، أي أصبحت ذات صبغة موحدة تؤلف عقيدتا هليوبوليس ومنف نواتها.

وفي نحو عام ٢٥٦٠ ق. م. كانت الأسرة الحاكمة التي ابتنت لنفسها الأهرام الكبرى قد انتهى حكمها وخلفها ما يسمى بالأسرة الخامسة، وينتمي ملوك هذه الأسرة إلى أحد كهنة إله الشمس، وكانوا يعبدون هذا الإله بنوع خاص حتى إن ثلاثة منهم ابتنى لنفسه في مقبرته معبداً للإله رع على نمط معبد هليوبوليس الأكبر.

ومن أكبر علامات الشرف[1] التي تمنح لشخص ما هو السماح له بالقيام

---

(١) مثلاً Urk. I, 175.

الالهة - مع استثناء الإله بتاح وحده[1] - تحوّلوا إلى إله شمس. وإننا لندرك المظهر الخارجي لهذا التحوّل من إضافة اسم رع إلى أسمائها القديمة: مسرع، مسرع رع، خنوم رع، أمون رع ... وفي هذه الحقبة من تطور الديانة المصرية برز ميلاً متزايداً إلى الاتحاد في عبادة شمسية كان يتألق فيها إله الشمس سيد جميع المخلوقات. وقد بلغ الأمر في النهاية إلى حد اندماج أوزوريس - إله الموتى الطيب - في إله الشمس. ولم تكن هذه العبادة بعيدة كل البعد عن المسيحية، إذ أن الشمس كانت تنحدر كل ليلة في العالم السفلي حيث يتحوّل رع وأوزوريس - طبقاً لمعتقدات اللاهوتيين - إلى الروح المتحدة[2]. وهذا الاتصال بين الإلهين يتمثل فيما بعد في الكتابة حيث يكتب اسم أوزوريس أوزري - رع وليس أوزيري كأنما يحتوي اسمه اسم إله الشمس.

ولكن هذا التفاهم بإله الشمس أفاد شخصاً آخر هو الملك. فعند الأسرة الخامسة - كما رأينا في الفصل الرابع - كان يعد ابناً للإله رع. وكان كل ملك يختار لنفسه عند اعتلائه العرش اسماً له صلة بـ رع الشارك رع في طبيعته. فهو حين يموت - يصعد إلى السماء ويتحد مع أبيه. وهكذا يعود إلى المكان الإلهي الذي ينتمي إليه.

وعند انهيار الدولة المصرية حوالي عام ٢٢٥٠ ق م. كان بين المعتقدات

---

(١) Ed. meyer 1,2², 272.

(٢) Totb. 17 Thèse de Grapow, P. 39.

والملك الهكسوسي له الحقّ مثلهم أن يتخذها إلهاً شخصياً.

---

(١١) Hymne à Amon de Leyde, verset 100.

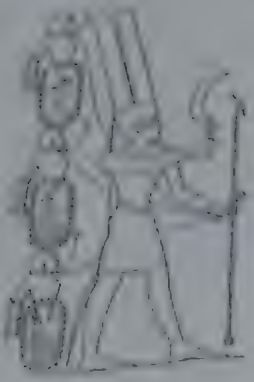

ثم عندما اتخذ الهكسوس عاصمة لملكهم[1] في شرق الدلتا عبدوا الإله سونخ، وقد تواتر أن الملك أبو فيس «لم يعبد إلهاً آخر في كافة البلاد»[2]

ونرجع الآن إلى أمون درع لأنه سيتصل إلى قمة مجده بعد طرد الهكسوس. وقد تمكن أمراء طيبة من تحرير مصر من نير الأجنبي، وعندما استقر حكم الأسرة على مصر كلها دون أن تهجر مقرها طيبة صار من المحتوم أن يصبح أمون درع إلهاً للمملكة وأكبر إله في البلاد. وعند ذلك الوقت اتخذ لقب ملك الآلهة، بل وأكثر من ذلك - شاء القدر أن يتمتع ملوك الأسرة الثامنة عشرة التحوتمسيون والأمنوفسيون - وهم الذين رفعوا إلههم أمون عالياً - بعظمة لم تعرف لها مصر مثيلاً من قبل. فمن الفرات إلى السودان كانت جميع البلاد تدفع لخزينة، وقد انتشرت عظمة إلههم في كل هذه الأرجاء الشاسعة، وقد أقام فراعنة

---

(١) وهي أفاريس، التي أصبحت فيما بعد تانيس، والإله سونخ هو نفسه الإله ست في مصر العليا، على أن اسمه كتب في شكل همجي.

(٢) Sallier I. 1.: cf. Litt. P. 214.

---

(١) Hymne à Amon du Caire.

(٢) cf. Sethe, Amon 217 ff.

هذا القادر رئيس كل الآلهة، الذي تنحني الآلهة عند قدميه كالكلاب، له رغم ذلك قلب مستجيب حينما يدعى. وهو منجي الخائف من اعتداءات السفيه

خالصة في إله الشمس. وفي الواقع أن أمون رع لا

أنشودة أمون حيث يشرق بصفته «وراختي».

خيرى الذي تجهد نفسك، في العمل.

لا أحد يراك أيها الذي يتحكمون بها. الذهب لا يشبه لمعانك

أنت وحيد وقد توحدت أشكالاً. أنت معطي الحياة الذي لم يولد.

أنت الواحد من يوجد الذي جبر الأبدية كلها. لمعانك شبيه بلمعان بابة السماء ولونك يتألق أكثر مما يتألق جلدها.

أيها الشيخ ذو اللحية. والشعر جميعاً يتأملونك. ولكن مسراك مخفي عليهم ولم يعلم ذلك.

ثم يشار إلى مسيرة الشروق البعيد الذي تقوم به الشمس كل يوم، وهو طريق مكون من ملايين ومئات الآلاف من الأميال في لحظة واحدة. وحينما يشرق بابة تنتهي بالفعل كل ساعات الليل ويضبطها دائماً دون توقف. ثم يستمر النسيج بهذه العبارات. فبفضلك ترى جميع العيون ولا تقوم بأداء شيء

أن تمام جلالتك، تقوم مصغرا لتطهر في النهر
في جبل مانون Mimoun

ولما أيتها الصغيرة الأليفة، توجهها إلى
الحيوانات الأليفة لتجتمع النهر وهي تحت الكلمة التي تحمي من
الحمى وتحمي الصغار

أنت أيها الصغير الكبير، أنت من الحيوانات الحية وتكفلت بما
يخص الله. أنت أيها الصغير الكبير في النهر المقدس الأمواه التي تحمي
الحيوانات الذي خلقت من نفسك ينبوع دون أن تلوثه

أي حيوانات البحر في وسط أمواه السماء. تلك التي تصنع أجمل الصوات
المهجنة في شريطة أن تغريه معا

أي خالق ما تنتجه الأرض. خنوم وأمون الناس. الذي تملك القطرين من
أكبر الأشياء إلى أصغرها أنت الأم الوالدة للصغيرة الطيبة والحسنة. أيها
الطيب الذي يتعب نفسه من أجل مخلوقاته العديدة.

أيها الراعي الطيب الذي يقود الماشية. أنت الذي يحمي الذي يحفظ البهيم
الحياة. إنه ذلك الذي يسرع. ذلك الذي يجري. هو الذي ينهي دوراته.
أيها صاحب الميلاد الجليل الذي يأتي من جسم نوت جميله هو الذي يمد
القطرين بشمسه. الإله الأصيل الذي خلق نفسه.

هو الذي يصل كل يوم إلى حدود البلاد وينظر إلى الذين يتحولون فيها
هو الذي يشرق في السماء. هو يقسم الفصول إلى شهور، وينتج الحرارة حينما
يريد والبرودة حينما يشاء. هو يقوي الأعضاء ويحفظها. كل بلد تتوسل إليه
عند طلوعه يومياً كي تعبده.

ها هي ذي محتويات الأنشودة ولسنا نستطيع أن نقول كيف قامت الثورة
الكبرى التي يشار إليها منذ الآن، ولكننا إلى حد ما نلاحظ أن ساختيها قد أدت

الفصل الثامن

عصر الهرطقة

نابذة مثل هذه الصوامع بالملكية العقارية. وأن الملك الذي كان يحب أن يظهر بهذا المظهر الجديد كان في طريقه إلى أن يصير حاكماً دنيوياً أيضاً لكي يحوله في بابل وميتاني.

ومن ناحية أخرى كانت كثيراً من الأفكار قد بدأت تتضخم في عقلية الشعب المصري لأن الثورة الكبرى التي اندلعت في عهد حتشبسوت لا يمكن فهمها بمعزل عن ذلك. كان الناس يذيقون بالحياة في ظروف مرونة عن العهود السابقة والتي تظهر كأكاذيب لقوم أحسن استعداداً. لم يعد الناس يريدون الحياة الدنيا بعد أن ذاقت منذ أمد طويل ولم يعودوا يريدون تصوير الناس على هيئة لطيفة وسعيدة ذات ابتسامة محببة. إنهم صاروا قادرين على تصوير تقاسيم الوجه على حقيقتها - وقبل كل شيء - كانوا قد ملوا خدمة دنيا تحرز مرادها أشياء لا تعني شيئاً لأحد ويحتقرون[1] وكانوا يودون عبادة وحب الآلهة التي تراها وتحسن وتصلح - أي الشمس - إن هذا الجيل الجديد كان يسير إذن نحو الحقيقة

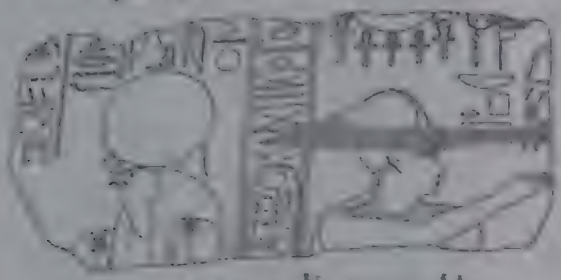

٤٨ - من مينى لأمنوفيس الثالث في حبة
إلى اليمين الملك وهو يتعبد ومن فوقه الشمس؛ مثل المصور الشمس في شكله القديم ولكن باسمه الجديد (برلين ٢٠٧٢)

وأمر بناء معبد الشمس في الكرنك عند نهاية حكم أمنوفيس الثالث [illegible]

---

(١) مثل هذه العبارة نجد في كتابه [illegible] وتحديداً الملك أو في عهد [illegible] الحركة ثورة من الطبقات المثقفة.

كتلة حجرية من هذا الأثر رقم ٢٠٧٢ ـ قارن Schäfer في كتابه Amarna in Religion and ... وكذا مقالة لبورخاردت Borchardt n° 57, 18 S. في Mitt. der Deutsch. Or. Gesell. s.

يحق أن مثل هذه الحركات العظيمة لم يتم به (Geschichte I[2]

أنت جميل وكبير متألق وأنت فوق كل البلاد.

إن أشعتك تحيط البلاد بقدر ما خلقت منها.

أنت رع وأنت تخترقها حتى نهايتها[1] وتأسرها لحبك ابن النور الذي

الملك:

أنت بعيد ولكن شعاعك على الأرض... نراك ورغم ذلك لا نعرف مسارك.

عندما تختفي في الأفق الغربي تصبح الأرض في ظلام كما لو كانت ميتة يناموا في حجراتهم ملفوفي الرؤوس ولا ترى عين عيناً أخرى.

إذا سرقت منهم حاجياتهم جميعاً من تحت رؤوسهم فإنهم لا يحسون

كل أسد يخرج من وجاره وجميع الزواحف تلدغ.

والأرض في سكون لأن من خلقها يستريح في أفقه.

عندما يطلع النهار وتبزغ عند الأفق وتتألق في النهار كقرص شمس تطرد الظلام وتهدي شعاعك؛ القطران[2] يفرحان. إنهم يستيقظون من النوم ويقفون

---

(١) في هذا مجاز لفظي مع كلمة رع.

(٢) أي سكان القطرين.

أنت تشرق فيعيشون وتغرب فيموتون.

أنت نفس دوام الحياة ونحن نعيش بفضلك.

الأعين تتأمل جمالك حتى تغيب فيقطع كل عمله عندما تغرب عن اليمين[1].

---

(١) كان المصري يعتبر الغرب أنه عن يمينه.

... من أجل ابنك الذي خرج من أعضائك.

... حينما نقارن هذه الأنشودة الجميلة بأناشيد أخرى لإله الشمس وبالأنشودة السابقة لإخناتون (ص ١٥٧) فإن الفروق الأساسية لا يمكن أن تغيب عنا مع ... ولكن الأنشودة تحتوي تمرّ كلها دون ذكر أسماء إله الشمس الشهيرة وتجسداته وصولجانه ومدينته المقدسة. وهو يعمل كل شيء من سفنه وبحاره وعن الذين أبو قير ... الرحلة في مملكة الأموات وعن سرور ساكنيها ... وهي الموضوع الذي لا يخلو ... المعتقدات المصرية المتوارثة... وهي حقيقة أنشودة يستطيع ... أن يتوهم أنها تتعلق بالشمس. والواقع أن هذه الأناشيد ... مذكورون كما لو أن نعمة إلهية، التي كان ينظر بها المصريون نحو ذلك الشعوب التعسة أصبحت شيئاً قديماً، فإن الناس كلهم أبناء الله أعطاهم الوان ... مختلف ... ولكنه يعطي الآخر على سبيل التعويض عطفاً من لدنه.

... في استعادة هذه العقيدة التي تؤثر تأثيراً في نفوسنا اليوم أن ... مثل هذا الوقت تنتشر بهدوء بين الشعوب. ولكن الأمر لم يكن ... فإن الملك الشاب الذي كان معتلاً من الناحية الجسمية كما تظهره ... ... قام بإصلاح فقط، وقد قام بالإصلاح منذ أول الأمر باهتمام بالغ كان لا بد ... منه من إنعاش الأذهان به. وهي التي حكمته نراه يسمي نفسه الكاهن الأكبر لإلهه و اوحيد رع[1]، ويتابع قبل كل شيء بناء معبد الكرنك الذي كان قد بدئ فيه كما رأينا في عهد والده.

وتظهر أن المعابد الأولى - في مرحلتها الأولى - كمتممة للتعاليم

---

[1] معنى هذا من بين أشياء أخرى وعلى هذه الألقاب التي تقترن بالاسم الرابع تقابلها مع المقابل الآخرين أحياناً. وأن من ناحية أخرى نجد الرابع من ألقاب أوحيد رع، تقابله متصلاً باسمه منذ البداية.

فإن الإله ما زال حوراختي ويستمرّ تمثيله

وفي المعبد الشمسي الجديد بالكرنك نرى أن

المعبد الجديد من المحجر المقدس

وحتى القرنة - التي تتعبد الشمس

في المعبد

في

ملك في بدء حكمه بصفته الكاهن الأول

وعلى العموم فإن اسم إلهه يكشف عن شيء

الأفق

العادية، فالإسم القديم حوراختي الذي تهلل في الأفق

الذي هو أتوم، وشو وأتون استعمل من

وهي كانت

ظهر

صدمة

صورة الإله ذي

الديانة. لقد كان رع يرمز إليه منذ آلاف السنين في الإسم الملكي برمز

نقط ⊙ .

أما هنا فقد أدخل استعمال العلامة الهيروغليفية(٥)

لم يظهر بعد ما يناقض أمون أو ما يمنع من بناء المعبد الأكبر الذي يزاد على

مبكرة، وقد افتتح رسمياً محجر لقطع حجر Benben وفي البناء التذكاري لهذا

---

(١) وقد كان ذلك بغير شك في السنة الرابعة عند تأسيس تل العمارنة.

(٢) Gauthier L. des Rois II, P. 349 n° XIX.

(٣) يسمي نفسه كاهن حوراختي. «ذلك الذي يتهلل في الأفق».

Tomb 139,5 في

(٤) مثلاً Davis. Amarna XI, 27,1.

وهي الواقع إنه ليس هناك في عبادة إله الشمس الجديد ما يناهض أمون
لأنه منذ تحول هذا إلى أمون رع لم يكن في واقع الأمر سوى صورة جديدة لإله
الشمس القديم [illegible] وللذا
[illegible] أنه ارتكب إثماً نحو إله أجداده حين أرجع من جديد إله الشمس
نفسه. ولكن هذا الهدوء لم يدم طويلاً وإننا لنجهل السبب الذي دعا إلى
الاضطراب[1] ولكننا لا نخطىء من غير شك إن نحن قررنا أن كهنة أمون كانوا
قد كشفوا في المعتقد الجديد عن هرطقة لا تحتمل، وأنهم حاولوا القضاء عليه
على الفور.

ويتعذر دجاة في ثورة عاصفة ضد أمون حركات نرى آثارها إلى اليوم في
كل [illegible] منذ [illegible] فضيحة بوجه اسم أمون نراه
سوءاً، ونسا بمستطيعين أن نصدق أن اضطهاد أمون هذا كان من صنع الملك
وحده [illegible] من غير شك مجموعة متعصبة التحمت كل السلطة
وسخرت لحسابها أموال الكهنة غير متقيدة بأية الاعتبارات التي تحظرها بالطبع
السياسي... وكما هي العادة ـ فإن الناحية الطريفة تبقى كذلك بعد أن تنقضي فترة
الجنون هذه ـ أليس من المضحك أن كاتب الملك المعالج يراجع في مكاتب
محكمة الاستئنافات المكتوبة الخاصة بالمصادرة والمرسلة من الملوك الأمنيين
ليرد بها [illegible] اسم أمون من مكانه بهدوء، مع أنه لم يكن هناك
من منتفع من ورائها غيره؟ وليس أقل مسخرية أن أية نكسة لا خطر لها ولكنها
تحمل [illegible] اسم أمون كان يجب تضحيتها في سبيل إرضاء ثورة تحسب

---

(1) [illegible] III, 363.

(2) Breasted, Ancient Records II, 992, ff. 1 ff. [illegible]

على لوحة الحدود للسنة الرابعة إشارة إلى ما حدث من اثنراء حدث ما يماثله كذلك في
عهد تحوتمس الرابع، ولكن العبارة مشوهة والمعنى غير واضح بما لا يسمح
بمعرفته.

المذهب الجديد... وكان من أكثر الأمور إثارة مشاعرة الإلهة أموت ربة «أم» وحيثما ظلم يبقَ شيء أمام من يريد إخفاء بعض الأشياء عنها يكتب كلمة «أم» بطريقة أخرى... وكان من أشد الأمور كراهة لديها أن يقال عنها إن اسمها كان (أمن حتب) أي «أمون مسرور» ولكن اسمها كما بدا لها لا يمكن أن يظل بريئاً أمامه إذن إلا أن يتعرض على اسمه فيصبح بذلك اسم أمون أي «مخبأ» أو «غير المنظور»[1]. ويلاحظ أن أتوم حذف اسم الإله أمون من اسمه بتغيير اسمه لا ينكر أمون فقط، بل ينكر أيضاً أسماء الآلهة الأخرى مجتمعة.

وبعد أن كان الشمس لإله الشمس مقصوراً على أفضاء أمون بل أنه تطلق بعد رفعة تماما يحدث عادة في مثل هذه الحالات. ما دام أتون أصبح يسمى خالق كل شيء، فإن من المستحيل بعد ذلك أن تقوم إلى جانبه آلهة أخرى فهو يجب أن يكون الإله الواحد الحقيقي. ومن الكفر الاعتقاد بوجود غيره إلى جانبه.

وهكذا نرى أنهم لا يحذفون اسم أمون فقط ولكنهم يحذفون كذلك. فهي حالات كثيرة أسماء آلهة أخرى: ففي معبد بتاح في الكرنك شوّهت أسماء بتاح وحاتحور[2]، وفي بهو أعمدة تحوتمس الثالث في الكرنك لحق بهذا المصير جميع الآلهة أوزوريس وإيزيس وحوريس وأتوم ومنتو وكب... وغيرهم وحتى العقاب نخبيت المحلق فوق الملك لحمايته لم يفلت أمره[3]، ومحي كذلك اسم التيس المقدس[4]. أما كلمة إله فإن جمعها آلهة يعتبر كذلك غير

---

١) وقد هجر كذلك اللقب القديم: المتوج بالريشتين العاليتين، وذلك - لأنه منسق من الإلهين آمون ومين.

(٢) L. D. texte III, 8.

(٣) Idem, III, 31.

(٤) Urk. IV, 224.

ليس هناك بعد أي اضطهاد للالهة الأخرى، ولكن الملك
اتخذ جديدة لمملكة إلهية لا يسمح فيها بوجود إله سوى إله الشمس
الملك مدينة آبائه ولكنه لم يطق العيش اكثر من هذا
لنفسه ولإلهه مكاناً جديداً في المنطقة التي نسميها
وهي تتوسط مصر إذا قيست كل مساحتها. وقد كان يوجد على
سهل واسع صحراوي، وكان مكاناً مثالياً لتشييد العاصمة
بريدها والتي سميت «أخت أتون» أي أفق الشمس

(١) قارن Breasted A. Z. 50, 109

(٢) Griffith, Kahun Pap., pl. 38

وفي يوم آخر أقسم الملك قسماً ثانياً أصبحت مقاطعة الصحراء الواقعة بين جبلي أتون - وهي مساحة عرضها ثلاثة عشر كيلومتراً وطولها عشرون كيلومتراً - ملكاً لأتون جبالاً وصحارى وحقول من كل الأنواع ... مدناً وقرى وشواطىء وأناس وقطعان، أي كل ما خلق آمي أتون»[1].

ثم ردا في مكان لم يكن فيه شيء من قبل - بنى مدينة كبيرة[2] بمعابد وقصور وشوارع طويلة على جوانبها بيوت وحدائق. وقد اشترك جميع المهندسين والنحاتين في هذا العمل الضخم. وقد وجد الفن أمامه الطريق خالياً ليبدو كيفما أراد غير عابىء بالتقاليد ومحاولاً الوصول إلى الحقيقة. وقد ظهرت هذه الحقيقة بطرق مختلفة حسب طباع الفنانين. فقد وجدت بجانب التماثيل

---

(1) لوحة المحدود، أنظر: Davies El Amarna V pl 28

(2) هو بقايا شيء من التمجيد الكبير الذي كان يبلغ طوله ٨٠٠ متر وعرضه ٣٠٠ متر، ويستطيع أن نتكون فكرة عنه سوى عن طريق صور حجرات مقابر رجال الحاشية. وكان الجزء الرئيسي فيه عبارة عن ملعب ضخم يؤدي إليه درج رخام يوضع عليه وعلى الملاعب الصغيرة الأطعمة الفواكه. ويظهر أن العبادة بأكملها إنما كانت تؤدى في الهواء الطلق.

انظر: Davies, El Amarna I, II.

(Davies, Amarna II, 18)

---

(١) انظر كتاب: Schaefer, Die Religion und Kunst von El Amarna 1923.

النقاليد من إحلال اسم الملك الجديد مكان اسم أمنوفيس الثالث على صوره. (57. (Borchardt, Mitteil der D. O. G

[illegible]

[illegible] مشهورة بهذا خاصة أمام صور الملك.

وقد رأينا أنه منذ عصر أمنوفيس الثالث أبي الملك كانت [illegible]

[illegible] حتى [illegible] وبالرزانة التي توحي بها. ولكن [illegible] أحد كان يحسن [illegible] حينما كانوا يرون منظر الحياة اللاهية التي يحياها وهون الصغير الى حد [illegible] وأولاده حيث السعادة والسعة بينما كانت مصر مهتزة بالانقلابات؟ إن وجودهم [illegible] لا يوقد الرجال الكبار الذين خدموا على النظام القديم بل يوجده - بقدر ما يستطيع الحكم - أولئك الذين خلقهم الملك الجديد فهو الذي يناهم (أي حنتهم) وحولهم. وهم يسمون ملكهم بأنه الإله الذي يخلق الناس .. الذي

---

(١) El amarna III, 3, III, 29.

(٢) Idem VI, 29, 19 - 20.

(٣) لوحة الحدود V. 27.

امنوفيس الرابع مع زوجه وأولاده (برلين ١٤١٤٥)

(١) مراسلات ٣٥ ؛ El amarna IV, 34

Idem II, 7, III, 19 (٢)

El amarna IV, 35 (٣)

كان صغيراً[١]. ويحكي لنا آخر أسراره في صلاحة أكثر... كان في حالة وضيعة من ناحية أبيه وأمه - ولم يكن يملك شيئاً، وكان من حثالة الشعب بنفس خيزه... وقد جعل الملك من هذا المشوّل ورجاله (يعني بلا شك مواطنيه) برمتونه بعد أن صار الآن سيد المقاطعة[٢].

وعندما يفخر العظماء أنهم عصاميون فإن ذلك يدل على الأقل أنه كان من المستحب في بلاط تل العمارنة أن يكون الشخص من خلق الملك، وهذا يختلف كذلك عن ماهية حاشية الملك، فإن نبلاء أبيه قد ابتعدوا عنه، فاستوجب ذلك البحث عن رجال آخرين[٣]، وكان من البديهي أن يختارهم من بين أخوانه من بين من كانوا يحبذون مبادئه... لأن الملك كان يقاوم كل من يحبذ مذهبه، ولكنه كان يكافيء من يعرفه[٤]، ولذا كان الجميع يحبذون بلا استثناء إلى مذهبه مذهبه الجميل في الحياة[٥]، مذهب فرعون[٦]، أو كما يقال بحماس «المذهب - نعم المذهب»[٨].

إنهم سمعوا مذهبه وعملوا بمقتضى قوانينه[٩] أو بمعنى آخر تابعوا العقيدة[١٠]. وأما أحدهم فقد علمه الملك بنفسه فاعتنق مذهبه أما الآخر فتقبل

---

(١) Erman, Litt, 7, 8.

(٢) Idem V, 4

(٣) هذا في منحت النحات الذي أشرنا إليه من قبل على كثير من الوجوه المستديرة التي تمثل بعيرة شبك عظماء البلاط. وهي ملامح وجوههم الجامدة مما يوحي بتبعة أصلهم

(٤) El Amarna V, 21, 27.

(٥) Idem I, 8, V, 2, VI, 25.

(٦) Idem VI, 25, 16.

(٧) Idem I, 30

(٨) Idem I, 8, VI, 19, VI, 25, 16 - لا تكفي الكلمة البسيطة لشرحه. إلخ كهذا

(٩) Idem VI, 32, cf. VI, 34

(١٠) Idem V, 2, VI, 33, 10 w.

ولكن هذا التغيير لرمز حور في اسم الإله لم يكن إلا اضطراراً. وفي العام
[illegible] خطا الملك خطوة أخرى إلى الأمام، فأضفى صورة جديدة لاسم الإله
يجيدن أولاً اسم حوراختي بعبارة أخرى هي «سيد الأفقين» وبهذا
جديداً منقولاً عن أحد ألقاب الملك. ومنذ ذلك الحين يصبح اسم الإله
سيد الأفقين - الذي يمثل في الأفق
[illegible]

ولنا إذن أن نفهم هذا المقطع على وجه التقريب في ضوء الأسس
[illegible] ولكن ينبغي أن نلاحظ أن هذا المقطع يتحدث عن الإله
بوجه عام، وليس عن إله واحد ليس له شبيه. وكل ما قيل عنه
الآلهة الأخرى ينطبق هذا الأمر بعينه لأن فيه ملايين المخلوقات... لقد خلق
نفسه بنفسه، وهو يعاود في كل صباح خلق نفسه وفي خلال النهار يجوب
السماء، ولكن لا ندري كيف يحدث ذلك. لأنه إذا كان الشمس القديم الذي يعبد
في الشمس التي ما زال مستعملاً فيه لم يعد يذكر في أي مكان شيء من
[illegible] أو عن التمثيلات المتصلة بهذه الرحلة. ولا يذكر بالضبط ذلك في أي
مكان تستقر الشمس ليلاً، وهي ربما تكون في العالم السفلي، ولكن ليست هناك
إشارة صريحة إلى العالم الآخر كما سنلاحظ ذلك فيما بعد.

ولم تعد للإله صفات مشتركة مع الصور القديمة لإله الشمس أتوم وحورس
وحوراختي. ولم يحتفظ له سوى بواسمي أتين ورع اللذين يعلنان الشمس
نفسها. وهو في الحقيقة الكوكب نفسه وليس إلهاً على الطريقة القديمة، وهذا

تكتب في مقابر عدة بعلامة «شن» كما كان يضاف إلى الرغيف في علامة «حتب»
كذلك كعكتان.

وجدير بالذكر أن الملك كان يتكلم عن تأنيث مقبرته دون الاستعانة بالاصطلاحات والتعبيرية المعتادة[٤] فهو لا يتحدث عن «الطيران إلى السماء» أو عن «الرسو» ولكن يتكلم ببساطة عن الدفن. وهو يذكر مقبرته الخاصة

---

(١) Idem VI, 19, 2.

(٢) Idem VI, 33, 8.

(٣) Idem II, 9, III, 16.

(٤) لوحة الحدود: Idem V, 30, 17.

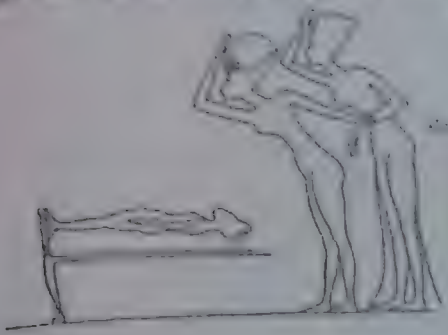

٥٢ - الملك وزوجته في حالة حب

---

(١) Idem I, 34, IV, 39

(٢) Idem VI 33 w

(٣) Idem VI, 33.

(٤) Idem III, 2, IV, 3.

(٥) Idem I, 39, IV, 3, IV, 39, VI, 25.

(٦) ما يلي مأخوذ من El Amarna IV, 4, VI, 1.

وحين نلقي الآن نظرة - بعد آلاف السنين - على مملكة تل العمارنة فنحن مدعوون نحو رؤية عالم تظلله السعادة وتباركه ألسنة الشمس. ترجم مشاهد من بيان صغيرات نطيفات مدينة مليئة بالمعابد التي تسري بها الأنغام وتعبق

---

(١) Idem IV, 39, V, 21, VI 116, VI 27.

(٢) برلين ١٥٠٩٩ قارن Schaefer Æ. Z. 38, 45.

(٣) Petriee, Amarna, 17 - 18, Culte d'atounre I, 6 ss

(٤) برلين ١٤١٢٣

(٥) قارن Schâfer, Æ. Z. 55.3 - تابوت الأميرة برلين (١٤٥٢٤)

(١) Knudzon. El Amarna Tafeln n° 147 (P. 609)

(٢) لوحة توت عنخ امون بالمتحف المصري

(٣) برلين ١٤١٩٧ (السجل المفصل صفحة ١٢٨).

ولكن توت عنخ أمون مات هو كذلك شاباً. ومن نعلم الآن الوسيلة التي حدث بها أن ملك جوة الحبشين الكوشي تطلب إليه أن يوصل إليها أي أمن أفراد عائلته ليتزوج منها، ولكنه لم يلبّ طلبها[1] فعاد العرش إلى ذلك الشخص الذي كان يشغل الوظائف الكبرى منذ أول العهد الهرطقي والذي نشك في أنه هو الذي أقام الملك الشاب على العرش. هذا هو الكاهن «آي» وكانت وحته «آي» موضعة الملك الهرطقي فصار هو ملكاً وانتصب المباني والآثار التي أقامت لأمون في عهد ذلك الشاب

وقد زال تأثير جيش أمون المسكين كثيراً لا نحصي، كان هذا الملك قد أعادها لمصره خلال حياته الطويلة، ولكن لم يعمد المقبرة الكبرى التي كانت قد أعدت من أجله، بل دفن الجثة في تسرع وبغير نظام في قبر ضيق بعد أن حاول وسمه بسرعة. وقد كان لهذه المقبرة الوضيعة أقرب مصير، إذ أنها الوحيدة من بين مقابر الملوك التي لم تستهدف للسلب طوال آلاف السنين. وعند اكتشافها عام ١٩٢٣ اكتشف معها توت عنخ أمون في العالم بأجمعه. وقد احتجز «آي»

---

(١) يبدو أن الأمير قتل أثناء رحلته.

قناع من الذهب من مومياء الملك توت عنخ آمون

نفسه المقبرة الكبرى التي كانت قد أعدت من أجل توت عنخ آمون. ولكن لقد تم بجلب له حفناً حسناً. إذ أن الحفرة حيث [illegible]

(١) توجد بقايا من تابوته في متحف برلين.

الوطنى في طيبة واستعملت أنقاضها كمواد للبناء

لم تترك شيئاً من معبده

أن تنتشر الحياة في هذه البقعة اللعينة

جديدة يرقد إلا في تابوت من الخشب[1] وهكذا انتهت هذه الثورة كما تنتهي كل الثورات - إنها تترك وراءها من غير شك شيئاً محموداً ولو لم يكن سوى الأخوار والمساوىء القديمة في صور أخرى.

---

(١) صورها الجميلة مبعثة اليوم في متاحف أوروبا.

(٢) وهو الآن في المتحف المصري، ولا يملك المرء إلا أن يتساءل بطبيعة الحال عما إذا لم تكن الحنة في خلال هذا الانقاذ قد استبدلت بغيرها. إن علماء التشريح يقررون أن الملك الذي عثر عليها هي لرجل في الثلاثين من عمره، ويبدو أن هذا السن قليل لأخناتون

الفصل الخامس

نهاية الدولة الحديثة

هكذا انتهت الحركة العظيمة بخاتمة، لم تكن تستطيع أن تعد مجهزة على ما كان يذكر بالهوملقة، وبعد ذلك بعشرات السنين - فيما تدور حوله الشهادة - كان يحتفل كل عام أمام الجمهور الرائع الذي توافق معه أن يحضر وأن يعد الحفلات بحضور عدد لا يستهان به من المعمارية[1] وكان أنصار أمون ينشدون في ابتهاج.

[illegible] لم يستطع [illegible] ولكن ذلك الذي [illegible] إليك في أتي بلد كان إن [illegible] إن معبدة من مسك [illegible] إنه كان حقاً ظلاماً ذلك الذي [illegible] وقد اختفت كل المعلومات الخاصة [illegible] أكثر من ثلاثة آلاف عام[2].

[illegible] لم تكن بشيء تماماً المعتقدات القديمة

[illegible]

Idem. verset 60 (٣

Idem. verset 60) (٤

Idem. verset 60) (٥

. Idem. verset 6 (٦

Idem. verset 50) (٧

[illegible] هذه القوة وهذا التابع المخيف لم يكونا [illegible]
[illegible] ورغم اضطراب هذا العهد فإنه ظل نفس الإله [illegible]
[illegible] فعل محسناً خيراً للناس والمخلوقات جميعاً.

ومما يقدم لنا فكرة عن طبيعة آمون في العصر التالي للهرطقة تنشيد آمون في محموعة مذبة لابدن الذي استشهدنا بكثير من فقراته. ويظهر الإله آمون في [illegible] لآمون الذي عرفناه في الفصل السابق. فإذا كان [illegible] الأعمى حتى [illegible] لم يعد إلا مجرد إله شمسي، وقد [illegible] مشابهة بينه وبين رمسيس الثاني فصفته إلهاً شمسياً في مولده [illegible] الشمس ويعيد فيه سير الشمس ويحيا في العالم السفلي حيث [illegible] هو جميع النهار ويصل النهار بمقدمها المعتاد [illegible] الشاعر تنظم لغز مسيره.

ولكن القردة لا يعترض للأطوار المختلفة لرحلة الشمس وهي التي كانت تشغل حيزاً ضخماً من النصوص الأكثر قدماً. والقردة لا تحييه في الفجر والآلهة لا تشيعه في مرقده ولا يمتطي أوزوريس ولا الموتى المسافرين، بل - وأكثر من ذلك - لا يعد ذكراً للعبادة والعبادة التي كان يختص بها آمون رع. ويغلب على الظن أن هذا الصمت لم يكن وليد الصدفة فإن مؤلف الأنشودة وربما كان يعتبر هذه الأمور ثانوية، بل لا تتفق ومستلزمات العصر، ولو أنه من المحتمل أن تكون قد احتفظت بمكانها في الشعائر الرسمية. ويلاحظ أن الشاعر لا يزال متأثراً بهذه الفترة الهرطقية، وما زالت صفته كإله طيب تشغله أكثر من الشكليات المحافظة. فهو يضفي هذه الطيبة على طريقة أصحاب التنشيد السابق أو نشيد [illegible] فيقول عن آمون: «حين ينام الناس تكون عيناه متيقظتان»[3] وعندما

---

(١) Idem, verset 30.

(٢) Idem, verset 20

(٣) Idem, verset 20.

(1) Idem, verset 9

(2) Idem, verset 9 et 20

(3) أن ما يلي ورد في فقرتي ٩، ٢٠

(4) Idem verset 70

(5) تلد الحامل حين تنطق باسمه (Chassinat, Mammisi Edfu 25).

(6) فقرة ٧٠ من نشيد أمون

(7) ما يلي موجود بفقرة ٢٠٠

ويمكننا اعتبار العقيدة ـ كما يعبر عنها هذا النشيد مثلاً ـ كنوع من ديانة آمون رع ، في الوقت لا يجب أن نتمثل آمون تحت صورة واحدة بل تحت صورة ثالوث إلهي ، لأن رع نفسه متحد بجسده، كما أن آمون يسمى كذلك بتاح نفسه ، آمون مختفي ، رع يخصه كوجه وبتاح كجسد[٥].

---

(١) إن ما يلي مأخوذ عن فقرة ١٠٠ من أنشودة آمون في ليد.

(٢) عن فقرة ١٠٠

(٣) Idem verset 200

(٤) من ذلك بيضة الإله الأول وخلقه لنفسه وبصقه شو وتفنوت.

(٥) Idem verset 300

جداً أن يكون رع

تقام فيها فسنتناولها بالتفصيل في الفصل الثالث عشر. وتكفي هنا الإشارة إلى أن هذه الفخامة والأبهة قد أفادت الملوك عما إذا كانت كل هذه الفخامة والأبهة قد أفادت الملوك عما إذا كانت كل هذه الفخامة والأبهة قد أفادت

ولم تكن الفخامة التي شاعت في عهد الدولة الحديثة وليدة الأمراء الذين كانوا يحكمون طيبة فحسب، بل كانت نتيجة لتأثير الأمراء الذين كانوا يحكمون طيبة فحسب، بل كانت نتيجة لتأثير الأمراء الذين كانوا يحكمون طيبة فحسب، بل كانت نتيجة لتأثير

ولم تكن العقيدة الجديدة بأقل من ذلك إثارة للتحول. فقد كان الإله في الدولة الحديثة أكثر من تفكير في أي وقت مضى في أي إله آخر. فكان اسم إله في قصص ذلك العصر. فكان اسم إله في قصص ذلك العصر. فكان اسم إله في قصص ذلك العص

صادفة أن أغفل ذكر آلهة طيبة وذكر بتاح منف، وإن
ي قام بأبحاث مطولة في كتب دار الحياة. وإنه
أوزوريس هو أكثر الآلهة غموضاً وخفاء... هو القمر
ت التي يحكم في العالم الآخر، وفي كل ليلة يزول نحوه إله الشمس ويكون
ه الروح المتحدة وهذه تحكم العالم. أما نحوت فيقيل أوزوريس ثم يحيه
ك بعد ذلك كيف ساهم في أعياد أبيدوس وكيف حتم بذلك جميع آلهة
ناسوع أبيدوس.... ولكن ابن رعمسيس الثالث هذا يعبر عن الكلام على أنه
ن ويتابع رغم أن أبيه قام بعبادتهما أكثر من كل الآلهة الآخرين. وإنه يذكر
يذكر من بين آلهة الدولة الثلاثة سوى نوع حور اختي. ولقد ذكر فقط مقاطعة
دور الذي يلعبه كرفيق يومي لأوزوريس.

ونسب خاص من الآلهة ست - وهو لم يكن شعبياً حتى الآن - في

---

(١) Max. D' Anii 6.16 (Litt. P. 299).

(٢) Mar: Abydos II, 54 - 55.

مركزا مهما في الدولة الحديثة وفي الأسرة التاسعة عشرة على وجه الخصوص.

واحد امه لا يقوم على الناس أنه الإله القديم الذي يحمي مصر الوحيد
على الناس أنه هو الله الحقيقي وليكن هذا الإله الذي قامت سلطته
المطلقين حتى يعم الخير وإنما كان أمين الأسرة المالكة يرجع إلى أن
طغيان حيث أخذ يستغل سلطته وثروته من قبل هذا الإله الذي
أخذ يثير خوف الناس من الإله الذي كان يحميهم والذي كان
هو وحده الذي يستطيع أن يعاقبهم بالمرض والموت. هذا الإله الذي
يعرف كل شيء عن الناس ويعلم أعمالهم وأفكارهم وأسرارهم
بعد ذلك. وهو ذلك الذي يعرف كل شيء عن الناس ويعلم أعمالهم
الذي لا يستطيع أحد أن يخفي عنه شيئا. وهو الذي يعاقب
الأشرار ويثيب الأخيار. وهو الذي يحكم على الناس بعد موتهم
ويقرر مصيرهم في الحياة الأخرى. وهو الذي يستطيع أن يحقق
لأتباعه الخلود. وهو الذي يستطيع أن يحقق لأتباعه الخلود.

وأخذ هذا المدينة الملكية الجديدة (التي سخر الفقراء في بنائها أشد
السخرة) تضع في الظلام. لأن دور طيبة كان قد انتهى. ولأنه لم يعد
حقا لا تتسع لأولئك الذين ليست مقابر في وادي الملوك
الغربي الذي قد اختيرت الدولة الجديدة لتكون مقابرها. وهي التي
تقع وراء الجبل مباشرة غربي الوادي[1]. لهذا السبب اختفى الكهنة
يخلع أن يعبد فيصبح خاضعا من جديد لقد كان الملوك يتحدون
يعبدون هم على الحقيقة الوحيدة. وحين يعبدون فلا يجب أن يعبدوا في هذه
المدينة المقدسة في الجنوب مقابر الأسلاف. وبعد ذلك الوقت تصبح
جزءا من الحقيقة الأبدية ويصبح شبيها بهذه الأهرام البيضاء وعندما
يأتي شهر الشهور في السنة يصعد الملك إلى هذه الأهرام[2].

* * *

---

[1] هذا وقد أقيمت هذه المدينة في الجنوب
[2] كتاب الموتى الفصل

الفصل العاشر

التقوى والآلهة الشعبية والريحي

---

(1) Inschr. in the Hier. Char pl. 26, cf. Litt. P. 382 .

الفاخر ـ أنت الإله الذي تحبه شمون... أنت كاتم سرّ الآلهة التسعة، تعالى إلي
عندما يكونون في مدرسة الثلاثين. أنت الذي تقود من لا يوجهه أحد.

---

(٥) Anas. II, 6.5 ss Litt. p. 380.

(٦) Bull. 1094, 2, 3 ss.

ومعنى الفقرة الأخيرة من هذا الدعاء الجميل لا يحتمل الشك، إذ أن الجزء

---

(1) Anast. V, 9,2 ss. Litt. p. 377.

(2) Sall. I, 8, 2 ss. Litt. p. 377.

(3) Borchardt: AE. Z. 44, 59.

(4) Anast. III, 4, 12 وفي ختام ذلك على ما يبدو أمر بعين، وبعد المقصود هنا البلد الشريرة، انظر: Litt. S. 379, anm. 2.

(5) Sall. 1, 8, 2, ss. Litt. p. 377.

عفت عنه ومسته برحمتها حتى نسي علته[2] لأن هذه الآلهة - كما تقدم - ... واحة أخرى[3] - تمدّ يدها نحو من يحبها وتمنح حمايتها لمن يحتويها في قلبه ...

وفي مكان آخر كان شخص حلف زوراً باسم بتاح فأراه هذا الإله - سيد الحق - الظلام في النهار. وصيره شبيهاً بالحيوانات التي في الشوارع، وجعل الآلهة والناس يطوفون به كشيء مرفوض نحو سيده. وكان هذا كلامه عند توبته ... بتاح سيد الحق هذا نحوي ... أن راضياً عني حتى أرى كم أنت عطوف[4].

والآلهة تتلاقى لتسمع الصرخة. كما تشير إلى ذلك هذه اللوحات عندما يعلن فرعون من عنصهم «المعبود أب رع» الذي كان قلقاً من أجل مرض ابنه ندر نذراً «سأسبح لأمون أغنيات باسمه، وسأمدحه بقدر ما ترتفع السماء، بل بأبعد مما تمتدّ إليه الأرض سأقص مدى قوته لمن يصعد (على البحر) أو ينزل. لتغنوا جميعاً وامدحوه. بلغوه لكل فتى وفتاة، للكبار والصغار اذكروه لكل الأجيال. بل للأجيال التي لم تأتِ بعد... اذكروه

---

(1) Erman: Sitz. Ber. Berl. Akad. (1911) P. 1086 ss. وفي الملاحظات التالية سنرقم اللوحات تبعاً للحرف الذي تحملها في المتحف المذكور.

(2) Erman: Sitz. Ber. Berl. Akad., (1911) P. 1067 ss.

(3) Idem. K

(4) Idem. B

لوحة ٥ ـ المصور سب رع يتعبد للإله أمنوفيس الثاني يظهر أمام بوابة معبد، وذلك ليمنح ابنه المريض الصحة

(برلين ٢٠٣٧٧ . من المعبد الشعبي في الجانب الغربي من طيبة)

Idem. A

cf. pl. IV (٢)

يذكر أنه أقام للإله هيكلاً يدعى «رمسيس الذي يستجيب الرجاء» في الباب العلوي لمعبد أمون.

الكهنة قديماً hem ولكن كلمة hmk وكانت تستخدم في أسماء كثيرة للأشخاص مثل «خادم خنسو»

واستبدل بعد ريث بعدد من الأسبة الصغيرة[1]. والتي يستعمل فيها عدد
والوظائف الجبانة، وكان مكرساً من غير شك في الأصل لثالثهما الذي يحمل
وهما الزوجان الملكيان اللذان مثلتهما فيما بعد. ولكن هذه
كما تذكر هذه اللوحات الكل من آراء تقديس العبادة الخاصة به وتلك يعبد فيه أمون رع كما يعبد فيه أمون البواب الصغير وخنسو
وآلهة الفتنين والإلهين الأجنبيين رشف وكمش والمعبود السوري
كان يستطيع كل أن يتعبد على طريقته من ناحية التقديس والصلاة. ولا بد
المعابد الكبيرة كانت خاصة وكان التقوى التي لا يربطها رابط تقف هناك

وكان خيال الشعب يضيف إلى الآلهة التقليديين باستمرار آلهة أخرى بأعمال
عوجهم في الحياة. وهو يبدأ باختيار أشياء يتخيلها ذات طابع قدسي خاص، فإذا
تضخت مثلاً الأسماء التي يسمي الناس بها أبناءهم خلال الدولة الوسطى فهي
تبدو لنا نحد من بينها: هبة المركب لشمت، أو القارب نشمت مع أنا
يدركان فهم يشكرون مركب معبد أوزوريس إذا كانت سبباً في مجيء الأولاد
وليس لأنه نفسه، ولقد انتشر هذا الاستعمال خلال الدولة الحديثة خاصة. فقد
رسالة من طيبة ينصح فيها أحد الأشخاص للمرسل إليه أن يطلب حماية الآلهة
وبرع لا يذكر الآلهة وإلهات هذه المدينة المحليين الكبار أمون وخنسو ومعبت
وحدهم، بل يذكر كذلك معبودات من الطبقة الثانية مثل شجرة حلم طريق
بكش وبزساه أمون في الكرنك وثامون القرية الواقعة في هيكل حاتحور وباب
بكي الأكبر[2]. وفي رسالة أخرى لا يوجه الداعاء لرجوع غائب إلى بيت ملك

---

(1) Sitz. Ber. Berlin - 1911, 1088, 1105.

(2) Bol. 1094, 10, 11, ss.

[illegible] من ألف سنة ونحن مدينون له ببقاء صورة [illegible] الذي تهدمت فيه تماماً المعابد الأخرى [illegible]

[illegible] كان ملوك الدولة القديمة هم الحماة[1]، وأما [illegible] ملوك الدولة الحديثة تتقدمهم السيدة التي كانت على رأس الأسرة [illegible] ناري وابنها أمنوفيس الأول[2]، [illegible] كلاهما كالإلهين، وكانت تحمل صورهما في المواكب وتقام الطقوس لاسمهما [illegible] الذي زوّدنا باللوحات الحجرية المتضمنة الأدعية كان [illegible] صغير جذاب لهذه الملكة[3]، وهناك في شمس الحقل [illegible] نحس الآتي، وفيه يتقدم أحد الأشخاص الذين يعتنون [illegible] الدعاء له على هذه الصورة. «إن من يدخل إليك حزين القلب يخرج [illegible] الكبار والصغار يأتون إليك من أجل اسمك لأنهم يسمعون عن [illegible] اسمك»، وأما ما يلي فيرينا فيما تتركز قوة هذا الملك القديس «ألست أيها [illegible] يدي في فجوة بها ثعبان ضخم؟ إنك تدري إذن قوة أمنوفيس (وتري) كيف يقوم [illegible]

ولكن أعمالي الطيبة لم يكونوا يعتقدون هؤلاء النسّاك فهم كانوا يعتقدون أن [illegible] معبودة أخرى [illegible] مقاطعتهم وأنها تعيش فوق أحد جبال مدينة العوالي [illegible]

---

(١) Berlin 1116

(٢) اعتماداً على Champ. not. I, 855 يمكن أن يذهب المرء إلى أن هذا الملك كان يعتبر [illegible] الصورة الكبيرة في برلين رقم ٢٠٦٠

(٣) Berlin no 6908

(٤) Sitz. Ber. Berl. Akad., (1911), 1105

(1) Idem, 1107

(1) الإسم حديث

(٣) تمثل صورتها كذلك نجم الدب الكبير Sethe: Sahure I. P. 130 في معبد ساحورع Möller. A E

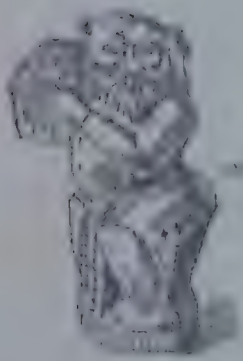

وهناك مجموعة أخرى من الآلهة المصرية مصورة على هيئة إنسانية كاملة ولكنها ليست على هيئة مظهرها مظهر أطفال ناقصي التكوين ذوي أعضاء مشوهة[1] ومنهم أيضاً مساعدة الناس من غير شك. ولكن ما يعنينا بعددهم

---

[1] نستعمل هذا بعد لدونة الحديث ولكنا لسنا على ثقة من أنهم ظهروا خلاله.

للرأس، كان يستخدم بدلاً من الوسادة، ويحمله شكلان كل منهما على هيئة س
ومن أسفل شكلان آخران يمثلان بس مساعداً لحماية النائم (راجع ص ٢٠٨)

... انهم يصيرون مثل بتاح أو أولاد بتاح، وهو ما تشير إليه تسميتهم أبناء الس
بالاسم هيرودوت[1]، وهم بالمثل يساعدون الناس ويضفون عليهم الحماية ض
الخاص منهم. وهم في ذلك مثل بس تماماً[2].

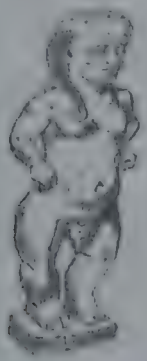

٥٧ ـ بانك (برلين ١١٠٥٥)

---

(١) هيرودوت III, 37.

(٢) فيما يخص «البانك» قارن: Roeder, Cat. dét. du musée de Berlin P. 306 وفيما يخص بس قارن: Id. 1543.

Bissing et Blok, A. E. Z., 61, 83

---

(١) ـ «رشف» فان Brugsch: Thes.. 1454، و «السوتح» Berlin 8160

Grapow, Bildliche Ausdrücke F

Sall., IV, Ro., 1, 6 في ثم إن موظفا مصريا

(Riesfeldt, Haal Zephon, etc., Halle 1913

(١) Litt., P. 218 بكامل الآن وبصحح طفقاً لحاردنر ـ دراسات لحريف صفحة ٧٤.

الحي الفينيقي من المدينة قائماً في زمن هيرودوت

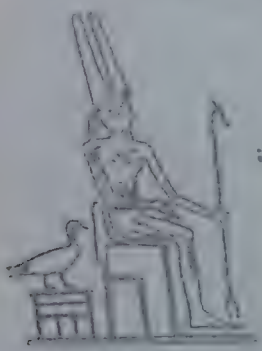

٦١ ـ أمون رع مع أوزة
(برلين ٧٢٩٥)

---

(١) Berlin, 14200.

(٢) Spiegelberg: AE. Z. 29, 82.

(٣) Turin, 134, Sitz. Ber. Berl. akad. (1911) 1096.

ثم ما معنى تلك السمكات السبع التي تراها إلى جانب [illegible] ترى في معبد صغير خاص بها؟[1]. ولقد كان من السير قوياً إلى حد [illegible] الرمزية لم تكن تستطيع هي الأخرى أن تمنع الاهتمام به.

وهذا فإن الأمير «خع أم واست» ابن رعمسيس الثاني [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

حين يحتفل الفرد أن المصريات تشارك في ثروته مصيره وتوجهه في [illegible] ولا يحتفل الفرد عن كشف ما قررته بصدده وما تنصحه بعمله.

يشد نير الأمر شدته في مصر دائماً ولكننا لا نلاقي أمثال هذه الفوارات الإلهية إلا منذ الأسرة الثامنة عشرة. فحين أراد تحوتمس الأول تنصيب ولده العرش لأنه حتشبسوت رغم كل التقاليد، وفي الوقت نفسه يطلق يأمر يتفق ورغبات البلاط وحين رأت حتشبسوت نفسها إرسال رحلة إلى بلاد البحور تؤسست أنهم سلالته سيد الآلهة وسيع أمر من تعهد الكبير، بل نصيحة من الإله نفسه هي. لنحني عن الطرق التي تؤدي إلى بونت والتعرف المسالك التي توصل إلى جبال البحر [illegible]. وحين يقود تحوتمس الثالث وأخلاقه حيوشهم في آسيا فليس ينقذ ذلك إلا لأن الإله آمون أبوهم قد أعد لهم هناك انتصارات. وإذا كان آمون كما رأينا قد ساعد الأميرة حتشبسوت على ارتقاء العرش، فإنه لم يختر للملك شقيقها الذي كان قد ثبته على العرش من قبل وهو الذي قدر له أن يخلعها بالقوة. ولقد نشأ الشاب الصغير في المعبد - وربما كان ذلك لأن أباه أراد أن

---

(١) لعل الطريقة الوحيدة في تلافة هذه الأسماء على أنها ترجع إلى لغة الشعب.

(٢) Urk., IV, 342

يحمل منه يوم ما [illegible] ... ولم يستقر الإله في مكانه أمام [illegible] بل تقدم ... نحو الجميع ـ نحو العصالة الكبرى كأنما هو يبحث عن شخص ما ... تتجه أمام الأمير الصغير الذي كان بين الكهنة من غير أن [illegible] ... توقف أمامه، وقاده الإله إلى مكان المعبد حيث يقف [illegible] ... الأرض ووضع له ـ كما تذكر بقية القصة ـ [illegible] ... الأقداس [illegible] ... إليه وأعطاه لقبه الملكي

وحين اعتلى رعمسيس الثالث العرش قيما بعد أعلن بأنه أنه سيحكم مائتي عام، وقد أخذ هذا الإقرار حرفياً على الإله لابنه، وعندما مات الملك بعد ذلك، فالتمسوا من الإله أن يفي بالوعد لخليفته على الأقل[1].

وهنا نجد الإله يشهد إرادته للملك في هذه الحالة. فقد مثل ذلك مكان أن حتحور سمعة الناس وفي عهد رعمسيس الثاني حدث أن تبيراً للمعاصرين أنه (وهو أمنوفيس النوبي) شارك في موكب لتمجيد إيزيس. وقد أشار له مسرحية المقدسة من أعلى قاربها، وكان معنى ذلك أنه سيرقى، وقد حدث بالفعل فيما بعد أن أصبح ضابطاً كبيراً وصغيراً للملك كما تقص ذلك حبة إحدى النوادر[2] وكان يحدث أيضاً أن يستفتي الإله حتى لو كانت هناك مسائل بحتة متعلقة بملكية بعض الأشياء، فقد حدث مثلاً أن سرقت من مقبرة في طيبة ولايس لتفتش «كاها» ولم يعرف السارق فتوجه المسروق منه إلى المحاكم المقدس أمنوفيس مولاه، والتمس منه أن يقدم له المجرم اليوم. وبينما هم يقومون بأمر صورة الإله أمام منزل آمون نخت أشارت الصورة برأسها معلنة أن ابنة ذلك

. Lefebre, Grands Prêtres, P. 74 ss

. Harris I, 23, 2 (1)

. Petrie, Koptos, Pl. 19 (2)

* * *

(١) Ostracon. Gardiner N° 4.

(٢) Ostracon Petrie N° 21. cf. aussi Erman Sitz. Ber. Berl. Akad. 1916 p. 806.

(٣) Anast. I; cf. lit. P. 281.

وضع الحدود

[illegible] حط الشعب منوطاً على طريقة سلوكه خلال حياته [illegible] في القدم، والآلهة التي في مقدورها أن تمنح [illegible] تشيع عونها لكل شخص. وحين يتقدم المعتقد الأوزيري [illegible] يطغى عليها في نهاية الأمر. ومملكة هذا الإله [illegible] [illegible] وعلى كل واحد أن يثبت أمام الآلهة [illegible] أنه لم يرتكب إثماً قط. وسنرى في الفصل الرابع عشر بالتفصيل ما كانوا يقصدونه بالجرائم في هذه الإعترافات. ففي مقدمتها ما هو [illegible] في كل مجتمع إنساني وهو القتل والتحريض عليه والسرقة والغش والتزوير [illegible] فعلى الإنسان ألا يكذب، وألا يتجسس من وراء الأبواب وألا يأكل قلبه[1] أي لا يهلك نفسه [illegible] وألا يلوث الماء من فم الوضع حتى لا يجوعوا ولا

---

(١) يحتمل أن الشعبة في هذا المعنى هو المعنى الصحيح.

cf. Urk. I, 122; Caire 20505 (١)

. Urk. I, 122; Caire 20505 (٢

Sinouhé, 96 (٣

(٤) ما يلي مأخوذ عن Paysan (litt. p. 126) et Hatnoub.

. Hanovre, Kestner (٥

. Hatnoub, p. 29 (٧)

(٨) Urk. I, 123, 133.

وينبهه فيما يختص بالتعبد للآلهة، أن الإله يفضل تقوى العبد الصالح من ثور يقدمه شريد على مذبحه ولكن حاذ الرجل الذلك أن يعمل ما يريد نفسه. أن يقوم بعمل الكاهن ويقدم القرابين. فإن الإله يعرف من العمل شيئاً من أصله

وقد وصلنا من الدولة الحديثة كتاب يعتبر من أمتع ما خلفه لنا الأدب المصري، وقد كتبه رجل يدعى «أني» ولكنك بتقديم بعض مقتطفات منه

كن كريماً ولا تأكل خبزاً حين يكون هناك آخر يتصور جوعاً[1]. احترس من المرأة الأجنبية الغير معروفة في بلدها لا تبادلها النظرات ولا تظهر أنك تعرفها فإن هذه خطيئة عظمى حتى إذا لم تتحدث هي بذلك[2]. من الخير أن يبكر في الزواج وأن يكون للشخص أطفال كثيرون[3]. عامل زوجتك برعاية إن كنت تعرف عنها أنها ممتازة ولا تقل لها «أين هذا؟ هاته» إن كانت قد وضعت في مكانه الصحيح[4].

أعد لأمك كل ما فعلته من أجلك. أعطها المزيد من الخبز، احملها كما حملتك. إنها حملتك ثقلاً وحين ولدت بعد تمام شهورك حملتك على منكبها وظل تثديها في فمك ثلاث سنوات ولم تكن تشمئز من قذوراتك. وأرسلتك إلى المدرسة كي تتعلم الكتابة وقمي كل يوم كانت تنتظرك بالخبز والجعة من بيتها[5].

كن وقوراً حين تتناول طعامك واعتدل في شرب الجعة وإلا فإنك سوف لا تعرف ما تقول، وإذ سقطت ستظل ملقى على الأرض كطفل صغير. زملاؤك يتركونك ملقى ويقولون قليلك هذا الشغل[6]. تخير جيداً معاشريك ولا تؤاخ

---

(1) Ani. Lit. p. 299

(2) Idem. Lit. p. 296

(3) Idem. Lit. p. 295

(4) Idem. Lit. p. 300

(5) Idem. Lit. p. 299

(6) Idem. Lit. p. 296

[illegible]

[illegible] ولا تطرد من كان ملبسه غير مناسب [٣] .

لا تفضل ذا حالة الضرائب ولا تكن قاسياً كذلك . إذا ما اكتشفت ميلها كبيراً متأخراً على الفلاحة عد أحد الفقراء فقسمه إلى ثلاثة أجزاء واحلف جزمين منهما ولا تبقِ إلا جزءاً واحداً [٨] .

إن جميع ما تفعله لي غير عدالة لن يجلب لك بركة . إذ أن مكيالاً واحداً يعطيه الإله خير من خمسة آلاف تكنسبها بغير حق [٩] . إذا جاءك أحد بثروة غير عريقة المنبع فإنها لا تبقى معك ليلة واحدة . . عند طلوع الصباح لن تكون لي بيتك . . ترى فقط المكان الذي كانت فيه وأنى هي فليست موجودة . . فتحت الأرض ودبت والتهمتها . . إن العالم السفلي قد غمرها . . لقد اتسعت لنفسها حفرة ضخمة وانطمرت فيها . . إنها صنعت لنفسها أجنحة وطارت إلى

---

(١) Erman: Sitz. Ber Berl. Akad. (1924) p. 91.

(٢) Lange: Amenemope. p. 85.

(٣) Idem. p. 48.

(٤) Idem. p. 88

(٥) Idem. p. 92

(٦) Idem. p. 105

(٧) Idem. p. 105.

(٨) Idem. p. 80.

(٩) Idem. p. 52.

يرجع كتاب «أمنوت أم أوبي» إلى حوالي النصف الأول من الألف سنة

. Ermen: Sitz Ber. Berl. Akad. (1924) p. 87 (2)

Idem. p. 87 (1)

. Lange. Amenemope p. 42,43 (٣)

Ermen: Sitz. Ber. Berl. Akad, (1924) p. 90 (٤)

Lange. Amenemope p. 128 (5)

Idem. p. 98 (٦)

Idem. p. 61 (٧)

Idem. p. 73 (٨)

. Idem. p. 132 (9)

. Idem. p. 132 (١٠)

. Idem. p. 121 (١١)

الفصل الثاني عشر

العبادة في العصور الأدبية

(٢) صولجان الإلوهة والإله

ربما كان المعبود قد وصف معبده فيما بعد بأنه «قصر الإله» لأن هذه العبارة كانت تعني يوماً ما معناها الحرفي. لأن الإله كان يتصور مثل الملك ويعيش في قصر له ليحافظ عليه أتباعه الفراعنة - أي الفراعين - إذ كانوا يسمون بالكهنة ويقومون بخدمة الآلهة الذين يسعون من أجل ذلك بحكم الإله بالنيابة عن الملك الوصية مع هذه الطريقة كما أن مراسيم طقوس المعبد شبه تنظيم منزل أحد الأعيان.

وفي بعض الأمر لم يكن المعبد الواحد مكرساً لكل إله واحد وهو حقيقة ولكن على مر الأجيال، التحقت به آلهة أخرى كان لها أتباع في المنطقة، ولهذا السبب اضطروا إلى بتخصيص مكان للذي لهم في المعبد. ولقد رأينا في الفصل السابع كيف أن بعض هؤلاء الآلهة كانوا يشيرون ضمن عائلة الإله الأكبر، وكان لهم نصيب من العطايا والأعياد ولو بقدر محدود.

ولم تبق لنا بقية الحال بعيد من المعبد العظيم، بل نحن لا نعرفها إلا عن طريق رسومات صغيرة وردت في نقوش قديمة جداً. ولكن لم يبق إلا القليل جداً من الأبنية الكبرى التي ترجع إلى أوائل العصور التاريخية. وقد تناولها

٢٤ - معبد في المعهد الشرقي

هذه هي الأقسام الرئيسية للمعبد، ومن الممكن أن يحتوي ذلك على أحد ثانوي تستخدم لإيداع الأدوات المقدسة أو تخصص لتطهير العباد. ويجب ملاحظة أمر ذي دلالة خاصة، وهو أن أقسام المعبد تتخذ بالتدريج ارتفاعها وقوة الإضاءة فيها كلما توغلنا إلى الداخل. ففي الفناء تأثير ضوء الشمس في قوة لا تحتمل. وإذا الفتحة فيدخلها ضوء أقل عن طريق الصالة المسقوفة. وأما قدس الأقداس فتعمه ظلمة حالكة.

وأما رمزية النقش في مجموعها فلا تقبل. وتشتمل على التحدي. الحتوحوتب ابتداء من الأسرة التاسعة عشرة على الأقل. الأعمال الرائعة للملك الذي يحكم البلاد. وأما في الدائرة فجميع النقوش تحتمل «السعادة» وتمثل ما يحدث يومياً في هذه القاعات. ولا بد أن هذه النقوش ترجع إلى عهد قديم جداً، ودليلنا على ذلك أن العلامات الهيروغليفية المختلفة تستخدم بطريقة رمزية. فعندما يسرع الملك نحو الإله يمسك بيده بالعلامة «حب» أي «يسرع للحقل» في يده. وحين يقدم للإله علامة «ماعت» أي «الحقيقة» و «نب» أي «كل» فإن معنى هذا أنه يقدم له «كل ما هو صادق وحقيقي».

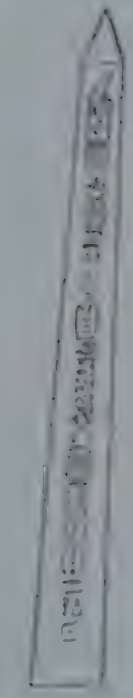

٢١٠ مسلة سنوسرت الأول في هليوبوليس I. D. III, 118

موجودا بالنص

يذكر Urk., IV, 772. Schaff, Æ. Z. 59, 32
معابد الدولة الـ

Dümichen: Temp. Insch., 25; Resultate 38 - 41; cf aussi Mis

حيث

يعبر أن خفة من نقوش الجدران يستطيع استقبال الروح.

... أن الصقر القديم النحاسي برأس ذهبية الذي عثر عليه كوبيل في هيراكونبولس هو أحد تماثيل العبادة.

٢٧ ـ تابوت عاثر من سقارة حفر الدفن

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] Mar. Mast. p 450 (Notice) Bisson [illegible] الذي سيأتي ذكره فيما بعد في العصر البطلمي أقل من ٤٨ عاماً يتشرون تحليلهم في مقدمة هذا القبر سيما ذكرا الدفن في عين
(Mar. Dend. IV 22 a)

Mar. Abydos I

ثم يدخل المفتاح في القفل ويسحب المتراس ويقول

إن إصبع ... خرج من فتحة حوريس وطالت هذه ... حوريس وصارت هذه سلسلة ...

... أنا الذي أدخل الآلهة ... أنا الذي أخرج الآلهة

لنا من أين حصلت هذه الطقوس على مضمونها العجيب. وكان كل ما يتعلق

---

(١) Pyr. 1800

(٢) Berlin. Pap. 3055., 27.2 ss.

(٣) بالمثل كذلك في Urk. IV, 111; 30 وما بعدها، وكذا في Pyr. 599 يوعد الآلهة بخيرات إن هم قاموا بحماية الأهرام.

(٦) وما بعده Mar. Abydos I, 28 b, 3

(٢) وما بعدها Pyr. 653

(٣) Pyr. 1544

(٤) Pyr. 1550

(٥) Plutarque: De Isida, 31

(٦) Ebers I, 14.

(٧) Siout, I, 302; Gayet, Louxor, I, 37, et ailleurs وهذه المراقد كانت تستعمل كذلك في المقابر الطيبية في الدولة الحديثة لحرق البخور.

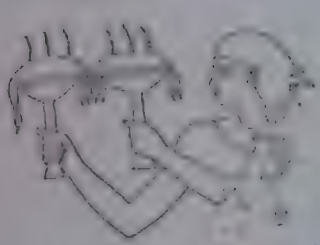

٦٤ رجل يقدم بطا في مجمرتين (L. (D. III 9.

Tombeau d'Aroun

Seb - ensete صورة

L. D., II, 149; cf. Lit. P. 61

(٣) وكذلك في طقس موت في برلين 16.3 يجب أن يحرق غزال فوق الموقد.

Kamak temple de Ramese III «813» déjà avecnom tardif (glil)

(٤) Tombeau Thebain «694»; XIX dyn.

كان يجب كذلك تمجيد الإله بالأناشيد ومن مجهل إذا كان الكهنة يعتمد
حقاً هذه الأناشيد أو هم يكتفون بتلاوتها، ونحن لا نعدو جادة الصواب مرة
أخرى إذا تخيلنا أن هذه التلاوات كانت تتلى بطريقة آلية بحتة. وهي الواقع أن
هذه الأناشيد لا يكشف في صورة عامة سوى عن قليل من الشعر. وهي
... فيما عدا بعض الشواذ - على نفس النمط، وهي تعدد أسماء ...
ومعانيها ...

... آي أوزيريس ابن نوت الذي له ... ويحيى على عهده على
... والسرور أمام التسعة آلهة ... الذين ...
... لمصر ترح في ... في السجلين المقدسين، ذو القوة العظيمة
في دوسطو وسيد البطش في اهناس وسيد في تنتنى المحبوب جداً في الأقصر
ذو الذكر الحسن في قصر الإله الذي يلوح عظيماً في البهو. الذي تمنح
... أمام التسعة الهة مجتمعين. الذي من أجله أثبت المنارة في ...
... الشق يخشك عظماء الأمير ... الذي وهب ...
... على حصيرهم ... هو الذي من أجله أثار شر الخوف. ... أجله حلق ...
... هو الذي تتقدم نصرة في انحناء مصر العليا والسفلى. لأن ...

---

(١) Mar. Abydos I, 44; 655.

(٢) Philae «1657 - 1658».

[illegible] يستطيع أن يقوله لنا هذا الكاهن الشاعر من

[illegible] كذلك بصفة خاصة نشيداً: أغنية الصباح القديمة التي
[illegible] العصبة كل صباح في معابدهم طالما كان هناك آلهة(٢). ويمكن
[illegible] النشيد هو الذي استخدم في الأصل لإيقاظ الملك. وها هو ذا
[illegible] استيقظي بسلام أيتها الملكة العظيمة. استيقظي
[illegible] استيقظي بسلام - «إن - أوتت» في سلام. إن يقظتك

[illegible] «إن يقظتك سلام...»، «إن يقظتك

[illegible] ويلاحظ أنه كان عبارة عن تعليل
[illegible] يأتون ويضربون صدورهم

[illegible] هذا ولو أنه كان في
[illegible] ظهوره» وهو الذي أهداه
[illegible] والذهب والفضة وأخر أهداه
[illegible] بالفضة والذهب واللازورد والدهنج
[illegible]

[illegible] خاصة من اختصاص الكاهنات اللواتي كن يطقطقن
[illegible] وعقودهن الكبيرة أمام حاتحور أو أي إله آخر
[illegible] في رقصهن أمام سيدهن. وكذلك كان اللعب بالكرة

---

(١) Louvre, C 30

Firmin Hymnen an die Dinge [illegible]

(٣) Urk. IV, 23; idem 179.

٧٨ ـ شخصية من الخشب لأحد ملوك الدولة الوسطى
(المتحف المصري)

وهذه الأيام هي كذلك أعياد شعبية[٣]، وكانت الحفلة تنتهي بالكرنفال. وكانوا يجلسون فوق السطوح في نسيم الليل، ويدور اسم الإله [illegible]

Naville: Deir El Bahari, 100; Mission XV. pl. 69 ... كما كان ... (١)

Mar: Dend. III, 22 c, Philae «1143» ... (٢)

Caire, 20281 (moyen Empire) (١)

Caire 20281 (٣)

(١) Litt. p. 307

(٢) Urk. IV. 688

(٣) Piankhi. 29

(٤) في العصور القديمة لم يكن العيد يقام سنوياً Ed. Meyer I, 2², 185

(٥) Harris. I, 6, 3.

فيما بعد مقدار السرف في تزيينها

٧٧- ناووس من البرونز والخشب مهل الحمل أهداه أمامس لأحد ... عثر على الحوائط ستائر تخفي ما وراءها (برلين ٨٧٠٨)

(١) كان هناك ملقس كذلك في ... انظر ... Myths d'Horus, 25 ; ... Urk., IV, 768, 7a ;

الأجزاء الهامة من القصص الأوزيري - إلى أي ناحية يمكن أن نرجعها في أعياد أبيدوس (١).

وينص علينا لوحة الأمير ايمحر نفرت - وهو من أعظم حكام الدولة - أن أعياد سوسرت الثالث (حوالي ١٨٦ ق م) أرسله في مهمة خاصة إلى أبيدوس لترميم تمثيل الإله والأدوات الدينية بمذهب اختصه الملك من البداية وقد أن هذه المهمة «بيد ظاهرة وأصابع طاهرة» فرمم تمثال الإله بالذهب والبرونز والبرنيق والذهب الخالص والأحجار الكريمة وقد حلت أعياد الإله أثناء وجوده ايمحر نفرت وصحبه (٢) في أبيدوس فكان له شرف الاشتراك فيها

وأول هذه الأعياد خروج أوب وات عندما يذهب للجنة أبيه (أوزوريس) فيذهب إيمحر نفرت على قارب الإله. ويهزم أعداء أوزوريس. والمقصود هنا من تلك الأحداث الكبرى للحرب التي قام بها أوزوريس حين فتح البلاد. ثم يأتي ذلك عيد آخر، هو «الخروج الأكبر» وكما يتضح لنا من مراجع أخرى كان هذا هو العيد الرئيسي الذي يشغل جانباً كبيراً من الاحتفاء على أوزوريس. ويجب أن يذكر أن مقتل الإله كان يذكر ويخلد أثناء هذا الاحتفال. ولكنه لم يكن يمثل بل المصريون حاولوا دائماً أن يجتنبوا ذكر هذه المأساة المفزعة في وجههم ويكتفي إيمحر نفرت بأن يقص علينا أنه زوّد قارب الإله بمقصورة كما منع الإله حباً جميلة حتى يتيسر له الوصول إلى قبره في «بكر» ثم يعبر ايمحر نفرت طريق الإله (التي تؤدي) إلى قبره في بكر، ولعله يقصد من وراء ذلك حضور موكب

ثم

وفي عيد آخر يخلد انتصار الإله، وهو يوم «المعركة العظيم» الذي يهزم فيه

---

(١) راجع في ذلك: Schäfer في The Ascension Be Gens at Abydos (Sitzb. 1916) Untersuchungen IV. 42ff.

(٢) ترك لنا هؤلاء كذلك لوحات جميلة في أبيدوس. انظر: Schäfer: Untersuchungen IV. 39

Drogoman

Dramatische Texte, Leipzig, 1928

[illegible] حيوان المجزر (١).

[illegible] الاحتفالات القليلة التي ترتبط الملك بالعبادة، [illegible] الشارة من بعض الأمراء الأحياء. ومن بينها جميعاً يتبين أن العيد السنوي [illegible] سنة كاملة. وقد اعتادوا الاحتفال بهذا اليوبيل لأول مرة في [illegible] الاحتفال. والواقع أنه يراد بهذا الاحتفال القضاء على العام الثلاثين لإرساء [illegible] الاحتفال الملك الحالي وريثاً للعرش. ويظهر الملك من جديد على [illegible] اليوبيل (٢) وهو الذي سبق أن طلع عليه من قبل. ومن الطبيعي أن يدعو هذا [illegible] المفكر في الملك أوزوريس الذي استعرت حكومته عن طريق ابنه حوروس [illegible] ولم يكن يسيراً لكل ملك أن يحتفل بمثل هذا اليوبيل كما احتفل به - عند المعتقدات المصريين - الإلهة بتاح تاتنن ورع وأوزوريس احتفالات متتابعة [illegible] فلم يكتمل هذا الاحتفال بهاء رائع إن أسعد الحظ الملك أن يقوم به

وفي هذه المناسبة كان يعاد بناء منازل اليوبيل في المعابد كما أن صورة الآلهة - صاحبة اليوبيل - كانت تصنع من الذهب والفضة والأحجار الكريمة وتكسى بالملابس الرفيعة، وتمسح بالأدهنة، وتسرّ بقرابين جديدة دائماً (٣) وقد

٧٨ - الملك بيبي الأول (حوالي ٢٥٠٠ ق م) في عهد اليوبيل، وهو في التمثال كملك الوجه القبلي وفي اليمين كملك الوجه البحري (من حمامات).

---

(١) Pyr. 580.

(٢) Edfou. 1.4 4.

(٣) Brunsted. Development. p. [illegible]

(٤) Möller. Æ. Z. 39. 71 ss.

(٤) Harris. I. 49. 10 ss.

٧٩ ـ الملك أبريس يقدم القربان لآلهة منف، على أن
الكتابة تخلد ذكرى هدية أهداها أحد الحراس

ومن المسلم به أن أعياد الملكية الكبيرة كان يكسوها في نظر المصري طابع ديني. أو ليست تستقر فكرة الدولة في نصره على مبدأ أن الملك إله؟ على هذه الفكرة تقوم العبادة كلها، وهي التي تضع الملك على اتصال مباشر بالآلهة[1]. من هذا يتضح هذا الخروج عن المألوف الذي يظهر فيه الملك قائما

(1) Ed. Meyer, I², 53.

يمثل الشعب كله في المعابد. فالملك يقيم للآلهة معابدهم ويقدم لهم القرابين والآلهة بدورها تحقق لأبنها العزيز لقاء هذه التقوى حياة من ملايين السنين عن طريق النصر الذي يمنحه على أعدائه، وعن طريق مجده الأبدي.

وليست الآلهة بعد للشعب، بل هي للفرعون. انتهى

وحتى في الصلاة ... صلاة الحنث بالآلهة قد بعدت كثيراً عن هدفها الأول: فحين يقسم الملك معبداً، فإنه لا يقيمه - طبقاً للقرار الرسمي - حباً للمعبود، بل وصمة على شهرته الشخصية: إنه أقام هذا الأثر لنفسه. . . هكذا تبدأ منذ زمن طويل تلك النقوش التذكارية، وبعد هذه الصيغة فقط يطلق اسمه على المبنى الذي أقامه الملك لأبيه الإله. وهذه في الحقيقة صيغ تقليدية، ولكن فقر هذه الصيغ الرسمية، يتجلى في أن أمثال هذه العبارات والعادات تكونت في العصور الأولى للشعب. وليس من شك أن الملوك قدموا أشياء عظيمة للمعابد، ولكن العديد الأحياء لم يتأخروا هم كذلك عن تقديم هداياهم وعطاياهم ورغم ذلك فالنقوش لا تذكر حتى شيئاً. وقد حدث ذلك في كل عصر، حتى إن الملوك البوليسيين والأباطرة الرومانيين كانوا يعتبرون البنائين الوحيدين لكل المعابد التي شيدت خلال حكمهم.

ونتيجة طبيعية لوجهة النظر هذه لم ترسم كذلك صور الكهنة في المعابد، وإنما استبدلت صورهم بصور الملك. فعلى كل الجدران كانت تمثل مناظر تقديم القرابين وكل الاحتفالات التي تحدث أمام الآلهة، ولكن الشخص الذي كان يقوم بجميع مراسمها كان الملك بشخصه دائماً. وإننا لو جاز لنا أن نقبل أن الفرعون نفسه كان لديه وقت كاف للقيام بأعماله الدينية، فإن مشاركته في العبادة في كل معابد القطر ليست إلا شيئاً نظرياً. كما أن المحتفلين الحقيقيين في مصر كانوا رجال الكهنة حتى وإن هم لم يذكروا أنفسهم في الطقوس إلا كنائبين عن الملك[1].

---

(1) Mar. Abydos I, tabl. 24 (Rituel).

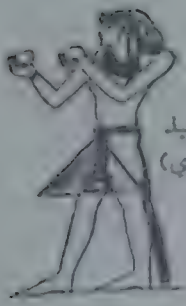

٨٠ ـ الملك يقدم النبيذ
(من معبد الدير البحري)

وحتمت الظروف الطبيعية أن يكون شرف إدارة المعابد منذ أقدم العصور من حق الأسرات الكبيرة القديمة. وكان التعصب الديني في الامبراطورية يوسعها وراثياً في عائلات معينة كان أفرادها يقومون بهذا العمل كوظيفة ثانوية فقط. وما دام الكاهن قد ورث وظيفته عن أبيه الذي كان كاهناً في المعبد[1] فهو يستطيع تحمل كل التقدمات وأداء كل الاحتفالات. وإلى جانب هذا فإنا نجد من بين مجموعة أخرى من الكهنة من بينهم عدد يشغلون وظائف معينة. ففي الإمبراطورية القديمة كان كبار رجال القضاء هم في نفس الوقت كهنة إلهة الحق كما كان الأطباء كهنة سخمت، وأما الممتازون من الفنانين فكانوا كهنة بتاح.

وكلمة كاهن نستطيع أن نفهم من وراثها أموراً شديدة التباين. فيجب أولاً التفرقة بين هؤلاء الذين يقومون بعملهم بصفة دائمة، وأولئك الذين يحملون لقباً مؤقتاً. ثم إن هناك اختلافاً آخر في هاتين الفئتين بين الكهنة الذين يقومون بأعمال كهنوتية معينة، فهناك أولاً «خدم الإلهة» وهؤلاء هم كهنة العبادة

---

(١) Idem, tabl. I.

(٢) Litt. p. 153.

Urk. IV, 201 (1)

Totb. 64. Budge 1913 (2)

(3)

(4)

(5)

(6)

على الأقل بالنسبة للنواحي العليا، وجعله ذلك خاضعاً [illegible] لتدخل [illegible] في بعض النصوص (وأكثر حدة على الأقل لنذكر أمثال هذا التكريس والتطهير) فمن غير أن [illegible] أحياناً حديداً استخدم في الطقوس المقدسة بالكرنك وتظهر من خلال [illegible] الخرزة[1]، ويقص علينا ملك آخر في نقش آخر وضوحاً فائقاً [illegible] إبن الإله وكنت شابة مختاراً. وحين أدخلوني إلى أعلى السماء خرجت من [illegible] وتجردت من كل ثيابي كانت بي. وخلعت ملابسي وتدهنت بدهن يطيب [illegible] وسمت ثم تقدمت نحو الإله في قدس الأقداس وأنا أحمل بأيديهما [illegible] قاربه[2].

ولما كان الكشف عن الكهنة يخولون بمعرفة الأمور السرية «مثل أسرار السماء والعالم السفلي» فإن علمهم كان قاصراً من غير شك على معرفة أصول [illegible] والتقاليد المقدسة[3]. لأن هذه التقاليد تعتبر سرية كذلك. وحتى في الدولة القديمة نحن نعرف أن «كتاب فم الخرجت» الذي كان يجب العمل به أثناء عمل التقدمة يحتوي على أمور سرية[4].

ولم تُبعد السيدات في أثناء عصر من العصور عن خدمة المعبد. ففي الدولة الحديثة نرى بناهيل «أعلى كاهنات (خادمات للإله) للوت وحاتحور [illegible] وحاتحور تحمد حاتحور كل يوم»[5]. ومن اليسير أن ندرك أن النساء كن يعملن في خدمة حاتحور إلهة الحب، وسنرى فيما بعد كيف اكتسب دور الكاهنات أهمية أكبر فيما بعد.

---

(١) Brugsch: Thes., 1071.

(٢) يعني هذا بالطبع من العبارات المقصود أنه أعد في المعبد وأنه انفصل داخل [illegible] في جدار الكنيسة. وليت ذلك صحيح له يتحول قدس الأقداس - انظر تمثال [illegible] حور في القاهرة (CG 9) وانظر كذلك Naville, L'inscription [illegible] حيث مثل تظهر كهنة وكاهنات من الطبقة الراقية.

(٣) Pap. ex. Louvre, c. 216 XIX dyn.

(٤) L. D. II, Erg. Tafelband 7; Mar. Mast. p. 10.

(٥) Brit. Museum. 528.

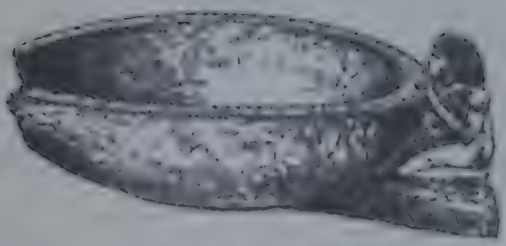

٨١ ـ حوض ماء أهداه أحد الأفراد ويدعى حوى لمعبد سخمت في أبو صير

ولقد رأينا فيما سبق أن العبادة المنتظمة كانت تتضمن تقدمات يومية هي من التصميم أقل أهمية من تقدمات أيام الأعياد. ولكن بما أنها كانت دائمة ومستمرة طوال العام فإنها كانت تحوي كمية ضخمة من الخبز واللحم. وإن أن تستهلك الإلهة كانت تصير تلك الأطعمة بعد أن يشبع الإله ـ طبقاً للتعبير الرسمي ـ

ومن المفهوم أننا لم نستطع الوصول إلى إجابة حاسمة في هذا الموضوع. وإن هذه الأشياء كان يستطيع المصري أن يصل إلى فهمها من تلقاء نفسه، ولكن شيئاً واحداً كان يعجزه، وهو أن يسير الإله بهذه التقدمات. ونحن لا نستطيع بصورة إلا أن نعتقد أن الكهنة كانوا يتناولون هذه الأطعمة. وأن كل ما كان يؤتى به إلى الإله كان يعتبر بالنسبة لهم وحدة. وبالمثل كان كل ما يملكه الإله من أملاك ثابتة كان يقسم على اسم «التقدمة الإلهية» وكان الكهنة يتمتعون بثمارها.

ومن بين السبع التي كان الملوك أو الأفراد يقدمونها بصفة قرابين نستطيع أن نميز أمراً واحداً. وهو أن قرابين معينة كان لا يستحب أن يستمتع بها الإله وحده بل يجب أن يستمتع بها كائنات أخرى مبجلة. وهكذا مثلاً يقوم في معبد ما تمثال رجل صانع آلهة الملك في هذه الناحية حتى تكون له كذلك حصته من تقدمات الإله. وفي هذه الحالة كان يوضع أمام هذا التمثال كذلك بعض الأطعمة المخصوصة من التقدمات. وهنا لنا أن نتخيل كذلك أن المكان المخصص بهذا التمثال هو الذي يستمتع بالأطعمة. وبالمثل فإن صورة رجل مقامة في مقبرته تستطيع

المشتركة في التقدمة المقدمة إلى الإله. وعند ذاك تستطيع هذه الأطعمة أن
تكون لها الخواص المخصصة بالقبر وذلك بعد أن يشبع المتوفى
ويستطيع استيراد هذه التقدمات التي كان يستفيد منها الكهنة بعد وفاته
بمدة مرتب لهم. وعلى ذلك فلم يكن همهم الوحيد تموين الإله بالأطعمة مع
ذلك ردهم إلى تمثل العطايا الملكية في مزرعته وإنما كان همهم الخصوصي
هو دعوتهم الأسمى وهم يمتدحون الملك لأنه يملأ المذابح أطعمة ويجعل موائد
القرابين وافرة ويكثر من التقدمات[1].

ويدلنا أسماء أبواب المعابد كذلك على الأهمية التي تتصل بالقرابين. فهم
يذكرون أن الملك يأتي بالأطعمة[2] عندما يعبر هذه الأبواب.

ومع ذلك لم تكن الكهنة يعبدون من مأكولات الإله فقط لأنه كان يتخلى كذلك عن
ملابس وأعد كان شبيهاً طبعاً أن يأخذوا في مقصورة الدفن شرائح من اللحم
يحيون بها الميت كان الإله قد تخلى عنها[3]. ولنا أن نتخيل أنه من الطبيعي أن
من الشرائح كان لها فوق حافظة حياتها عن طريق الإله الذي كان تقدمه
وإذا هم من أن الكهنة كانوا لا يألون جهداً في أجل القرابين. وإن هناك حالات
كانت تفرض فيها هذه القرابين - ولو نظرياً - وواحدة من جميع المعبدات تذكر أن
أنبة لا تتقبل قرابينها

---

(1) Westcar, litt. p. 73.

(2) Deir Bahri, 95; Karnak, Temple de Khonsou 727; Abydos 1447; Edfou, II
Mammisi, 155.

(3) Ibid. IV, 112 et aussi Louvre, Textes Rec. N° 3011 page 4 ro

الفصل الثالث عشر

الصالة في العمارة الحديثة

ولكن هذه المباني الضخمة التي تمتد على طول ١٨٠ متراً ليست إلا مجموعة معمارية تتقدم معبد أمون الحقيقي الذي يمتد جزءاً وراءه ومعبدي الملايين التي شيدها ملوك الأسرة الثامنة عشرة. ويجاور معبد أمون الكبير يقوم معبد زوجته وابنه وهما معبد موت (الذي يرجع إلى عصر أمنوفيس الثالث) ومعبد خونسو. ولبتاح منفيس كذلك هيكل مهم

وتتصل هذه المباني ببعضها عن طريق ممرات وأبواب تذكارية وتكون في مجموعها مدينة مقدسة حقيقية طولها أكثر من كيلومتر، ولسنا نستطيع إلا أن نفترض عدد المباني الأخرى التي كانت تقوم في هذه الناحية، لأن منازل السكنى وصوامع الغلال والإسطبلات والورش كانت تبنى كما جرت العادة من قبل من اللبن، وهي من أجل ذلك لم تصل إلينا. وليس من شك أن مئات من الأهلين كانوا يعيشون في هذه الناحية لخدمة أمون.

وعلى بعد يزيد قليلاً عن الكيلومترين إلى الجنوب، يقوم معبد أمون الثاني في الأقصر، وقد أقامه أمنوفيس الثالث ووسعه توت عنخ أمون، وأضاف رمسيس الثاني مبنى كبيراً أمام المباني القديمة عبارة عن بهو يتقدمه صرح رائع ومسلتان وتماثيل ضخمة.

ولكن هذه المعابد الشامخة في الكرنك والأقصر لا تكفي للتعبير عن مدى الخشوع الذي كان يحسه ملوك الدولة الحديثة نحو إلههم. وهم أولئك الملوك

أما باقي مدن المملكة فلم تكن تنقصها كذلك معابد تكرس لأمون وبعض تلك المنشآت الضخمة التي أقامها ملوك الدولة الحديثة في كل مكان لآلهتها القديمة، وليس من شك أنه ليس من المبالغة أن نذكر أنه لم يقم في بلد ما مثل ما قام في أي عصر بنشاط في أعمال البناء يعدل نشاط رعمسيس الثاني أكبر بناء هذا العصر (١). ولم يقنع مبنى من مباني الدولة الحديثة بالضروري فقط، بل أنهم أرادوا أن تثبت هذه الأبنية بفخامتها وفخامتها عظمة الإله الذي يسكنها.

---

(١) Urk. IV, 363.

(٢) خطأ ما أخبرني به بوركهارت، على أن تفاصيل هذه المسائل لا تزال مبهمة. ومع هذا فليس من المعقول أنهم كانوا يعتدون كذلك في هذه المعابد.

(٣) Harris, I, 3, 11.

(٤) cf. Ed. Meyer II^2. p 497.

(1) Idem, I, 6,12
(2) Idem, I, 4,5
(3) Idem, I, 3,5 ss
(4) Urk., IV, 96
(5) Harris, I, 7,12
(6) Idem, I, 8,4

ومن الوصف الذي قدمناه معتمدين على النقوش التي وصلتنا يظهر أن الاحتفال كان يستمر يوماً واحداً فقط، ولكن الواقع أن هذه الحفلة كانت تستغرق مدة طويلة. ولدينا من عهد تحوتمس الثالث ما ينبئنا أنها استمرت أحد عشر يوماً، كما أنها ظلت مدى ٢٤ يوماً في حكم رعمسيس الثالث[1].

ولقد رأينا من قبل أن الكهنة كانوا أصلاً في العصور القديمة من بين سكان المدن، ونستطيع أن نقرر أنهم لم يكونوا منفصلين عن الشعب بصفة قاطعة. أما في الدولة الحديثة فقد تغير هذا أيضاً، إذ أننا نعرف الكاهن الآن من مظهره الخارجي، فهو لا يلبس الملابس الحديثة لعصره، وهو يجتنب أن يرتدي ملابس فضفاضة متنية تغطي الجزء الأعلى من الجسم، مما كان يفرضه الذوق العصري

---

[1] كل ما قدمناه من وصف مأخوذ عن Walter Wolf: Das Schöne Fest von Opet Leipzig. 1931.

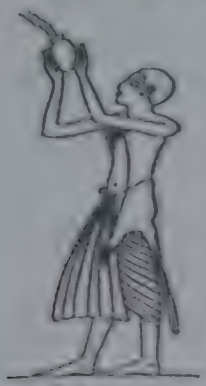

٨٢ ـ الملك من الدولة الحديثة حليق الرأس وعلى ظهره قرد نعم (برلين ٢٢١٥)

ونستطيع أن نتبين بالقرب من أكبر الآلهة جميعاً ـ آمون[1] ـ ثلاثة مجاميع من الكهنة الطبقة الدنيا وهي مكونة من كهنة «وعب» الذين يضحيون الإله في مراكبه ويحصلون قاربه، وتدخل كذلك بعض الأعمال الضئيلة التي هي من اختصاصهم، ولكنهم لم يكونوا يشتركون في طقوس العبادة ذاتها، إلى أن بعضهم من ذوي المرتبة المرتفعة كان يسمح لهم بالدخول حتى قدس الأقداس. وفوق هؤلاء تأتي طبقة الكهنة العلماء الـ «خرحب» وهم كذلك طبقات مختلفة

---

(١) ما يلي مأخوذ عن Lefebure: Grands Prêtres P. 14 ff.

في الحقيقة أنه من السهل تفسير هذه الأرقام. لأن تحليلاً لـ [illegible] كانت تخصص بكامل أفرادها، أم أن هذه الأسماء تمثل الرجال [illegible] فإننا لا نعرف المعنى الذي تشير إليه كلمة «مقاطعة» [illegible] ومع ذلك فإنه لمن الممكن أن نلاحظ أنه كان [illegible] لأن المحصول لم يكن قد [illegible] من ٢٣٩٣ إلى مراً

ولعل الأمر يكون أكثر وضوحاً إذ نحن قارنا ثروة آمون بما يتصل من [illegible] للمعابد الأخرى الكبيرة. فلم يكن لهليوبوليس سوى ١٢٩٦٣ من [illegible] ١٦٠٠٨٤ أفدنة من المحقول. كما أن منفيس كان لها من الرعايا [illegible] ٣٠٧٧، ومن الأفدنة ١٠٠٤٨. وهكذا كان آمون يملك ستة أمثال رعايا هليوبوليس، و ٨٦ ضعفاً أكثر من منفيس ولم تكن هذه الثروة هائلة بهذه الصورة دائماً، بل إن كثيراً من العطايا التي كانت تقدم لآمون كانت تنفق، مثل الدمن الحورية الثلاثة التي أهداها إياه تحوتمس الثالث في غزواته. وبالمثل كانت سلطة الكاهن الأكبر تحدها الدولة أحياناً. ونستطيع أن نتصور أن السلطة المدنية كانت تتعارض دائماً مع السلطة الدينية. فكان الكهنة مكبوتين حين تقوم حكومة قوية... وأما في عهد الحكومات الضعيفة فإن سلطة الكاهن الأكبر كانت تزداد[٢]، ومن المؤكد أن الأمر لم يكن محض صدفة إن نحن وجدنا في فترة المشاحنات على العرش التي أعقبت موت تحوتمس الأول (١٥٠١ ق. م) كاهناً أكبر لم يكن نعي آمون الأول ومدير كل أعماله وأملاكه فحسب، بل وأكثر

---

(١) ليس لدينا ما يدعونا على الاعتقاد بأن عنصر بالغ المحقول في [illegible] آمون إلى حد الإفراط على هذا النحو، على أن هناك أمراً واضحاً، وهو أنه منذ الأسرة الثامنة عشرة لم يعد هناك مجاعة كبيرة بين الأرض التي يستطاع أن نرتب إلى الآلهة حتى إنه حتى القرن السابع (حوالي ١٣٠٠ ق. م) سيبدو التضخم في أيديهن النظر أنه بدأ ابتداءً من الثورة (انظر الفصل العشرين).

(٢) إلى قال ما يلي منفرد Lefebure, Grands Prêtres ما دام ليس له ذكر في مصادر أخرى.

ونحن نروي كيف أدار الملك أمر اختيار أمون... فقد وقع حقاً من

كانت للملك فيه ثقة خاصة. وكان هؤلاء الذين يختارهم الملك بأنفسهم ... وظائفهم ترفعهم أكثر بكثير عن باقي الأفراد، وأن لهم الحق في ...

... وفي آخر الأسرة التاسعة عشرة نرى أن الكاهن الأكبر «رعموز» المسمى ... يقوم بعمله بطريقة غير معهودة. فقد قام بتوسيع منازل الكاهن الأكبر الذي ... ويقوم عن البحيرة المقدسة. والذي كان قد قام ببنائه سيتي ومنفتاس الأول ... (١٣١٩ ق م) وقد مثل نفسه في هذا الجزء من المعبد حيث كان من المعتاد أن ... بصورة الملك وحدها أن تظهر في المعبد. وبعد نصف قرن تقريباً - في ... - نجد في نفس الجزء من المعبد صوراً تمثل كاهناً أكبر ... وهي تبين الكاهن الأكبر أمنحتب يسبغ الملك عليه تكريماً ... رعاية عجيبة[1]. وهو يمثل - بعكس المعتاد في النظام المصري - في ... للملك، بينما تظهر الشخصيات الأخرى في اللوحة صغيرة. ... أنه هو الكاهن الأكبر الذي يقوم بالتقدمة لأمون وليس الملك. ... يفخر أمنحتب ببنائه مبنى ضخماً، وأنه جدد مسكن الكاهن الأكبر ... في كل روعته وبهائه. بل هو يقص علينا أمراً أشد خطورة من ذلك، هو أن كل ... أمون التي كان يتسلمها حتى ذلك الوقت بواسطة الملك لم يعد الإله ... عن ذلك الطريق إذا استطعنا أن نفهم الموقف تماماً كان هناك صراع من ... لكهنة يهدد سلطة الدولة. والواقع إن خليفته الكاهن الأكبر حوريحور وضع ... لهذه الحكومة المزدوجة واستطاع أن يعتلي العرش كما سنرى ذلك في ... الثامن عشر.

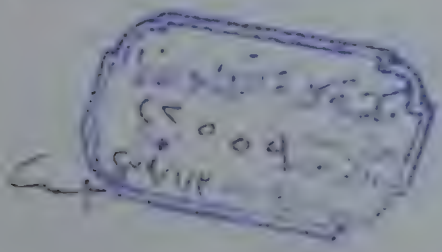

(١) وقد قدم له الملك كذلك هدايا ذات قيمة كبيرة.

الفصل الرابع عشر

العقائد الجنازية

لم كان الشعب المصري يختلف في شيء عن غيره من الشعوب، من ذلك في العناية التي كان يوجهها إلى موتاه[1]. فقد كان اليهود أو الإغريق يعدلون النيل عن مصير موتاهم، بل لقد كانوا يتحرّجون من الحديث عنهم على حين كان المصريون يفكرون فيهم بغير انقطاع، ولا يدّخرون وسعاً في العناية بهم والاهتمام بسعادتهم، كما كانوا يودون ألا تفنى ذكراهم[2]. ولم يكن لهذه العناية من سبب في بداية الأمر غير السبب العميق الذي تشترك فيه الإنسانية عامة، ألا وهو حبّ الأهل وذوي القربى. فكما تعم رعاية المسنين والأطفال الذين لا يستطيعون العناية بأنفسهم، فإن من الواجب كذلك رعاية الموتى المساكين الذين لا عون لهم. حقاً لم يكن في الاستطاعة أن تكون قبورهم أكثر من حفر بسيطة لسكناهم، ومع ذلك فقد كان في الإمكان أن يوضع فيها سائر ما يحتاجون إليه من طعام، وما يدخل على قلوبهم البهجة

---

(1) من الممكن أن تكون هذه العناية قد نشأت من استظراف المصريين في عقيدة منذ أقدم الأزمنة.

(2) لا يسعنا أن نسوق من هذه العبارة بالقرى الموتى وبين الحضر بالأحرى العصر معاصريهم كذلك بعض الشعوب الأخرى، وذلك لأنه منذ انتشار الكتابة في مصر لم يكن حتى الصعلوك من الناس ليدخر وسعاً في إحياء أسماء ذوي قرباه ممن لم يكونوا أقل منه خمولاً في الذكر.

وهو ما نجده في مقابر ما قبل التاريخ في مصر.

ومن الأمور التي يلفت عندها هذه الحضارة السبق بالتحنيط، حتى بلغت هذه الصناعة ازدهار الحضارة المصرية، حتى بلغت حد الإتقان والصنعة. بل لقد شيدت لتحنيط الموتى أماكن خاصة، أو بالأحرى ما يمكن أن يضارع حمامات مصر الفخمة. فهو ليس في مقابر معاصر تماثل الأهرامات العظيمة، أو المقابر المحفورة في الصخر التي كانت أيضاً أنه لم توضع في مقابر الموتى في أي مكان آخر وتاريخ وتحنيط قبلها مثل ما وضع في مقابر المصريين. ولم يكن الشعب المصري ليبذل مثل هذه الجهود وتلك الآلاف سنة، لو لم تكن قد نشأت تدريجياً في حياته العامل الأخير، وهو الموتى، وهي تصورات لا يزال من الممكن ترسمها في الأدب الجنائزي الذي تحتفظ لنا بكثرة لا تكاد تحصى.

وهو في الحق ليس أدباً بالمعنى المعتاد، أو هو كذلك في أصغر أجزائه فقط، إذ أغلبه أوراد قصيرة أو طويلة، جرت العادة بتلاوتها عند إعداد الجثة ودفنها، وعند إطعام الميت وتقديم العطايا إليه. وعندما تراد حمايته من كل سوء بالدعاء والسحر.

وقد جرينا الآن على تقسيم هذه الأوراد إلى ثلاث مجموعات كبيرة. وذلك بالنسبة لعهد كل منها وأسلوب كتابتها. وهي «متون الأهرام»[1] التي ظهرت في مقابر ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة، و«متون التوابيت»[2].

---

(١) وهي معروفة منذ عام ١٨٨٠، وقد نشرها ماسبيرو عام ١٨٨٢، معها ترجمة كل منها بخط كبير، ولكنها بطريقة الحال غير صالحة لأن يعتمد عليها في وقت الحاضر. وقد نشرها أرمنا شدفيق شهر [illegible] Leipzig, Hinrichs, 1908 ولا يزال الأمر يحتاج إلى [illegible] جديدة.

(٢) وقد نشر بعضها البروفسور ولاكو وغيرهما انظر:

[illegible] Sarg. Lonon. Reliefs Text des Tombeaux, Leden, Texte niques.

الأمريكان والإنجليز على نشرها كاملة.

متجانسة ولا متسقة، وذلك لأن الكهنة الذين ألفوا وركبوا الكلمات[1] عاشوا في عصور مختلفة وكانوا يجتمعون في ذلك على نحو ما يجري في أي مكان آخر من العالم، حيث يتناقشون من بقوله من المذاكرة حيث كانوا يجتمعون بمحض اختيارهم عن الآيات والعبارات التي يحرص بها أنفسهم في مهمة كبيرة. وذلك تقريباً على نحو ما يحدث الآن بين رجال الدين. ولم يكن من المحتمل أن تكون هذه الآيات متجانسة دائماً في موضوعاتها تمام التجانس، فعلى الرغم من أن محتوى بعضها تتحدث عن أشياء متشابهة، وغاية ما كان يعني به أن يكون لها جمال ورنين موسيقي. ولم يكن مما يعيب أن كثيراً من هذه الأوراد المختارة ليست - بالتحقيق - معدة في الأصل للموتى. فمن الأوراد ما تعلق بملك وبمدى سلطانه[2]، ومنها ما يبدو أنه كان يختص بالاحتفال بمدينة شيدها الملك[3]، ومنها أوراد ضد السباع التي لم يكن على الميت ألا يخشى بأسها[4]، غير أنها أصبحت طريقها بين عزائم السحر ضد الأفاعي التي ربما كان للميت أن يخشاها في قبره.

وتدور الأوراد في متون الأهرام في مجموعها حول الملك المتوفى الذي يعني أن تعني الآلهة بشخصه المقدس بعد موته، على أن من بينها كذلك أوراداً تبدو تدل في الأصل على مصير أكثر تواضعاً. فهي تتضمن ما يفيد بأن الميت يرقد في الأرض والتراب أو في الرمل[5]، أي أنه ليس له فوز من اللعن على نحو

---

* المقابر الملكية: أجل إنه يمكن أن تكون بعض النصوص التي وجدت في هرم ما قد كتبت والتي تتقمص في هرم أو ناس قد نشأت في القرن الذي يفرق بينهما.

(١) يوجد هذا النص في بعض ورود للدلالة على أن العرض إنما هو ثلاثة.

(٢) الفقرة ١٨٣٧ من متون الأهرام.

(٣) الورد ٥٨٧، حل المقصود من ذلك المدينة الخاصة للهرم؟

(٤) الأوراد ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٧ من متون الأهرام.

(٥) الفقرات ٦٥٤، ٧٤٩، ١٣٦٣، ١٧٣٢، ١٨٧٨، ٢٠٠٨ من متون الأهرام

(١) يبدو هذا شيئاً مسلماً به في الفقرة ٥٧٢.

(٢) الفقرة ٨٩٢ من متون الأهرام.

(٣) Zauberspr. f. Mutter u. Kind, S. 26 - 27.

(٤) انظر الفقرة ٩٠٦ من متون الأهرام (أصحاب الكاوات = الأحياء) (قل L. D. III. 16 c الكاوات الحية = نار الشمس)؛ أثر سنك حتب في اللوفر « إنه معافى وسعيد بما أنه من كا = إنه حي).

(٥) Mar. Abyd. tabl. 16.

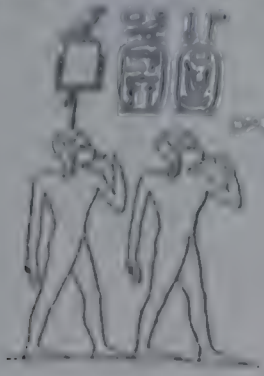

الملك أمنحوتب الثالث ملتقياً وجه
روح الكا (من معبد الأقصر)

للملك كان يتحدث إليه بأنه «دار الكا»، كما كانت تقدم الأطعمة وكل الضيافة الشائعة إلى «كا» الميت. وقد طفقت تلك الفكرة الغامضة عن الكا تتطور فيما بعد، فكانت الكا تعتبر تارة كأنها كائن إلهي، كما يدل على ذلك رسم لها في اللغة المصرية القديمة، وتارة كأنها الملاك الحارس، الذي يهتم بالإنسان، ويعنى بأمره، وتارة كانت الكا هي التي تلد الإبن[33]. وفي أحيان أخرى كانت «الكاوات الحية» تعبيراً رشيقاً يوصف به الناس[34]، وتارة أخرى كانت الكاوات تعبر عن قوى الحياة، أي عن الأطعمة[35]، أو كانت مصدر النعم

---

[33] انظر: ٦٣ من متون الأهرام.

[34] Urk. IV 699.

[35] Prisse 7, 11 (Lit. S. 9).

[36] Urk. IV 249.

[37] انظر مثلاً: Tell Amarna II. 7; III. 16; Harris I. 44.6.

وكان المصريون يرون النجوم تجوب الليل في جلال ساحر، تتميز به سماء

---

١ متون الأهرام فقرة ٨٢١.

[illegible] يحرك الذراعين كالأوزة، ويصرخ بصوت عال كالطائر أبو الملاعق،
[illegible] يطير من يطير هذاك، وهذا يطير منكم[1]. وفي السماء عليه الآلهة تولد
[illegible] فتحسباً لا يخف»[2]، إنها هي التي صنعت حياته، إنها هي التي ولدته، إنه
[illegible] الليل يُحمل به، وفي الليل يولد: إنه ينتسب لأولئك الذين يلدون من ذواتهم،
[illegible] والأولئك الذين يقفون من أمام نجمة الصباح[3]. إنه يعبر إلى الحدب
[illegible] من السماء، إلى المكان الذي تولد فيه الآلهة، والذي فيه يولد هو
[illegible] متجددة قواه، عائداً إلى الشباب»[4].

أجل إنه يلتقي بضروب مختلفة من الآلهة والنجوم تستفيض اعتراض سبيله، على أن أحداً لا يستطيع أن يصدّه عنه: «فليس هناك إله يمسكه دون يهدده بقرنيه: «أين يذهب إذن؟» فيكون الجواب على ذلك: «إنه يذهب إلى السماء، وقد ملىء بقوى الحياة ليرى أباه، ليرى رع»، وبهذا يدحه ذلك الخائن المخيف يمضي إلى سبيله[6]. ويتلقى إله الشمس، ساكن السماء الجديد في عطف وموذة، ويقول له: «إني أمنحك منطقك وجسدك، وإنك لتتخذ شكل أه»[7]، «ويجعل جسده يضيء» كأجساد أهل السماء[8]، ثم يدعه يجذف في سفينته الخاصة[9]، أو يهيء له مكاناً في «مقدمها ويبحر به القائمون على الدفة

---

(١) متون الأهرام، فقرة ٤٦٦ - ٤٦٣.
(٢) متون الأهرام، فقرة ١٣١ - ١٣٢.
(٣) متون الأهرام، فقرة ٣٥٣.
(٤) متون الأهرام، فقرة ٢٣٧.
(٥) متون الأهرام، فقرة ٩١٤، ٩١٥.
(٦) متون الأهرام، فقرة ٧٦٢.
(٧) دعاء الشمس في Mar. Abyd. II, 14.
(٨) متون الأهرام، فقرة ٨٨٩.

[illegible] وقد يختصه الملك برأس مجذافيه[illegible] إلى أن قد يعثر [illegible] السماء الجنائزي ويحمل الميت «في مكانه»[illegible]، «القصي ويكون [illegible] ويعبر الأثير أيضاً من هو أعظم منه»[illegible]، وهكذا يعبر عن السماء وقبة [illegible] الشمس. «فيلوح لك إله جديداً يشرق»[illegible]، وحتى تحوت إله القمر فيه يعبر الميت خلال هذا العوض، فيأخذه في مقبته بالليل وهكذا «يجوب السماء مثل رع» ويجوب السماء مثل تحوت[illegible].

هذه المقالة في تصوّر ما للميت المتحد من سلطان في السماء، كما نتبين في كثير مما سنقتبسه من عبارات، تطالعنا في صورة أقوى في أوزياء [illegible] من متون الأهرام، فالملك المتوفى ليس بإنسان، إذ «أبازه ليسوا من البشر» وأنهيته ليس من البشر»[illegible]، وإنما هو حضارة مرتبطة بإله، إله تحوت «الفوز [illegible] ابن نوت «أبي شو» ابن رع» الذي يحمل السماء ويقرعهم الأرض [illegible] من الآلهة[illegible] ضوء للذين يرونه وهو منتج بحالية رع وعطيه غذاء [illegible] إنه يعتبر إلى السماء فيجد رع واقفاً [illegible] فيجلس إلى جانبه، ولا

---

(١) متون الأهرام، فقرة ٧١٠ ـ ٧١١.

(٢) متون الأهرام، فقرة ٩٢٣.

(٣) متون الأهرام، فقرة ٩٥٤ ـ ٩٥٥.

(٤) متون الأهرام، فقرة ٧١٢، ٧١٣.

(٥) متون الأهرام، فقرة ٩٢٣.

(٦) متون الأهرام، فقرة ١٣٠.

(٧) متون الأهرام، فقرة ٩٠٩.

(٨) متون الأهرام، فقرة ١٢٣٧ ـ ب من بد في هذه التعبيرات المسروقة للميت المعبود [illegible] متون الأهرام، فقرة ١٢٣٧ ـ ب من بد في هذه التعبيرات المسروقة للميت المعبود [illegible] سحريته، من شأنها أن تجعل من الملك المتوفى إلهاً، فإنه يحضى، فهم الطابع الشعبي [illegible] هذه التصورات الدينية في متون الأهرام تعرفنا بما فيه الكفاية لكيف نتصور [illegible] السحر الحقيقة

(٩) متون الأهرام، فقرة ٩٥٢

(١٠) متون الأهرام، فقرة ٥٤٦.

[illegible] على الأرض، لأنه يعلم حقاً أن [illegible]
[illegible] المسجد الذي لا يفنى» هو الذي قيمت الرسل من الآلهة [illegible]
[illegible] السماء، أنه قد ظهر لهم ملك جديد: «أني ست وعنوس» أسرعا وأعدا
[illegible] المحدث ومسجديهم: «قد أتى مسجد لا يفنى»، إنه إذا شاء أكلم العيون
[illegible] نحوكم أودوسيس وإيزيس أتى الشمال ونحوت إلى الغرب وحوريس إلى الشرق، لم
[illegible] وأبي ارع أنوم، إن ابنك يعلو إليك، إنه يعلو إليك، إنك تمكنه
[illegible] وتضعه بين ذراعيك، إنه ابنك من جسدك إلى الأبد»[1].

وتضحي الآلهة من نومها مذعورة: «من الطائر العظيم الذي يأتي من النيل،
من الإله ابن أوزير الذي يخرج من شجرة الأثل»[2]. وذلك لأن الصوت قد ظهر
معه محياً كما يخرج الطائر من السماء. وكما يسرق ابن أوزير من الأحياء

ويطلع الأعرق في المقالاة أبعد مداه في الفصل الثاني[3]، الذي يصور فيه
الجبال الجامح الميت كصائد يتصيد نجوم السماء، ويأتيهم الآلهة والمحظيون
من السماء لنحظر، وإن النجوم لتتصارع، والسهام لتفصل طريقها هنا وهناك،
وعظام أكبر ترتجف ... وقد رأته يبدو وله روح كأنه إله. يعيش على آلهة
ويتغذى بأمعائهم ... إن حلاله في السماء، وقوته في الأفق. فمن نحو أبيه أتوم
الذي ولده، إنه ولده أقوى منه هو نفسه ... إنه هو الذي يتغذى بالبشر، ويعيش
على الآلهة، يصيدها له القابض على الهامات والإمينكحور، ويحرسها ويسوقها
إليه ذو الرأس الجليل، ويقيدها له حرس - تروت، ويطعنها له ويستخرج ما في

---

(1) متون الأهرام، فقرة ٨١٢ - ٨١٣.
(2) متون الأهرام، فقرة ١٥٣ - ١٦٠.
(3) متون الأهرام، فقرة ١٢٦.
(4) متون الأهرام، فقرة ٣٩٣ وما بعدها - أتوم هو إله الأرض، أما الكلمات الأخيرة
المذكورة هنا فهي كما هو واضح بروح النجوم. وربما كان المقصود بالأوزيريس
فرح

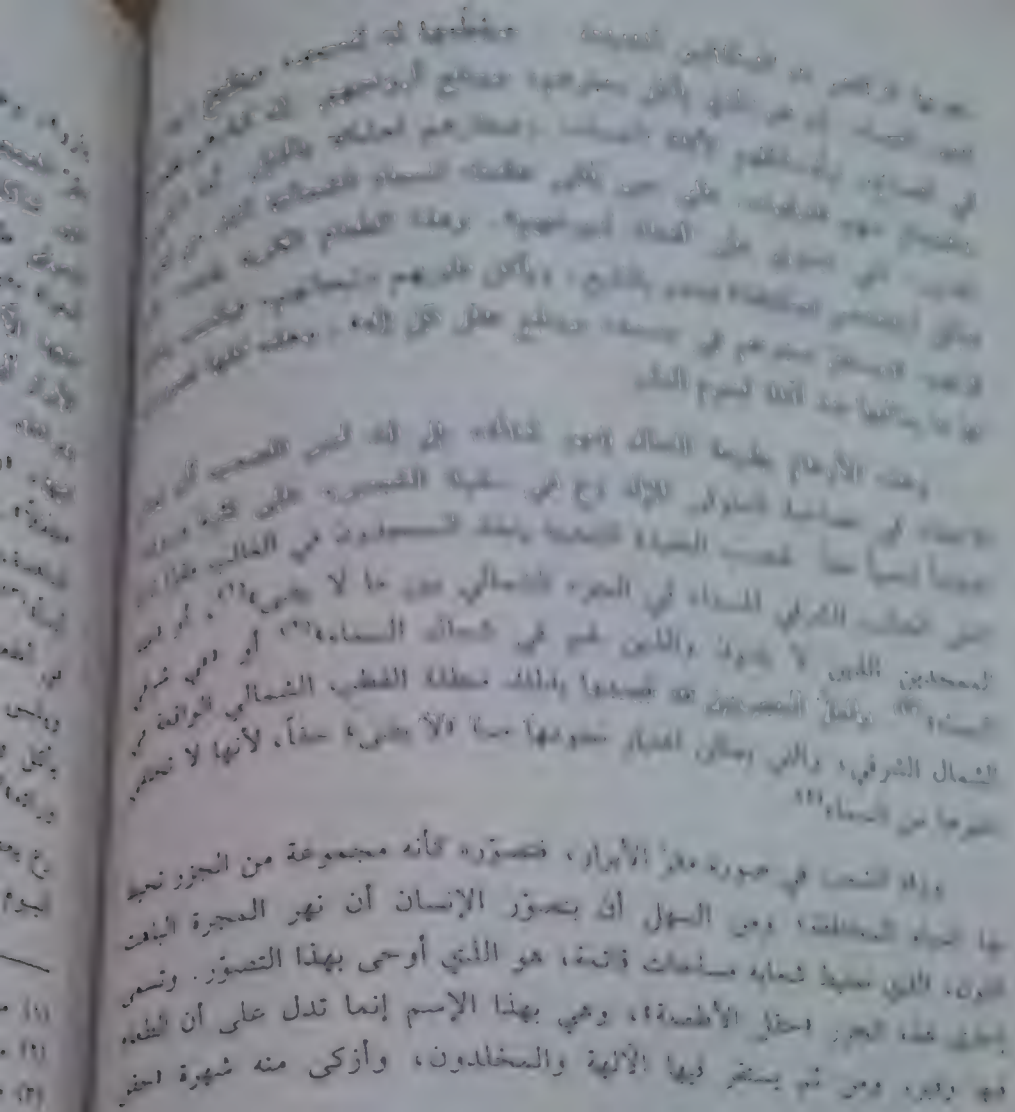

(١) متون الأهرام، فقرة ١٠٠٠.

(٢) متون الأهرام، فقرة ١٢٢٠.

(٣) متون الأهرام، فقرة ٩٢٦.

(٤) وفق ما أخبر به بورخارت.

(1) متون الأهرام، فقرة ٩١٦.
(2) متون الأهرام، فقرة ١٢١٦.
(3) متون الأهرام، فقرة ٩١١، ٩١٢، ١١٠٩.
(4) متون الأهرام، فقرة ١١١٨.
(5) متون الأهرام، فقرة ١٨٢، ١١٧٧.
(6) متون الأهرام، فقرة ١٢٢٦.
(7) متون الأهرام، فقرة ١٣٠.
(8) متون الأهرام، فقرة ١٢٣، ١٢٢.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٢.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٢.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٢٢.

... لم يكن من اليسير أن يوفق كل إنسان في بلوغ حقول الأبرار تلك ... وذلك لصعوبة اجتياز المسافة التي ... هذا لهذا كان من الناس من كان يأمل في حقك الطقوس الجنائزية لتصعد ... وأبى متحجل - وهو الوطائر المقدس للإله تحوت - راجياً أن تنقله إلى هذه ... يا مختطفي حوريس، ويا حياضي تحوت، احملاه ولا تتركاه يقول أن ... ومصحوبا بمن كان يرجو أسماء حوريس، الذين تحتشد منهم أعداد ... غير أن أهليهم كان يعتمد على موتى يسمى «المنتشت أبي وراءه» ... والمستعين بوجهه». وذلك لأنه إذا وقف في مؤخر قاربه يحرك المجاديف ... اضطر إلى أن يدير رأسه. وهذا الموتى هو الذي يعبر بالآلية في قاربه[1]. وهو ... يقوم كذلك للميت بهذا الصنيع. على أنه في واقع الأمر لا يؤديه لكل ... لأن «الموتى ستقل بأدوار» هذا لا ينقل عبر «الرحى القويم الذي لا ... والذي وجد مفسطاً «أمام السماء والأرض» وأمام الجزيرة نفسها[2]. وفي هذا أثر ... ملحوظ للشعور الخلقي في ذلك الزمن القديم، ومع ذلك فهذا الأثر ليس ... وحيد من نوعه في متون الأهرام. فإذا قيل عن الميت إنه «ما من شر فيكم» ... هذه العبارة تصعد إلى إله الشمس، فيستقباه استقبالاً حسناً[3]. وإذا لم ... يخزل السوء على السلك» ولم يحتقر الآلهة فإن في هذا أيضاً ما يركيه في ... السماء[4]. ومع هذا فإن الآلهة تتطلب عادة من الزميل الحديد في السماء طهارة

---

(1) متون الأهرام، فقرة ٨٢٢.
(2) متون الأهرام، فقرة ١١٧٦.
(3) متون الأهرام، فقرة ١٢٢٧.
(4) متون الأهرام، فقرة ٦٠٧.
(5) متون الأهرام، فقرة ٣٩٣.
(6) متون الأهرام، فقرة ١١٨٩.
(7) متون الأهرام، فقرة ١٢٣٨.
(8) متون الأهرام، فقرة ٨٩٢.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ذلك، فصحيحا هو ذلك. وكما أن أوزيريس لم يمت حقاً فإنه هو أيضاً لن
يحيا، وكما أن أوزيريس لم يمحق حقاً، فإنه هو أيضاً لن يمحق»[1]. إنه
سيحيا في هيئة أوزيريس ثانٍ إلى حياة جديدة سعيدة، وسيبنت ابنه كحورس
ثانٍ، وسينتصر على العدو الذي أتلف حياة أبيه، كما انتصر حورس على ست.
وسيحمي ابنه ويصون شرف اسمه.

وأهم من هذا كله أن الميت سوف يصحو ثانية على نحو ما بعث أوزيريس
بعيداً من جديد، لا على شكل شبح خيالي، وإنما في بعث مجسد. ذلك لأن
الآلهة «جمعت»[2] معاً عظام أوزيريس، ثم «ضمّ رأسه إلى عظامه وعظامه إلى
رأسه»[3]. وعلى هذا النحو سوف يجري الأمر مع الإنسان الميت إذا اعتبر
أوزيريس. لا تأس أن تقترب منه لتضمّ عظامه من جديد. «إنها تعظيك، أعظك
أوزيريس لك عظامك، وتجمع لك أعضاءك، وتضع قلبك في جسدك»[4]. إنه
سيتم أخيراً شخصيتك تحد سبيلها إلى جسدك «وروحك المجددة وعبقك

٨٦ ـ نوت تبسط حمايتها على أوزيريس [illegible]

---

[1] نصوص الأهرام، فقرة ٦٦٧.
[2] نصوص الأهرام، فقرة ١٢٣.
[3] نصوص الأهرام، فقرة ٥٦٢.
[4] نصوص الأهرام، فقرة ٨٣٥.

(١) متون الأهرام، فقرة ٥٥٣.
(٢) متون الأهرام، فقرة ٥٥٤.
(٣) متون الأهرام، فقرة ٩٩٥.
(٤) متون الأهرام، فقرة ٩٢٦.
(٥) متون الأهرام، فقرة ٩٥٦.
(٦) متون الأهرام، فقرة ٩٥٦.
(٧) متون الأهرام، فقرة ٩٧٧.
(٨) متون الأهرام، فقرة ٩٧٢.
(٩) متون الأهرام، فقرة ٩٧٤.
(١٠) متون الأهرام، فقرة ٥٧٢.
(١١) متون الأهرام، فقرة ٥٧٥.
(١٢) متون الأهرام، فقرة ٥٧٣.

... يا أوزيريس، «وصولجانك في يدك، لتصدر الأوامر للآلهة ...
... وسوطك في يدك لتصدر الأوامر للذوي الأرواح الحية»[1] ...
... يا أيها الإله - ومن أمامك يقف ثلاثة الآلهة ويقولون: تعالى أيها الإله ...
... يا صاحب عرش أوزيريس! ليرس تحتك، ولتخضع ...
... والمحدثون يسعون إليك راكعين ليقبلوا الأرض عند قدميك[2] ...
... ذا هو قلبك الحزين، منحطماً تلقائه، متحطماً شكل أوزيريس على عرش أبو ...
... إنك تفعل ما وعلمه بين المحدثين والمحلقين. أما إنك فيوم على ...
... شكالك إنه يفعل ما اعتدت أن تفعل من قبل، هو أول الأحياء.
... إنه يوزع الشعير ويوزع القمح ويهدي إليك منهما[3] أن أنت
... ن التحمل بيتك يزدهر من بعدك تصون أبناءك من كل ضير»[4]

هذا هو التحنيط الذي ينتظر الأتقياء الذين يعبدون أوزيريس، حقاً إنه لا بد أن يموتوا هم أيضاً الأرض، ولكنهم «لا يذهبون أمواتاً بل يذهبون أحياء»[5]. وهم لا يحيون بعد الموت حياة الأطياف والأشباح فحسب، وإنما يحيون حياة حقيقية جديدة، يحرزون فيها أجسادهم وأرواحهم: «فلهم قلوبهم، ولهم أرواحهم، ولهم أفراحهم، ولهم أرحلهم، ولهم أذرعهم، ولهم سائر أعضائهم»[6].

ولا يعرف متى بدأت هذه العقيدة تنتشر بهذا الشكل في الشعب المصري، على أنه مهما يكن من أمر فإنها ترجع إلى زمن قديم جداً، وذلك لأن الأوراد

---

(1) متون الأهرام، فقرة ١٣٤.
(2) متون الأهرام، فقرة ٧٥٤، ٧٥٥
(3) متون الأهرام، فقرة ٧٥٩ ـ ٧٦١.
(4) متون الأهرام، فقرة ٧٦٩
(5) متون الأهرام، فقرة ١٣٤
(6) Tomb, ed Nav. 68, 4 - § 1

هذا ولاحظ أن في هذه التعريفات كان لا بد للكلمة الأخيرة، التي تتألف في مصر السفلى، والتي تعني الملك أن تترك مكانها للقب الفراعنة الرسمي. وفي هذا علامة واضحة على حداثة جهد هذا التحريف.

وفي ضوء هذا كذلك لم يكن لاكتشاف حقيقة أوزوريس أثر حاسم على الأدب المصري. فقد ظل هذا الأدب لا يخلو من التعريض بالمعبود المتوفى، وفي هذا المعنى عليه تماماً. والنص التالي يعد مثلاً جيداً لهذا الخلط

«أصبح أوزوريس وقف فوق ست، انهض أيها الابن الأول لجب، يا ذو [illegible] العاصي عاد، ومن أجله تنصب المقاصير ... ومن الملك يحتل [illegible] المحمول.

إنك تحوجه أيضاً في شكلك الجديد هذا، الذي تقمصت [illegible] بأن يكون لك، وإنك لتصعد إلى السموات حيث يكون النجار [illegible] نور [illegible] على ذراعيك، وإنك لتأكل من طعام الآلهة. [illegible] جسمك [illegible] وسط مقل بارد. وإنك بنت السماء المؤهلة إلى الأبد ليفتح لك، [illegible] الآلهة لتهتف (٢) عندما تقترب لتحتم بمصر البحر من تحت جسم نوت هي [illegible] هذا الذي تقمص ٣٠ ذراع. إنك تجلس على هذا العرش الحديدي الذي [illegible] هذوتيس، ولذلك لتكي نفوذ المتجلين وترضي ما لا يرضى[1]. وفي حايط هذا إذ البيت في الحجرة الأول من هذا النص هو أوزوريس، أما في الحجرة الثاني فإنه يشير إلى النجار، نحتم أوزوريس، وفي الحجرة الثالث هو يحتم بجوار ذ، وفي الحجرة الرابع يجلس على العرش ممسكاً على العوش وعلى النجوم.

وكان هذا بداية الاضطراب، فقد زادت فيه، بطريقة مختلفة جداً الاختلاف، القرون التالية، التي يرجع إليها معظم ما يسمى بنصوص التوابيت وكتاب الموتى. وإنه من العجب حقاً أن توهب الحياة السماوية، التي ابتدعت أصلاً للملوك، لأي ميت آخر، على أنه أعجب من هذا أن يصبح كل ميت إلهاً في العالم السفلي[2]. وقد امتزجت بهذه الأفكار وغيرها مما توارثه عن الأمة

---

(١) متون الأهرام، فقرة ٦١٠.

(٢) Litt. 8. 316.

[illegible] من أجله ذلك ورد قديم كان الغرض منه - كما يدل عليه مضمونه وعنوانه - إسعاد روح الميت. إلا أن أصبح يستخدم كذلك للميت دون سواه. [illegible] قد ورد فيه الكلام عرضاً عن أحد المقبورين، فقد ظن المالك أنه لا بد أن يساعد الميت على دخول شكل الصقر»[1].

وفي هذا كله يدل كتاب الموتى على طابع شعبي أقوى مما تدل عليه متون الأهرام. ولهذا نرى فيه كذلك تصورات قديمة جداً تكاد تختفي في متون الهرم، ذلك لأنها لم تكن تتفق مع الوجود السماوي الذي كان السادة المقبورون يحلمون لأنفسهم. فالميت، أو على الأصح روحه تود أن «تستحيل إلى كل ما تهوى النفس»[2] إلى الحملاء، وإلى مالك الحزين (بلشون)، وعصفور الحنة، والصقر، والدودة، والتمساح، وزهرة البشنين (اللوطس)[3]، وحتى إلى أي شكل تختاره بنفسه[4]. ويجب أن تتحد الروح مع الجسد من جديد[5]، وأن تجد باب الحفرة مفتوحاً[6]. وما من شيء ينبغي أن يردها عن سبيلها لكي تستطيع الخروج بالنهار، في أي شكل يعجبها[7]. وهذه الأمنية الأخيرة بالذات - وهي إقامة الميت بعض الوقت على الأرض بالنهار عندما تضيء الشمس - هي الأمنية التي تلعب دوراً كبيراً في كتاب الموتى، حتى لقد أطلق فيما بعد على كتاب الموتى بأكمله «كتاب الخروج بالنهار».

وفي بعض الأحيان نعتقد الأرواح التي تترك القبر على هذا النحو، إلى

---

(١) انظر الفصل الوارد في Lacau, Recueil 27, 56 - 58.

(٢) Totb. ed. Nav. 64.

(٣) نفس المرجع ص ٧٧ - ٩٨.

(٤) نفس المرجع ص ٨٢.

(٥) نفس المرجع ص ٩١.

(٦) نفس المرجع ص ٩٢.

(٧) نفس المرجع ص ١٨، ٦٤.

حياة من خلفتهم وراءها من الأحياء. وبهذا يمكن للمتوفى أن يكون
[illegible] ولهذا فمن الممكن
[illegible] ومن الجائز أن
[illegible] ومن الجائز أن
[illegible] وذلك لأن النهار هو أسوأ وقت
[illegible] عندما يشاهدون الشمس فتفتح قلوبهم بالفرح حين يرونها،
[illegible] عندما يتكون من فوقهم إنها تمنح أنوفهم الهواء، ويفرحون إذ
[illegible] ويحبونها في العالم السفلي الذي لا تهب فيه أية ريح - وذلك على
[illegible] في الليل حين تسكن الرياح.

[illegible] أن أهم من هذا كله هي فكرة تصوير الميت، وهي فكرة حديثة
[illegible] فيما مضى أن ست قاضي أوزيريس المتوفى. وأن الآلهة
[illegible] هليوبوليس لمحاكمته، غير أنها «أخفت كلامه» أي أنها وجدته
[illegible] (صفحة ١١٩). ويبدو من كتاب الموتى أن مثل هذه المحكمة قد
[illegible] أبو صير وبوتو وأبيدوس وهيراكليوبوليس وفي معبد سكر في
[illegible] وكان تحوت في كل منها هو الذي «يرى» وقد
[illegible] إلى أن أصبح يرجى أن يعزز تحوت الميت كذلك بجسمه
[illegible] وكما أن أوزيريس قد وجد محققاً، فقد وجب لهذا أن يثبت
[illegible] الميت في مملكة الموتى طاهر مبرأ من كل إثم - وإلا فكيف يمكن
[illegible] في مملكة ذلك الإله الذي كان يدين بسلطته لبراءته من الخطايا؟ وهي
[illegible] مظهر خلقي وجد سبيله من أسطورة أوزيريس إلى العقائد المصرية. وعند
[illegible] الوقت لم يعد الرجل القوي والشريف هو الذي ينتصر في الموت، وإنما
هو الرجل البريء من كل ذنب.

---

(١) Totb. 15 B II.

على أن المشتغل قد أفسد هذه الأفكار البسيطة الجميلة، وهو ما نراه في الصورة والتمثال المقابل لمشتمل بالفصل ١٩٥ من كتاب الموتى. ففي الصورة نرى ١٣ شيخاً خلف سلطة يلهب الثيران وملاءات الحقل، وفيه مخصوصة يجلس فيها أوزيريس على عرشه، ومن أمامه رمز أوزيريس وأتل الموتى، وهو جبل حراثي، المساح من أمامه، وأسد من وسطه، وخروف جر من

---

(١) Mar. Mast. D. 19.

(٢) Urk. I 202.

(٣) Litt. 8. 112.

. Totb. ed. Nav. 125; Vignette in Ag (1)

العزاء العظيم هذا فيه قلب الميت. وتستقبل إلهة الحق الميت وهو يقف
أمامها. ومن ثم يأخذ حورس وأنوبيس قلبه، ويتحققان بالميزان إن كان الميت
على علامة الحق. ويسجل تحوت كاتب الآلهة النتيجة على لوحة. ثم يحضر
أنوبيس والشعب من هذه الصورة، ما ينطق به الميت عندما ويصل إلى
الحقيقتين هناك، وحينما يبرأ من كل سوء اقترفه، وحينما ينظر إلى وجه الإله
به يسجد الإله له ذاك على هذا النحو: لك الحمد أيها الإله العظيم، يا
الحقيقتين. لقد أتيت إليك سيدي لأشاهد جمالك، إني أعرفك وأعرف اسم
آلهة الإثنين والأربعين الذين معك في بهو الحقيقتين، والذين يعيشون حو
المسيئين ويشربون دمهم يوم الحساب أمام وننفري.

هاأنذا أحيى إليك، أجلب الحقيقة وأطرد الإثم.

إني لم أقترف إثماً ضد البشر... ولم أفعل شيئاً تمقته الآلهة. ولم أسئ
بأحد عند رئيسه، ولم أجوّع أحداً، ولم أدع أحداً يبكي. ولم أقتل، ولم آمر
أي القتل. ولم أسبب لأحد الماً. ولم أقلل في المعابد القرابين، ولم أنقص عبر
الآلهة. ولم أسلب قرابين الممجدين، ولم أفسق في المكان الطاهر لإله مدينتي.
ولم أطفف مكيال الحب، ولم أنقص مقياس الذراع، ولم أزيف في مقياس
الحقل. ولم أثقل في مثاقيل الميزان، ولم أوزر في لسان الميزان. ولم أسلب
اللبن من فم الطفل. ولم أسرق الماشية من مرعاها، ولم أصطد طيور الآلهة.
ولم أصطد الأسماك من بحيراتهم، ولم أمنع ماء (الفيضان) في وقته. ولم أسد
على الماء الجاري... ولم أضرّ ما للمعابد من قربان، ولم أعترض الإله في
شيء من إرادته. وبلى هذا اقتراف ثانٍ من نوع مماثل يدعي فيه لكل إثم يأتيه
خاص - وما من شك في أنه كان في الأصل مستقلاً بذاته ثم ألحق هنا فيما بعد.
وبهذا أصبح الميت يقرّر براءته مرتين: أيا صاحب الحظوة العديدة في
هليوبولس! إني لم أقترف ذنباً. يا حاضن اللهب في خر - احاو! إني لم أنهب.
أيها الأنف في هرموبوليس، إني لم أغش. يا آكل الظلال في كروت! إني لم
أسرق. يا صاحب الوجه المستدير في روستاو! إني لم أقتل البشر. أيتها اللبوءة

نجوني واحموني، إنكم لن تتهجموني أمام الإله العظيم. إني رجل فقير وابن طاهرتين، يقول له من يراه «مرحباً مرحباً».

ومما يذكره المؤلف كذلك لتبرئته أنه «سمع تلك العبارة، التي تقول الحمار مع القطة». والغرض من هذا وغيره إنما هو التدليل على أن الحيوان عامة ومختصاً لأوزيريس؛ اشترك في أعباده وتمثيلياته[1].

والمحاكم ستقرر في هذه القائمة للذنوب التي لم ترتكب، لا يمكن أن يلاحظ أنه كان من الصعب على مؤلفيها أن يجدوا اثنين وأربعين إثماً لهم حتى تعادل الاثنين والأربعين الذين حددت عددهم مقاطعات مصر الاثنان والأربعون. ولهذا فكثيراً ما تتكرر هذه الآثام في صيغ مختلفة، أو تبدو في صيغ عامة. والناحية الخلقية التي تنطق بها هذه الاعترافات بسيطة جداً على نحو ما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ولا يدخل الموتى الذين يختفون في هذا الامتحان في مملكة أوزيريس، وفي هذا حد الكفاية من البؤس والشقاء، لأنهم يظلون في مقابرهم يحسبهم الجوع والعطش، ولا يشاهدون الشمس بنهار أو بليل. وكما أن الغالب يتلف في محاكم الدنيا عقوبة خاصة، لهذا تخيل المصريون - وإن يكن في زمن متأخر على وجه التحقيق - بعض العقوبات للميت الذي لم يبرّر. فالقضاة تحمل سيوفاً لمعاقبة المذنب، وكذلك تدل أسماؤهم على عقوبات مروّعة. والحيوان الوحش لديهم أوزيريس «يلتهم الميت» ويحرقه، وهو كائن مخيف بصفة خاصة للمصري القديم[2]، لا نعلم عنه حتى هذا شيئاً. وفيما عدا هذا لا نعرف شيئاً كثيراً - إذا لم يكن ذلك موضوعاً يحيل إلى استقصاء خيال الشعب.

ولا نعرف كذلك شيئاً كثيراً واضحاً من كتاب الموتى عن مصير الميت

---

(1) من المخطوطات الذي يحتوي أوزاده على هذه الصيغة الرابع في البطليموس الكبير الذي يحتوي على الكتاب «الذي في حيا إنسان» (وهذا النص حيوانها المقدس) عدا ما ذكر المخطوط ذلك في الصفحة القديمة بتوجيه مختصر» و «نظام اسم يتابع ٥ - ٦» وذلك الأسباب لا يدريها.

(2) يصور يوون والأوزيرية، وهو وابل ميت أو هو ميت نفسه - Plutarch, De Iside, 49

وب له مغفرة أمام الإله العظيم. وإنه ليعرف ذلك الإله العظيم ... وهو
... حقل بارو ... وهو يُعطي الفطائر والخبز، وحقلاً طول الشعير والقمح
... إلى «أذرع» يحصدهما له أتباع حورس (أطر الفصل السادس حيث أطلق
... المحدودون الأوائل)، وهو يأكل من هذا الشعير وهذا القمح[11] وهو
... ويدخل ويخرج في العالم السفلي، ويسكن حقل بارو، ويقيم وقتاً في
... ذلك المكان الفسيح، ذو الرياح الكثيرة، حيث هو هناك فوق
... وحيث يحرث ويحصد، ويشرب ويحب، ويفعل سائر ما كان يفعل على
الأرض[12].

وما تصوره المصريون في أزهى تصوراتهم عن مصير المؤمن الأبرار، يكشف لنا عنه الدعوات في مقابر أشراف الأسرة الثامنة عشرة. إذ يجتمع في هذه الدعوات سائر ما يرجى المتبت: فرئيس الشئون يختمين يرجو لنفسه «مجداً في السماء، وقوة في الأرض، وتبريزاً في العالم السفلي[13]». ويرجو لأخيه «دخولاً وخروجاً في نورك - وأن أتزود في ظله - وأن أشرب الماء في كل يوم من يده - وأن تنعم نفسي - وأن يستخني الليل الغذاء والطعام وسائر النباتات الطازجة التي [illegible] وأن أعدو وأروح على شاطئي بركتي كل يوم بلا انقطاع - وأن تحوم روحي على أغصان الأشجار التي زرعتها - وأن أتبرّد تحت شجرات الجميز التي لي - وأن أقتات الثمر الذي تنتجه - وأن يكون لي فم أتكلم به لأتباع حورس - وأن أصعد إلى السماء وأهبط إلى الأرض، لا يعترضني عائق في الطريق - وألا يمنع أحد عني المكان الذي لي - وألا تحبس روحي - وأن أكون في وسط أهل البيت الموقرين - وأن أحرث مزرعتي في حقل بارو - وأن أعدو إلى حقل الحصاد - وأن يجري الناس إليّ بالقدور والخبز - وسائر أطعمة سيد الأبدية - وأن أتغذى على ما تغذى من اللحم، الذي على مائدة الإله العظيم».

---

(11) Text ed. Nav. II ...

(12) نفس المرجع ص ١١٠ المقدمة.

(13) Lanzone CCLXXIII ...

[illegible] الكاتب: فهيم يقصدون له ما يأتي [illegible]
[illegible] الآلهة: [illegible] إنك تعلم [illegible]
[illegible] إنك تتخذ شكل العظاء [illegible]
[illegible] إنك تعبر في القارب [illegible]
[illegible] إنك تبحر على النهر إذا كانت هناك مياه. إنك تصعد من [illegible]
[illegible] إنك وجهك مقدسة مع المجدفين والأرواح [illegible]
[illegible] إنك وجهك [illegible] (مع ذلك) لتتلقى ما يقدم على الأرض [illegible]
[illegible] وإنك لتسمع ما يقال، وإن فمك ليتكلم، وإنك لتحافي في مناثر أعضائك [illegible]
[illegible] إنك لتصعد إلى السماء وتنزل [illegible]
[illegible] وإنك لتتلقى الأطعمة التي تقدم [illegible]
وصدقات سيد الجبانة».

«وأنهم ليرجون له فضلاً عن ذلك: «إنك تأكل الخبز بجانب الإله العظيم لسيد التاسوع». إنك تروح وتغدو هناك وتصاحب أبناء حورس. إنك تصعد وتهبط دون أن يمنعك أحد. إن أحداً لا يردك عن باب الدواتي. إن مصراعي باب الأفق لينفتحان لك، والمزاليج تنفتح لك من تلقاء نفسها لما تدخل بهو الحقيقتين، فيحييك الإله الذي فيه. إنك تستقر في مملكة الخلود وتجول في «مدينة الليل». إنك تفرح عندما تحرث نصيبك من حقل يارو. إنك تحتاج إليه ليوفره لك عملك، ويأتيك حصادك قمحاً. إنك تخرج كل صباح وتعود كل مساء، ويوقد لك مصباح بالليل حتى تتألق الشمس (ثانية) على جسدك. إنه يقال لك «مرحباً» في بيتك هذا، بيت الأحياء. إنك تشاهد زرع في فن السماء، وترى أمون عندما يشرق. إنك تصحو صحواً جميلاً بالنهار وقد انقى عنك كل سوء. إنك تحرب الأبدية في ابتهاج، ويبني عليك الإله الذي قبلك (أي ضميرك)[1]. إن لك قلبك بجانبك وإنه لا يتركك، إن طعامك حيث ينبغي أن يكون».

---

(١) انظر الفصل الحادي عشر ص ١٧٧.

وليس من اليسير كذلك على من يقرأ هذه التعويذات بعناية أن يصل إلى صورة واضحة عن حياة الموتى. وكل ما يمكن أن يستبين منها على وجه التقريب هو أن الميت يحضى في القبر أو في العالم السفلي، وأنه يستحم في الصباح ثم يخرج قمره حينما يرى الشمس مشرقة؛ وأنه يجثم على الشجر في شكل طائر، أو يتمتع في أيدوس بالحديث مع الموتى القدامى؛ وأنه يقيم (على نباته الموت من قبل) في السماء حيث يصل بالزورق إلى حقل يارو، وأنه يزرع أرضه هناك، وأن أوزيريس يطعمه كذلك، وأنه في هذا كله يشعر من جديد بأنه إنسان حي ذو روح نفس وجسد بشر. فإذا أريد استقصاء التفاصيل دون ذلك لتعذر من فيروب شتى. فنصوص نختمين تتصور محكمة الموتى أو بعبارة أخرى مقر بعد الحنطيتين في السماء. وكل ما يبغي استيضاح الصلة التي بين الجسم والروح وبك - وإن كثيراً من النصوص فوق هذا لتذكر كذلك «ظل» الإنسان - فإنه يقع في حيرة حيال النصوص المتأخرة أشد مما يجد بإزاء النصوص القديمة، وله أن يعجب كيف تحمل شعب ذكيّ هذا الخلط قرناً بعد قرن.

على أن الأمر هنا ينعلق بما وراء الحس. وما يجوز لشعب أن يأخذ هذه

---

(١) Urk. IV 149, 15.

(٢) Urk. 497, 7.

(٣) انظر كذلك: Urk. IV, 150,3 Harris I 42, 1.

والعقل والعلم ولا يكاد يدرك المعنى الأصلي لهذه التعبيرات.

ويشترك بعض المصريين في العصر التاريخي حتى استخدام التعبيرات الغامضة عما وراء الحس وعما لا يدرك دون أن يعبأوا بمعناها الدقيق. ولو أنه تيسر لنا في أوقات الحضر سؤال أحد المصريين عن هذه المتناقضات الواضحة. لأجابنا من غير شك بأن هذا لا يكاد يدل على تناقض ما، وقد يجيب كذلك: بأن من الخير ألا ينظر إلى هذه الأشياء المقدسة التي لا تقبل البحث بدقة زائدة. وذلك لأن الإنسان يخفق في هذا الغموض والإبهام سحراً خاصاً لهذه المسائل. ولا يحظر إلا للأموات مختصر متعمق عمل تصميم للعالم الثاني في زهو وخيلاء. وحتى هذه العرحلة لم ينج الشعب المصري منها، وتدل على ذلك الكتب الغريبة التي تبين للميت طريقه، وتعرفه بسائر الكائنات التي يمكن أن يقابلها في العالم السفلي.

وفيما يختص خرائط العالم الثاني[1] أن من يدخل مملكة الموتى معرضون في الشكل المقدس يوستاو بالقرب من الحيزة (انظر صفحة ٤٨) فوق بعد أمامنا سبيلين مفتوحين يؤديان به إلى مملكة الأبرار، أحدهما عن طريق البحار والآخر عن طريق الأرض. وكلاهما يتعرجان، غير أنك لا تستطيع أن تذهب من أحدهما إلى الآخر، لأن بينهما بحراً من النار. وهناك كذلك طريق جانبية يزيد أنك لا تستطيع أن تسلكها، لأنها تؤدي بك إلى النار أو هي طرق فرعية بطيئة. وقارئ السير في أحد هذين السبيلين يجب أن يحضر الميت معه، ليساعده في النار. وتوجد كثيرا الأبواب التي تعترض الميت هذا ذلك في نهاية

---

(١) «كتاب السبيلين» نشره جراف شاك من تابوت من مجموعة الآثار في برلين.

لعونى ... نفخ حقل يارو خمسة عشر باباً أو واحد وعشرون باباً. يقوم الم
حوله حراس أشرار في أيديهم النصال تحلوها الثعابين.

وقد تطور هذا الأدب بطريقة خاصة إلى كتابين حافلين، الحق فيهما مسيل
لعيت بالرحلة التي تقوم بها الشمس في ساعات الليل الإثني عشرة عبر العالم
لسفلي، وفي هذا تتجلى الفكرة القديمة التي تذهب إلى أن الموتى المستحقين
يرون تلك الضوء في مقرّهم المظلم، ولكن ما أشدّ تفحة ما صارت إليه هذه
الفكرة الجميلة.

وينقسم العالم السفلي - وفقاً لما جاء في «كتاب العالم السفلي» الذي
يسمى عادة إمدوات - إلى اثني عشر قسماً بما يوافق ساعات الليل الإثني عشرة.
ونسمى هذه الأقسام «الحقول» أو «المغاور». وهي آهلة بالآلهة والأرواح
لمعونى، وفي كل منها عادة مدينة يتولى السيادة فيها أحد الآلهة. وكما أن
رعون يجوب مقاطعات بلاده، كذلك ينتقل إله الشمس من إحدى المغاور إلى
لأخرى، «يلقي أوامره إلى الآلهة التي توجد فيها»، ويوزّع الحقول بينها.
ويتألف حاشية رع من آلهة شتى، كما تصاحبه كذلك في كل ساعة الإلهة الخاصة
بها. على أنه في حقيقة الأمر ليس في هذه الرحلة إلا جثة أو محنّط «حي» كما
يقول ذلك الكتاب؛ ويتجلى مظهر هذه الحالة النعسة في أنه يحمل إذ ذاك رأس
كبش.

وفي الساعة الأولى يلج إله الشمس «في الأرض» في الباب العظيم للأفق
لغربي، ويبلغ طول الرحلة ١٢٠ مسخناً، حتى يصل إلى «لجة العالم السفلي».
وتسمى الساعة الثانية «أوزنس»، وهي حقل يبلغ طوله ٤٨٠ مسخناً وعرضه
١٢٠ مسخناً. ويستخدم الإله منذ هذه الساعة سفينة جديدة، تقودها في مقدمة الأمر
أربعة روازق نوبية، وحقل الساعة الثالثة ذو مساحة مماثلة، ويفصل بينه وبين
مع حاشيته. وتتقدمه هنا كذلك طائفة من الملوك كما أنه يستقبل استقبالاً مبجلاً

---

(١) Totenb. 144 - 146.

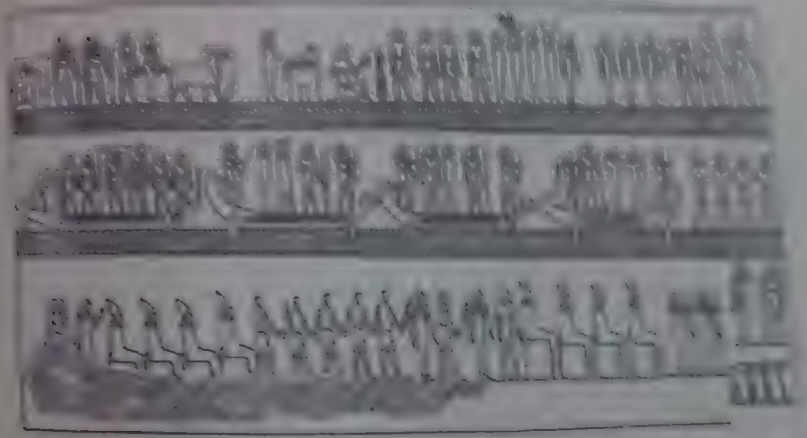

الشكل ٤ - الساعة الثالثة من منطقة الليل حسب كتاب «المقبرة» المعروف بـ «الأول»

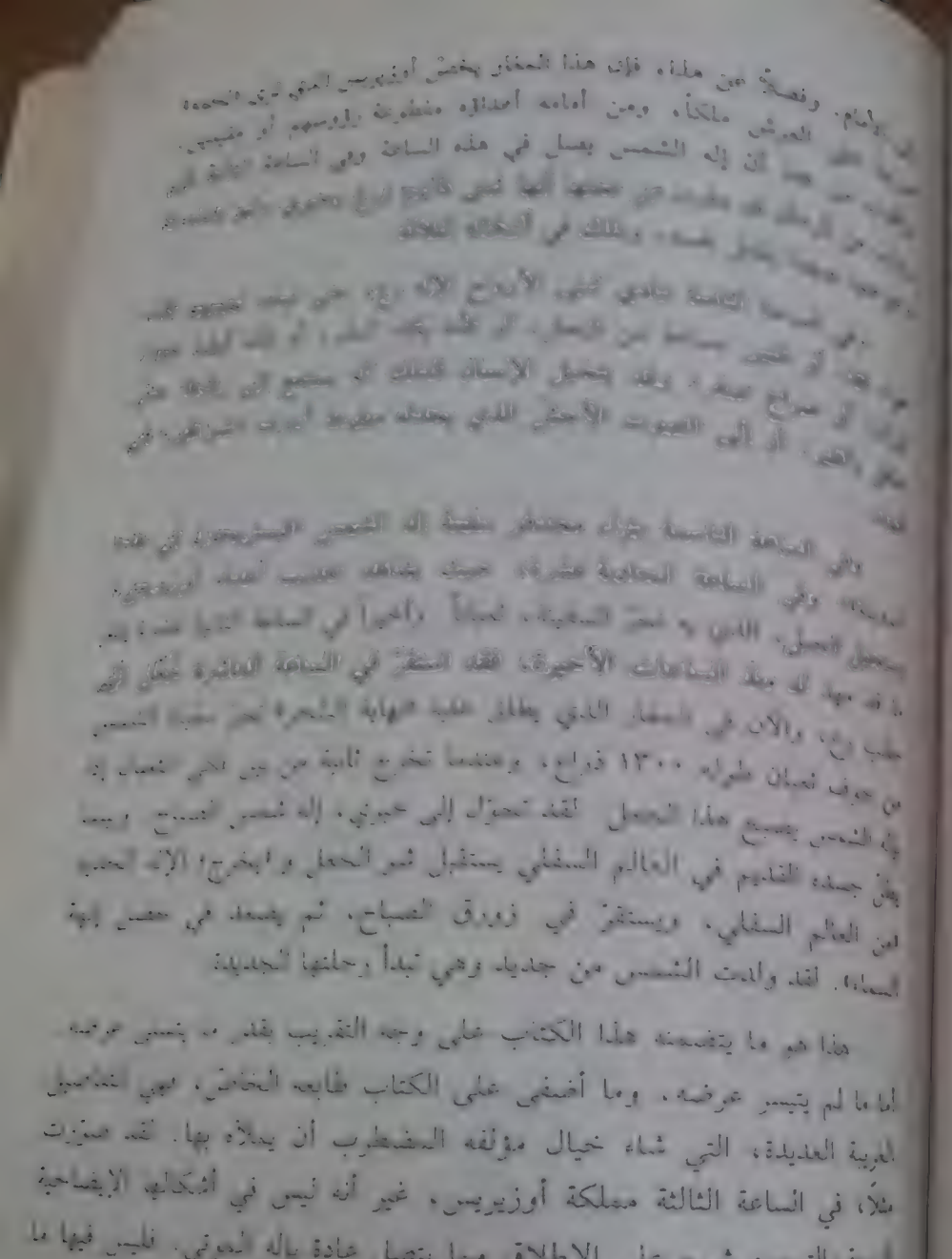

العالم السفلي»، حيث وجد مصوراً على جدرانها الأربعة.

وقد حفظ لنا كذلك كتاب آخر ينافسه نسميه كتاب الأبواب، وذلك لأنه يرى ما جاء فيه تقوم بين الساعات بعضها وبعض مصون عالية تحرسها الحوائص وشابين التي تنفث النار. وهو أكثر رعاية للتصورات الشائعة من كتاب بسوت، كما أنه أقل منه احتفالاً بالأغراض السحرية؛ على أنه فيما عدا هذا قريب الشبه جداً به في خطته وطريقة عرضه.

وهناك ناحية لها أهميتها الخاصة بالنسبة لنا في هذا الأدب كله، وهي أنه ندي عليه هو أيضاً فترة من الزمن كان فيها موضع التقدير وغاية تطلب.

(1) Pap. Turin 124, 13.

(2) Gardiner and Sethe: Letters to the dead. London 1928.

السبب في شقائه، وإن لم يكن لها أن تعلم مستقبلها ومصيرها
[illegible]

[illegible]

[illegible] ما يزال في الخلف، فإن في الرسالة الثانية من قلم جميلة أدلى بخبر
[illegible] ذلك حوالي سنة ١٣٠٠ ق. م تقريباً، حين كان يحكم في مصر
[illegible] كبيراً. وكان عمل يقتضيه التغيب عن بيته فترات طويلة. ولم
[illegible] مرات زوجته صبيح - لندرك، وعلى الرغم مما كان بين
[illegible] قد ماتت قبل عودته. فتقبل ذلك على نفسه كثيراً فلاحة البؤس
[illegible] أدرك آخر الأمر أنه لا بد من أن تكون زوجته نفسها هي التي تختار
[illegible] استحداثه زوجة. فكتب إليها رسالة بعثها في تمثال خشبي للفتاة
[illegible] في زوجته ليتقرر فيها رسولاً. وحمل الرسالة وحمل بالتمثال حتى
[illegible] فيها: «إلى الزوج الفاضلة صبح - لندرك. أي مساء
[illegible] حتى أقع في هذه الحالة السيئة التي أنا فيها؟ ما الذي أعمله حتى
[illegible] علي؟ مع أني حقاً لا أعترف ذنباً فيشك؟ منذ أن كنت زوجتي
[illegible] ما الذي فعلته فيشك حتى اضطرني إلى إخفائك؟ - إني لأعرض الأمر الآن
[illegible] من قبل أمام آلهة الغرب، وسيفصل بينك وبين هذا الكتاب

[illegible] زوجة عندما كنت صبياً، وقد كنت معك. ثم تقلدت جميع
[illegible] فبقيت معك، ولم أهجرك، ولم أضجر قلبك.

[illegible] أحلتك وأنا صبي، وتقلدت جميع الوظائف العظيمة لوزير، ومع
[illegible] أهجرك، فقد قلت: لقد كانت دائماً معي[1] . . . هذا إن لم تأتي فاجعي

---

[1] كانت الزوجة على ما يبدو من أصل أقل شأناً، وكان من المتوقع أن يتخذها زوجة غير
[illegible] حتماً فيما بعد

الفصل الخامس عشر

الكتابة والعلوم

[illegible]

٨٩ - تيه من أقدم الأزمنة (من صورة فوتوغرافية من عمل ج. وتزنو)

٩٠ ـ تمثال امرأة من أحد قبور ما قبل التاريخ
(برلين ١٢٧٦٧)

وفي وقت مبكر كذلك، تطرق الشك في أن ما يوضع إلى جانب الميت من طعام كان يكفيه على الدوام؛ لذلك ذهب المتخلفون الأحياء إلى أن من واجبهم تلك العناية بطعام الميت بعد دفنه. ولم يكن الغرض من هذا بطبيعة الحال إطعامه كل يوم، وإنما كان ينبغي أن يحصل الميت المسكين على بعض الطعام على الأقل في أيام الأعياد التي جرى الناس فيها على أن يأكلوا في بيوتهم ويشربوا أحسن الشراب. لهذا كان يبسط أمام المقبرة حصير،

(١) رقعة قربان من «دير البرشا» الجنائزية، من أسفل الحصيرة الأصلية وتحتها الجثة المحنطة ومن فوق ذلك القماش الرقطاء وأحزمة الجلد وبقية الملابس الكتانية (متحف مصر رقم ٢٢٧٣).

وكان المصريون يسمون مثل هذا القربان الجنائزي - أو بالحري الحفل الذي يقام بمناسبة نسخ - «الخروج على الصوت»، وذلك لأن صوت الإنسان الحق هو الذي يستدعي الميت من القبر. وكان القيام بها من واجب الأبناء البررة[1]، فإن الابن

---

(١) مما يدل على أن قربان الميت في الزمن القديم كان على هذا النحو علامة (هيروغليفية) كانت تستخدم للتعبير عن ذلك؛ انظر أيضاً الشكل ٩١.

(٢) متون الأهرام ٢١٧.

(٣) إن الفكرة التي تذهب إلى أن القربان كان يقدم للصوتي عن حقوق وهمية في ممتلكاتهم، ليست فكرة مصرية بأية حال. ولا يعرف المصريون أيضاً ما ينسب إليهم عادة من تقديس الصوتي كآلهة؛ أما ما وجد فيما بعد من دوافع لمثل هذا التقديس، فقد نشأ من تصور

وكانت المقابر المحفورة والمعابد الواقعة في الصخرة أول الأمر على نمط المقبرة بقاعة الكبيرة في مصر العليا، التي دفن فيها أحد ملوك العهد المتوسط. هي عبارة عن مستطيل من أسس ذو جدران قوية مائلة إلى الداخل. تتخللها مشكوات متسعة تعلو على البناء شكل القصر؛ وكان السقف من جذوع النخل. وكانت تشتمل على غرفة كبيرة للجثة في الوسط، وعلى أربع غرف أخرى. كانت تحتوي على كميات كبيرة من الأطعمة، وقدور النبيذ، والجعة. وأوانٍ من بلح، وأوانٍ فاخرة من الأحجار، وما عدا ذلك من سائر الأثاث المنزلي الذي يحتاج إليه الملك بعد الموت. وفي أبيدوس بنى ملوك هذا العهد الباكر

= الميت على شكل أوزيريس جديد، ولم يكن لهذا معنى العقيدة.

(١) متون الأهرام ٧٦١.

(٢) لعله مينا المشهور. عما يلي انظر Ac. Z.، مجلد ٣٦، صفحة ٨٧.

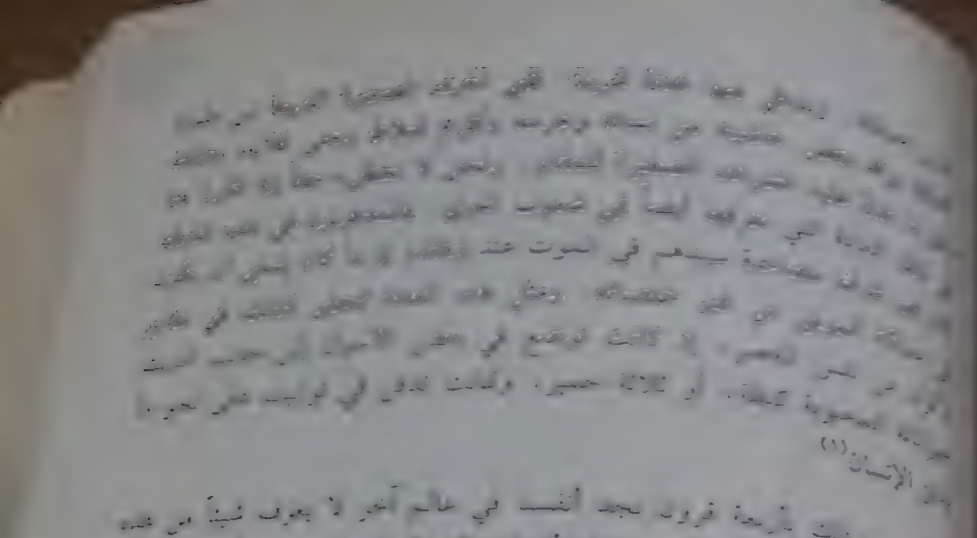

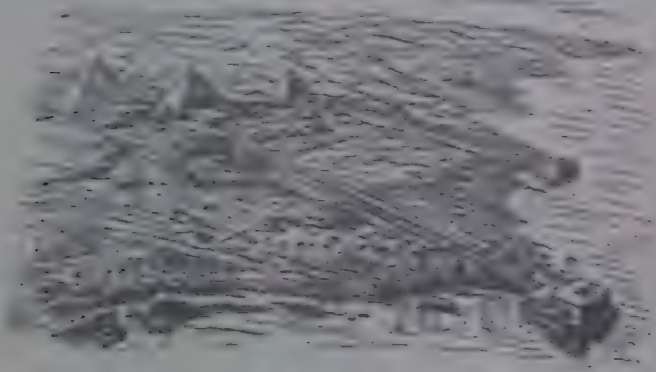

وفي جهة أخرى ملوك الأسرة الخامسة ظهر كذلك شيء آخر فيه فائدة علمية
[illegible] المعبد الجنازية كثيراً. وذلك لأن جدران غرفة الدفن
[illegible] في هرم هذا الملك وأهرام خلفائه من الملوك تغطيها كتابات لا تشبه
[illegible] الأهرام. وهي عبارة عن أوراد قديمة جداً نستقي من معين
[illegible] عبارة للمصريين. ولقد سجل في واقع الأمر
للملك المتوفى هنا كل ما أمكن أن يساعد على سعادته في الحياة الثانية.

وكان بناء الهرم يعتبر في الدولة القديمة أعظم عمل في حياة الملك، [illegible] على ذلك ما كانت تجري به العادة إذ ذاك من تسمية مقر إقامة الملك [illegible] وكان اسم كل هرم يتضمن الإشادة به باعتباره أثراً فخماً خالداً. [illegible] الهرم الأكبر في السرة يسمى «الأفق». والهرم الثاني «العظيم»، وهناك هرم آخر كان يحمل اسم «الأوساكاف المقاعد الطاهرة».

[illegible] حول هرم الملك قبر بعض الوزراء الذين أحاطوا به في الحياة، وهم الأمراء والأميرات وسائر عظماء بلاطه.

وكان الدفن حول هرم الملك يعتبر منة خاصة من الملك، وسنرى فيما [illegible] كيف كان الملك يساعد أصفياءه في إقامة مثل هذه المقابر.

٩٤ ـ مصاطب (عن برو ـ شبيي)

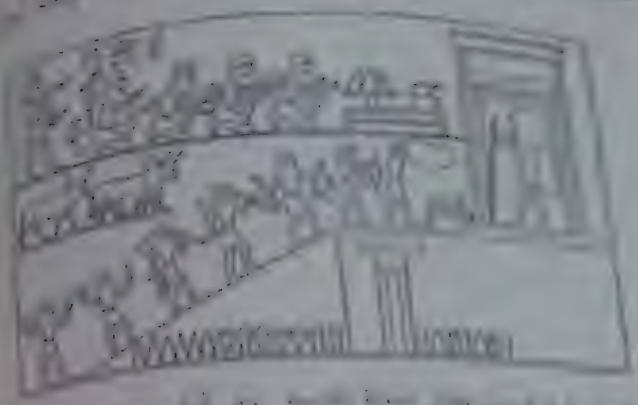

لوحة تصور الملك إخناتون وزوجته نفرتيتي وهما يقدمان القرابين لآتون

وكانت تحت كل مسلة حفرة عمودية عميقة (نسميها البئر)، ثم تمر في نهايتها غرفة صغيرة جانبية، كانت توضع فيها الجثة. ومن فوق البئر تسد فتحة مستطيلة من كتل الأحجار، تلتصق جوانبها بجلدران حتى تحجز المنصوت، وبذلك كانت المصطبة تبدو كأنها بناء مشيد له جدران مائلة بارزة في الجزء البئر حتى وقع سطح المسطبة. إذ كان يجب إنزال الجثة من فوق[1] فلما تم هذا سد المدخل إلى غرفة الميت وملئت البئر حتى أعلاه بالأحجار ونقارة الأحجار.

وإذا تعمق المصريون أن مملكة الموتى كانت تقع في الغرب، لأن الدخول إليها كان من جهة الغرب، فهم لهذا كانوا يتجهون أيضاً إلى هذه الناحية

---

(1) هذه الطريقة في سقف المسطبة، حيث كان يتم أيضاً الاستقبال المعروف، الذي سنعرف طريق مداخله، يزال فيما بعد. انظر Schaefer, Ae. المجلد ٤١، صفحة ٦٥.

كانوا يأتون من أجل الميت. فكانت المقابر تحمي

بما يسمى بالباب الوهمي، وهو صورة تغطية للباب. وهو يمثل
المدخل إلى داخل القبر، والباب الذي يخرج منه الميت

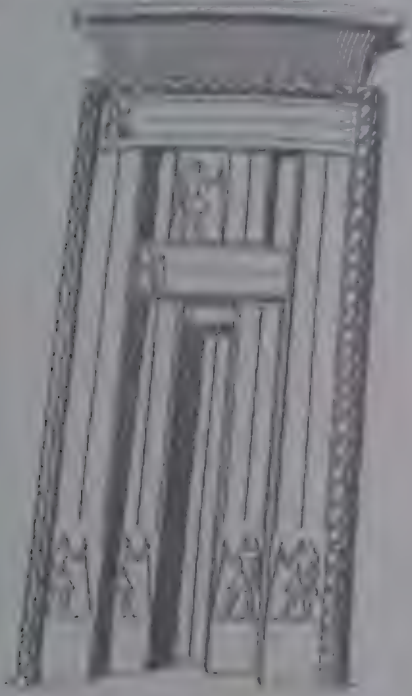

١١ ـ باب وهمي حفرت من جبل الكبارة (رابع ق.م).

---

٢) في العصر الأقدم حيثما كان ذلك ممكناً ما يخصص المتوفى للحفاظ في نفس المكان من الجبل بحيطه فناء.

والطبول، فيما عدا فيها الصناع، والملاحون، والموسيقيون
والضحايا من الحيوان، وعناصر الثياب، وسائر ما عدا ذلك كما كان يفعل
فئة الطبقة الممتازة من المصريين[1]. حقاً إن لمعظم هذه الصور
والكتابات، والتماثيل، والطيور، والحيوان، والسمك، التي لم يتم
الإشارة من قبل، والتي يمكن تفسيرها بما يلزمه من الثبات
والموسيقى والرقص الشرقي في الحفلات
على أن من يدقق النظر لا يلبث أن يلاحظ أن هذه
الصور قد تغيرت مع الزمان تغيراً كبيراً. فإذا ما قارنا بين صور
الملاحين وهم يمشون، إذا كان المصريون قد تعلموا حقاً يجلسون
في الحفلات؟ ولم يكن من الضروري كذلك أن يحتفظ فيه بجميع العناصر
التي يحتوي عليها الجيران، أو ما يعنيه حملة النعوش، أو أسماء الشخصيات المجنحة
في هذه كلها تدرك أن هناك محاولة واضحة لإخراج الحفل
على وجه كان في تحليل ذلك شيء من الثبات. وإنه لمن غير
المحتمل أن يكون هذا التغيير قد حدث بغير سبب يوجبه. لهذا يتضح أن
في ذلك الوقت عادة إحياء أعياد المتوفى بالحفلات الجميلة بما يناسب
المقابر الكبيرة ذات الزخارف الزاهية أكثر مما يناسب الغرف الضيقة ذات الجدران
الملونة.

وفيما عدا ذلك كانت أصبح كل شيء يتصل بإطعام الميت في الحياة
الدنيا أشد أناقة، وأحفل بأطايب الطعام من قرن إلى قرن. فقد كان
المصريون منذ وقت مبكر أن يغالوا على الطريقة الشرقية فيما كانوا يقدمون للميت
في عقباه، إذ كانوا يختزنون له ألف رغيف، وألف قدر من جعة، وألف ثور
وألف بوزة، وألفاً من كل شيء طيب طاهر، على أن هذا لم يكن غير المتبع لا

---

[1] قد سمح لذلك في بعض حالات معينة للمقابر الذين عملوا في المقبرة أن يضعوا
أنفسهم في صورها. ومن أمثلة ذلك أن رئيس المقابرين «باتج» يتبع في الذي يعلو
المقبرة الجميلة في مقبرة «باتج - حتب» مثل نفسه وهو جالس في قارب يقدم للطعام.
انظر Ac. Z مجلد ٣١ ص ٩٧، ٩٩.

الكبيرة كان هؤلاء الكهنة الجنازيون يتلقون جملة من مرتب
[illegible] الخاصة. ومما تتميز به هذه القوانين، أن قد وضعي فيها أيضا
[illegible] من الفرد الكهنة الجنازيين. وعندما عاد الملك أيضا إلى
[illegible] أيضا. [illegible] هذه الأحكام [illegible] ولا نعلم إذا كان
[illegible] أيضا [illegible]

[illegible] ذلك في المدونة القديمة، أن هذه الأحكام التي استخلصها المشرعون
[illegible] قد اشتهرت بين الطبقات المثقفة، فهذه نجد في رسائل لم يكن لا أدباء
[illegible] قد ترك لنا نموذجا[1] لحصص عليه مختلف الأشخاص الذين اختلفوا بعضهم
[illegible] فإنه يجدر بنا أن نستنتج حالة مركزة العالي من رواية كتبه هذا النوع، فقد
[illegible] يكن يستطيع أن يستغني في الحصول على هؤلاء الأشخاص، [illegible] ذلك أيضا
[illegible] أن يكون قد ساعده في ذلك على نحو ما كان يعمل كثيراً في مدن الريف
[illegible]

[illegible] أن هذا التدخل من قبل الملك إلى تصدرات قريباً، لا يتطلق به
[illegible] فيها هنا هذه الطبقة العليا من المصريين، التي كانت في كثير من
[illegible] تتمتع على الروح الملك، وبالأدلى مما يعطيه من تأثير الحسنة في
[illegible] [illegible] كما كان الملك يساعد كذلك بعض الجنود من أبنائها في
[illegible] حقوقهم والاعتداء عليها[2]. وإذا استمع عن الكثير من هذه الإجراءات نعلم

[illegible]

[illegible]

[illegible] Wreszinski [illegible]

[illegible] يجدث الملك أن يكرم أحد من هذه من الرجال المصريين، بأن يعطيه إلى
[illegible] ورثة أسرى مما [illegible] في حياته [illegible] بعد الموت، وبهذا [illegible]
[illegible] [illegible] نجد الملك قد عالجها في المصري

---

(١) Mar. Mast. D. 12.

(٢) شيخي آمن.

(٣) Mis Mac. P. 9 انظر أيضاً لوحة الوزيرة في A. Z. 39, 85 ومن الجدير بالذكر أن الوثيقة التي تنص على أن الملك مسموح بتقديم القربان للآلهة والقربان الجنازي للميت

تكرهون تظل كما هي في الكتابات القديمة»، وكذلك عبارة «الخروج إلى
[illegible] في مجموعة تلاوتها هذا يؤثر للتعبير عن [illegible]
وهكذا انتهى الأمر بالدعوة القديمة أن غدت رقية لكثرة الاستعمال
هو الشأن في العالم في كثير من الأحيان[٥٤].

عما هذا، كثيراً ما تخاطب كتابات المقابر زوارها في مستقبل الأيام من
ذلك أن أحد أصحاب المقابر يؤكد لنا أن له كل الحق في احترام لمطلق إذ
كان رجلاً طيباً ولم يأتِ سوءاً ضد أي إنسان»، وأنه «ابتنى مقبرته هذه من
جديدة، ولم يأخذ لها شيئاً مما يملكه إنسان»[٥٥]. ويقول آخر: إن ما يقدم
هو ملكه الخالص»، وأن «مأعزه (الخاصة) تذبح له في قبره، الذي بناه

---

(٥٤) برلين ٧٣١١ وفي مواضع أخرى كثيرة. وقد يزاد على ذلك، أن هذا يفيد من بعده أن
مما يفيد من يعمل من أجله (انظر مثلاً فلورنس ١٥٤٠) ـ وذلك لأن الآلهة تجزيهم
خيراً عن مثل هذا العمل الصالح.

(٥٥) Ae. Z. 45,67 (Spiegelberg).

(٥٦) Pahor Ny.

(٥٧) [illegible] من يعتبر هاتين الصيغتين مجرد تعويذتين سحريتين منذ البداية، كما هو الشائع الآن،
[illegible] أن يعثر على هذا النحو كذلك منذ البداية: «أبانا الذي في السموات» [illegible]
[illegible] يا مريم»، وذلك لأنهما يتليان على نحو مماثل لسعادة الأرواح المسكينة.

(٥٨) برلين ١٥١٢٦؛ يماثل ذلك القاهرة ٢٠٧٤١.

(١) يبدو أن الحكومة المصرية قد أخذت في الوقت الحاضر تهتم من جديد بهذه المباني التي تحتاج إلى ترميم.

---

(١) Gespraech eines Lebensmueden 60 ff. (Lit. S. 125).

الأزمنة القديمة بيئة التعدد، وذات خصائص مميزة، حتى إنه لا
أن نعرضها هنا في خصائصها الجوهرية.

كان المصريون عند علاجهم الجثة يعملون جهدهم على أن يحفظ
على مظهره الطبيعي. فقد كانوا يعتقدون أن الروح تعود
إليها المعتاد كما كانوا يعتقدون أنه سيبعث من جديد. لذلك
كان يوضع
وكان
أن يضفي عليه مظهراً طبيعياً قدر الإمكان.
توضع بعد ذلك في هيئة النائم على الجانب الأيسر،
(انظر الشكل صفحة ٢٠٩)، وذلك في داخل

(١) حفظ أجزاء من الجثة الداخلية في إناء خاص بعد ما كان يؤتى بها من عملية في التحنيط، وقد
كان هناك نوع في الحنوط خاص إذا دعت الحاجة لا يستخرج في أقل من عشرة أشهر (انظر ص ٢٠٩
من الجزء الثاني) فكان يستخرج بعد

... عينين كبيرتين[1]، «كي يرى» الميت بهما أمام الأقنى. وهو يحمله ...
... وعلى جدران التابوت صوّروا في بعض الأحيان ... وفيما عدا ذلك كان شكل التابوت في الأزمنة الأولى ...
... عبارة عن صندوق أملس ذي غطاء مسطح أو صندوق ذي أربعة أعمدة ...
... في أركانه وغطاء مقبب (وهكذا كان يظن شكل توابيت البربريين) وهي ...
... إذ فضل التصوير على التابوت بألوان مختلفة ... من ...
... بحصوله شيئ من الأدب الجنازي القديم الخط ...
... وضع هذا فإن أهم ما كان يكتب على التابوت هي السطور التي على ...
... والتي يتعهد فيها بالمتوفى لكشف الآلهة الذين يحمون العوالم ...
... وأوزيريس، وجب، ونوت، وإيزيس، ونفتيس، ولأبناء حوريس ...
... فجلاء ساعدوا فيما مضى أوزيريس الميت. ونتحول له فمه ...
... حتى يستطيع أن يأكل ويتكلم من جديد. وليهد يسعى أن يساعدوا ...
... المتوفى كذلك. وفي الواقع لقد أصبح واجبهم الأول حمايته من الجوع ...
... مما أدى إلى عادة غريبة. بدأت منذ نهاية الدولة القديمة. فبدلاً ...
... تضع طعاماً إلا بعد ذلك تكتب. وهي عادة استمرت لأحقاب في النجع ...
... في صناديق أو قبور جماعية[2] تحت حماية تلك الأرواح، وذلك في لا ...
... الاحتفاظ الحاسمين مكاسبة للميت.

وكان الميت - إلى جانب ذلك - يوفر قوت الجوع والعطش على الطعام الذي ... في المقبرة الأولى، فكان يوضع إلى جانبه في غرفة التابوت بعض الخبز

---

(1) وكانت العينان اللتان ترسمان على الجزء الأعلى من كثير من شواهد القبور تهدفان إلى تحقيق مثل هذا الغرض. انظر ما كتب إلى جانب العينين على الشاهد رقم ٢٠٢٥٩ بمتحف القاهرة، وهو من الدولة الوسطى.

(2) Steindorff, Grabfunde aus d. Kaen. Museen II, 5

في بداية الأمر كانت الأحشاء تستخرج من الجثة لتحنيطها ... أن القدور الكانوبية»، وهو اسم يرجع إلى تفسير خاطئ قديم.

[illegible]

[illegible] المقابر الملكية في عهد الأهرام. وهذه [illegible] هذه المقابر الملكية لم تكن تعتبر طاهرة (صفحة ٢٦٥).

[illegible] جانب الميت من أثاث وأدوات، يتوقف [illegible] على ثراء [illegible] فكان في هذا القبر أو ذاك [illegible] من الأسرة وصهاريج، ومقاعد وصناديق، وأدوات للتجميل والزينة، وملاعق وزيوت عطرية وأدهنة زاهية. وكان إلى جانب الأشياء الحقيقية، التي كانت تستعمل في حياة الدنيا، أخرى تؤدي بها المقبرة على شكل صور ليس غير، حتى أنهم اختاروا لها قوائم قصيرة، تحصي مختلف أنواع الزيوت والكتان، مما يمكن أن يكون لذي العيش؛ ومنذ نهاية الدولة القديمة كان يصور ويكتب على جدران المقابر سائر ما كان يمكن أن يحتاج إليه الميت من دمالج، وعقود، وخواتم، وقصين، وأسلحة، وأدوات للعمل، ومن كثير غيرها. ولا بد أن تكون قوائم المقابر هذه قد وضعت في الأصل للمقابر الملكية، وذلك لأنها تتضمن أيضاً نعوشاً وتوابيت، أخرى لا يمكن لغير الملوك استخدامها[1]؛ وواقع الأمر أن هذه المسألة كانت مثاراً بحثاً في سائر ما يتعلق بأمور الدفن.

---

[1] Schaefer, Ae. Zeitschrift [illegible].

أحب ما يتصل بالمتوفى إلى حاشيته الخاصة بعد موته، ويمكن معرفة المكان الذي كان يقام فيه عادة في المصاطب؛ فقد كان [illegible] وهو غرفة صغيرة محفوظة فيها بالمتوفى [illegible] وبعض [illegible] شكل تصغير في أثر الأحياء [illegible] الأول ما يؤدى له في تحنيط [illegible] وهذا الطعام، ونقل المحنط [illegible] وبعض المقابر التي لم تكن على شكل مصطبة، ولا تشتمل على [illegible] تلك يقام فيها في أغلب الأحيان تمثال للميت على نحو من الأنحاء [illegible] في الحفرة الصغيرة مكشوفاً للنظر في نهاية أحد ممرات [illegible] من عهد الدولة الوسطى، فقد كان يوجد تمثال واحد على الأقل لصاحب [illegible] بيته.

ولا تزال المقبرة الصخرية، وهي أحد النوعين السالفين من المقبرة، لا تزال أحدث عهداً من المصطبة نفسها؛ فقد حفر عظماء الأسرة الرابعة مقابرهم في بعض الأحيان في الجدار الصخري لهضبة الجيزة، بدلاً من بنائها فوقها في مصطبة مشيدة، التي شيدت عليها معظم المقابر الكبيرة في الدولة القديمة، وأكثر صلاحية لبناء المصاطب. ولهذا ظلت المقبرة الصخرية فيها على الدوام [illegible] على أن أنسب الأماكن للمقابر الصخرية هي المناطق الجنوبية، التي يجتاز فيها وادي النيل جداران مرتفعان، شديد انحدارهما، حيث كان من أيسر الأمور حفر المقبرة في الصخر في اتجاه أفقي. وتحلي كذلك هذه المقابر الصخرية الكتابات والصور على نحو المصاطب. ويوجد فيها كذلك باب وهمي يرتفع عند قاعها غرفة التابوت؛ ومع هذا فقد أخذ نظامها يتحسن في وقت ما من طبقة لوجهة نظر أخرى. فقد تصور المصريون أن المقبرة الصخرية كأنها بيت للميت، ولذلك، فهي كمسكن الشخص الحي، تحتوي من أثاث على كل ما يحتاج إليه للاستقبال، ومن خلفه قاعة كبيرة يليها مسكن البيت الخاص، وهو مكان يستقر فيها تمثاله.

الكلام في هذه الآلة . وقد يقصد الصوت من أي جهة شاء من جهات الآلة بأن يجعل أحد أنابيبها مستقبلا للصوت دون سائر أنابيبها ، وهي من نوع الطنبور الذي مر وصفه في الجزء الثالث (ص ٢١٢) عند الكلام على فرقة الآلات . والمصاحب لكل مجلس منها ما قل أو كثر في عبارة الآلات الأخرى دار ذكرها في حديث من حديث الآلات وهي بالجملة لا تعدو ٥ أو ٦ آلات على أكثر ولا تختلف النوبات الكثيرة المستعملة فيها

. نحت مصرية من الدولة الوسطى، أقامه لنفسه في أبيدوس كاي، رئيس بيت المال (برلين ١١٨٣).

[illegible] الطعام إلى الميت ؛ ثم يبخره آخر الأمر [illegible]

[illegible] هذه الطقوس كان هناك المقصر المختص [illegible] وهو أيراد لا محل لها. [illegible] التي سنقف لذكرها. [illegible] (صفحة ١١٥) غير أنه يخفي أنه لكل [illegible] تقديم العين من هذا أو ذاك يتوقف على [illegible] وبأنه لابد أن تكون هناك تورية بينه وبين ما يقال.

وفيما عدا المقبرة كان ثم مكان آخر يعنى فيه بإطعام الميت [illegible] وكما أنه كان يحضر في حياته توزيع القرابين في أيام الأعياد [illegible] على مذبح الإله (صفحة ٢٥٠)، فإنه كان يرجو أن يكون له نصيب من هذه الوجبات. وكما كان يأمل نصيبه من الرموز التي كانت [illegible] فقد كان يرغب كذلك أن يحصل في مقبرته على أدق الجهد من [illegible] لهذا كان يؤثر منذ الدولة الوسطى إقامة تمثال للميت في المعبد [illegible] يرجى له أسمى ما يقدم على مذبح الإله. على أن المحرومين لم يكونوا يحصلون على هذا الدعاء فحسب، وإنما كانوا يشترون من الكهنة توزيعاً عدداً من الرغفان في الأعياد على الدوام، توضع أمام تمثاليهم. ثم تكون عند [illegible] على وجه التحقيق من نصيب كهنة مقابرهم. ومن جهة أخرى كانت هذه [illegible] في كثير من الأحيان للسلوك فرصة الاعتراف بالخدمات الصادقة [illegible]

[illegible] LD II 71-72 [illegible]

[illegible] Urk. IV, 1[illegible]

للدولة الوسطى قد وجدت في أبيدوس. ويحسن التنويه هنا

---

(١) يعتقد بترى أن هذا المنحوت الثالث يبين بوضوح طريقة تنظيم ما ترتب على هذه العادة في كثير من الأحيان من فوضى واضطراب Petrie, Tarkhan

(٢) ولهذا ما يماثله أو يشبهه كثير على شواهد الدولة الوسطى.

(٣) المتحف البريطاني ٥٧٤

طوال الرحلة. وفي المدينة المقدسة يتقدم لإله الموتى كأنه فرد جديد من أفراد رعيته، ثم يشترك في حفلات أعياده؛ فيرى «ذلك الذي يخطر في جمال مثل أبوبات»، ثم «يرى بوزيريس أمام الآلهة التسعة»[1]؛ ثم يعود إلى موطنه ليسعد بنساؤه وأبناؤه، ويحل في مقبرته العظيمة في الجدار الصخري لبني حسن.

ولقد بقيت في الدولة الحديثة أغلب العادات الجنازية التي عرضناها حتى الآن، ولكن كانت بعض العادات القديمة قد اختفت في هذا العصر أو تحولت إلى أشكال جديدة، وظهرت أخرى جديدة، كما أن وسائل جديدة قد استعملت لتحنيط الميت بالتدريج.

وقد [illegible] الذين أتوا بهما الدولة الوسطى. فكان أوساط الناس يكتفون بأهرامات صغيرة من اللبن، أما الطبقات العالية فكانوا يحفرون مقابرهم في الصخر. وقد جرى الملوك مقابرهم على هذا النظام أيضاً. إلا أن الشكل الذي أصبحوه عليها كان شكلاً جديداً، فهي تتألف عادة من دهليز قصير طويل، قد يمتد به طرف جانبية. على أنه يؤدي إلى قاعة، كانت تسمى «بيت الذهب»، كان يستقر في وسطها التابوت من الحجر وقبة حشمان الملك. وتغطي سائر الجدران نصوص وصور دينية، ولما كانت هذه النصوص والصور مشتقة في جوهرها من أوساط مملكة الموتى. تلك التي تحدثنا عنها في فصل

---

[1] وهي مسائل كان الميت يواجه في رحلته إلى الجحيم، وقد وردت على الآثار في مقبرة الوزير الرعمسي أمنمحات من عهد الأسرة التاسعة عشرة.

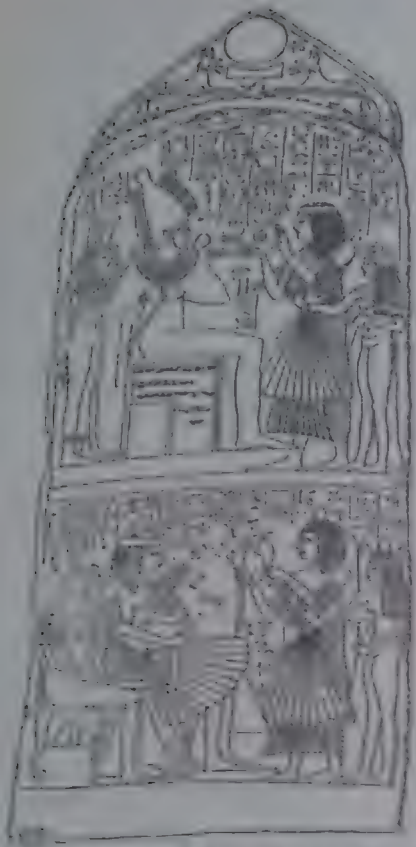

(1) Urk. IV. 57.

(2) Urk. IV. 27

(3) Urk. IV. 45

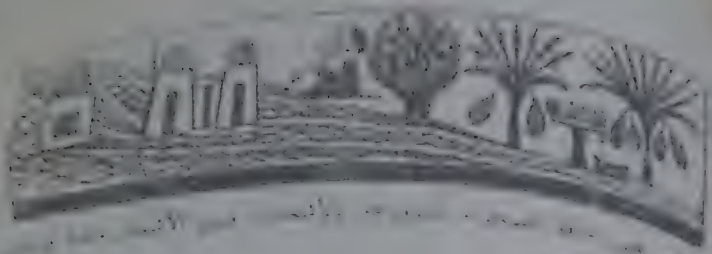

الجبانات، وهنا هي مكان حزين موحش. لهذا يوجد كثيراً ما يسمع عن كانت تنشأ غير بعيد من المقبرة، بل إننا لنجد مثل هذه الحقيقة

وفي مقابر الأفراد وعلى شواهد مقابرهم نستروح عبير عهد جديد. حقاً إن من يتعرض لهذه الشواهد التي لا تحصى من العهود السابقة، فإنه يقرأ عليها حسرة على أوزيريس، الذي كان الميت يضع أمله فيه، غير أنه يندر أن يجد الميت إله بالعبادة، أو يمثل أمامه وهو يتعبد له، فقد كان حتى هذا الإله الوحيد يتعبد له الأموات، ولم يكن لأحد أن يتعبده غير الملك[٤]. أما في اللغة الجنائزية فقد

---

(١) Siut I, 316/317.

(٢) Urk. IV, 28.

(٣) Urk. IV, ٦٦: لا علاقة لهذا بالحدائق التي كان يقام فيها الحجر المعماري. وانظر كذلك ملحقة بيت الميت على وجه التأكيد، انظر: [illegible]

(٤) Borchardt, Ae. Z. 55,62.

جنازة كاهن أعلى من منف. الأسرة ١٩

في هذه الأسرة [illegible] ومن حولها الحزن يرتسم على وجوه [illegible] الحزن المتطل
[illegible] في هذه الأسرة من حكم الملوك، الذين يعتبر في نظرهم [illegible] بولولان،
[illegible] ومن [illegible] في [illegible] وغيرهم من الأطباء والأربعة
[illegible] من بينهم الكاهن الأعلى لهليوبوليس، وأخيراً محافظ المدينة وهو يتلفت إلى
[illegible] كهنة بتاح، الذين لم تظهر صورهم في هذه اللوحة
[illegible] ١٢٤١ [illegible] هذه الأسماء في جام أحد الملوك،

لا يساهمون بأصواتهم في هذه المراثي.

مساهمة عامة: ما أجمل ما يحدث له.

فإنه قد سمح له كذلك بأن يصل إلى الغرب.

الأعضاء. وكثيراً ما تمثل مقابر الدولة

الكبيرة التي تم يقيم فيها الزوج تشوفي[1]، أهل البيت وأصحابه يرتدون

لباس العيد ويتحلون بالزهور ويأكلون ويشربون، ويشاهدون الراقصين

يحسن أغنية العازف على الطنبور[2]: «ما أهدأ ما يرقد هذا الأمير

لقد حل المصير الجميل. تذهب الأجسام إلى هناك منذ عهد الآلهة،

يتعاقب الجيل بعد الجيل، والناس تعمل، والأموات جميعاً تشغل مقابرهم

الرائل من يشرب ويأكل في وقت مبكر إلى المكان الذي قدر له. ثم يحس

المتني الميت نفسه، كأنه يجلس بين الطاعمين، ويدعوه إلى التمتع مع

الجميلة المحبوبة. احتفل باليوم السعيد، وتضمخ بالطيب، واعدل أكاليل

الزهر، وضع الأكاليل والأزهار التي على جسد أخت المحبوبة التي تجلس إلى

جانبك، وقم بكل ما يطيب ويعزف السامع. والق بكل محزن وراء ظهرك، وفكر

بالسعادة حتى يأتي اليوم الذي فيه يبلغ الإنسان الأرض التي تفرض الصمت على

الناس، وتلف الراقدات في عمق مقابرهن. وفي أوضاع مثيرة على الدوام، على

حين يقدم الجسد في حفلات أوعية النبيذ: «اشرب حتى تشبع»! وهذه سيدة

---

[1] Wilcken, ind. Ostraka II p. 97 f. انظر أيضاً

[2] من مقبرة طيبة في Lanz S. 37 f. وقيلة أغاني ما يشبهها في Erm. Ae Z. 33, 20.

(١) سنوسرت الثالث الذي من خشب الصفيح من دهشور الأسرة ١٩٥٠٦

ولكن بدت لنا هذه الحيلة التي حمت إليه الفقراء غريبة. فهي لم تكن الوحيدة عند المصري القديم على وجه التحقيق، بل إننا لنرى فكرة مشابهة عند المسلمين الذين أقاموا معبدهم البديع المملكة حاتشبسوت معبدها الجنائزي المسمى بالدير البحري، أقدم أقوى أصفيائها سنموت - وقد كانت له مقبرة في ذلك - مقبرة ثانية غير بعيد من هذا المعبد. وهي وإن لم تتمّ فإنّ في طوعنا أن نتبين أنه كان في النية أن يؤدي دهليز طويل إلى ما تحت المعبد. وبهذا كان لسنموت أن يصير إليه كذلك نصيب من النعم التي كانت من حقّ الملكة(١).

وفي شكل التوابيت تتجلى كذلك القيمة التي كانت تسند في الدولة الحديثة لعلم الدفن الخارجية. فلم يكن التابوت حتى ذلك الوقت إلا على ما كانت للتعب الغالية منه. أي صندوق قوي يحمي الجثة من التلف. أما في الدولة الحديثة فكان لا بد أن يتخذ شكل المومياء نفسها، وهو أمر غير طبيعي إلى حد كبير، غير أن المصريين في ذلك العهد كانوا يعتبرون المومياء شيئاً خارقاً للعادة

(١) انظر عن ذلك Metropolitan Museum of Art. The Egyptian Expedition 1926-27, p. 6.

ولو وضعت المومياء في أكثر من تابوت، رغبة في حسن [illegible]
كثيراً منذ الدولة الوسطى. ويبدو التابوت المعشق [illegible]
[illegible] محفوظ بمتاحفين في كثير من الأحيان [illegible]
هذا المصر كأنه [illegible] ذلك، فكما أن إيزيس قد اتحدت بين جناحيها [illegible]
[illegible] له (صفحة ١١٧)، فهي تفعل ذلك أيضاً لأوزيريس الجديد الذي
[illegible] المومياء.

وحوالي نهاية الدولة الحديثة عمد المصريون إلى التعبير عن قداسة
[illegible] المناظر الدينية التي لا تحصى على التابوت؛ وكان لا بد من
[illegible] الآلهة والحيوانات والرموز المقدسة وأية [illegible]
[illegible] لا يتحمون يصدرون في عملهم عادة عن تفكير وبطريقة آلية وأقول
[illegible] وذلك لأنه مما يسير للحنائر في الدولة الحديثة أن
[illegible] جاهزة وتعرض للبيع. ومن اليسير التدليل على ذلك فقد
[illegible] يتركون فراغاً حيثما كان يجب ذكر اسم الميت في الكتابات التي
[illegible] هذه الأشياء، وذلك لكي يستطيع الشاري أن يدون فيه الاسم
[illegible] وهو ما كان يحدث عادة، على أنه كثيراً ما كان ينسى تدوين هذا
[illegible] وهذا السهو هو الذي يكشف لنا كيف أصبحت الواجبات الدينية تؤدي
[illegible] البيع والشراء. وحتى التمثال - وهو دون غيره من سائر ما كان يودع
[illegible] لا يتفق بأية حال مع الإنتاج التجاري - قد شمله ذلك العمل،
[illegible] صنعه فيما عدا ملامح الوجه الدقيقة. وتفاصيل الرداء وبعض
[illegible] من الفوش، ليقوم الشاري بهذا كله وفق هواه. على أن هذه الأشياء
[illegible] الأحيان تترك دون أن تتم، كما يدل على ذلك أحد التماثيل في
[illegible] الآثار في برلين [1].

Ausfuehrl. Vereichnis, S. [illegible]

١٠٢ ـ جعلان للقلب (أ) من الشكل العادي (ب) عليه صور رع وأوزيريس والقمر، (جـ) برأس إنسان (برلين ٣٩٠١، ٣٤٥٦، ١٠٧٠٩).

عجر من الحجر (وكان رمزاً مقدساً باعتباره صورة لإله الشمس)
العبارات التالية: «أيها القلب، الذي لي من أمي! أيها القلب
ي ، ويرتني! لا تبغض شاهداً ضدي، ولا تكن لي ألد معارضي أمام
ي ، تقضي أمام صاحب الميزان. إنك روحي التي في جسدي
ي ، ويشد أوصال جسدي. لا تسمح لملكي التكلم عند الأبواب
ي ، ولا تسمح لمن يتكلم عند الأبواب

ن الأهرامات الصغيرة الصغيرة التي توجد بكثرة في منطقة الأهرامات هي
ي مجموعة الأخ للملك، وهو إله الشمس» وليس بعضها في حقيقة الأمر
ي ، بل هي مجموعة من الأهرامات الصغيرة من اللبن، التي يكاد يكون من المؤكد أن
ي ، الملك المحترق رجله بناها موسى - الذي كان الكاهن الأعلى في مدينة
ي ، المشهور هنا صورته الثالث - يرجع مرتين وهو يعبد الشمس، شمس الصباح على
ي ، جانب الذي ناداه يتجه إلى الشرق، وشمس الغروب على الجانب الآخر. ومن
ي ، الواضح أنه كان يرجى أن تساعد هاتان الصورتان الميت على أن يخرج إلى الحياة
ي ، الصباح وفي المساء ليشاهد الشمس. وفيما عدا هذين ما توجد
ي ، صورة في الصباح وفي المساء ليشاهد الشمس. وفيما عدا هذين ما توجد

١٠٨ ـ هرم لبناخ موسى، الكاهن الأعلى لمنف (حوالي ١٢٢٦ ق.م)

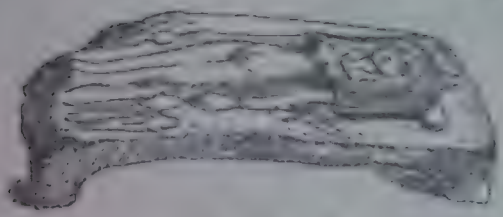

١١١ ـ إمرأة على سرير وعند قدميها طفلها ونعلاها (برلين ١٢٦٦١)

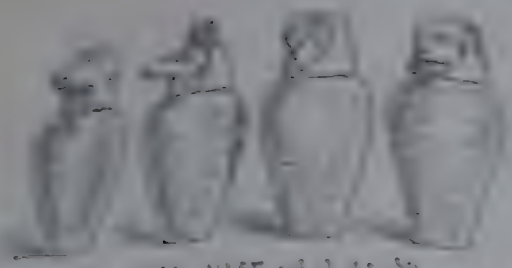

ب ١ ـ صور الأحشاء (برلين ٧١٩٣، ٧١٩٢، ٧١٨٩، ٧١٩٤)

ويجمل إذا أردنا الآن أن نجمل سائر ما عرضناه، فإنه يمكننا أن نقول إن
[illegible] بالموتى فقدت في الدولة الحديثة طابعها القديم الساذج، على
[illegible] الديني والعنصر السحري. ويتجلى ذلك بوضوح في
[illegible] الجنازي القديم، فقد رأينا كيف تزود الملوك في أواخر العهود
القديمة بمجموعة من هذا الأدب في نقوش أهراماتهم، وكيف عمل الأمراء
كذلك فيما بعد على أن تكتب هذه الأوراد القديمة على توابيتهم. ولم يقتصر
الأمر في الدولة الحديثة على تحلية جزء كبير من جدران المقابر بمثل هذه
النصوص، وإنما كانت توضع كذلك إلى جانب الميت أدراج من مرقى تحتوي
على تلك الأوراد، التي اعتبرت معرفتها مفيدة له على نحو خاص، والتي يقرأ في
بعضها: «إن من يعرف هذا الورد فإنه» ينعم بهذه البركة أو بتلك. وهذه الأدراج
هي التي تسمى «كتب الموتى»، والتي استقينا منها في الفصل الرابع عشر الكثير
من التصورات الحديثة عن مملكة الموتى. وإلى جانبها ظهرت في نهاية الدولة
الحديثة بردیات أخرى تحتوي على كتاب الأمدوات، الذي كان يطلب في بداية
الأمر ليكون حماية نافعة للمقابر الملكية (صفحة ٣١٨). وفضلاً عن ذلك فقد
ضمت سائر هذه البرديات الجنازية تصنع جملة كغيرها من المخلفات الأخرى
المشابهة، ومن اليسير أن نتصور ما يؤدي إلى هذا. فهذه المخطوطات تبدو في
جدتها بصورها الجميلة، الملونة في كثير من الأحيان، متقنة، منسقة، غير أنها
تعج بالأخطاء والكلمات الساقطة سهواً. وكثيراً ما تلحق بالنص عبارة غير

الفصل السادس عشر

الموتى في العصر المتأخر

على نحو ما تمسكت الحضارة المصرية في عهد تدهورها بالتقاليد القديمة
[illegible] كان في جوانبها الخلاص الوحيد، فقد جاءت كذلك فيما يتعلق
[illegible] ما ابتدعته القرون الماضية لسعادة الموتى. وقد أخذ
[illegible] جميع ما وجد من مختلف أنواع الأدب الجنائزي. فالنصوص
[illegible] أو في نصوص لا أخر لها على التوابيت أو على جدران
[illegible] عادت إلى الظهور مرة أخرى مدون الأهرام (صفحة ٢١٥). أما
[illegible] منذ الدولة القديمة؛ وجمعت نصوص كتاب الموتى (صفحة
[illegible] في كتاب واحد، يطالب قرطاسياً من البردي طوله عشرون متراً تقريباً. أما
[illegible] رحلة الشمس بثبتان بكل حروفهما على التوابيت الحجرية الكثيرة
(صفحة ٣٣٦). وإلى جانب هذا الأدب القديم ظهرت كذلك كتب صغيرة
[illegible] كانت تعتبر كلها قديمة أيضاً، وإن كان كثيراً منها حديث التأليف على
[illegible] التحقيق. ومن هذه الكتب نواتي إيزيس ونفتيس لأخيهما أوزوريس، وقد
[illegible] طرق منها آنفاً (صفحة ١١٨)، ومنها كتاب التنفس. وكان محبوباً في طيبة
[illegible] خاص، ومنها الرثاء على سكرء وطقس التحنيط، وكتاب الانتصار على أعو
[illegible] وكثير غيرها. ومن المحقق أن ليس لأحد أن يتوقع فهم الكثير من هذا
[illegible] قديم؛ وذلك لأن النصوص قد مسخت في أحيان كثيرة حتى لم يعد لها
[illegible] ومع ذلك فقد أجهد المصريون أنفسهم في نقل الكثير منها إلى اللغة

[illegible] الصعوبة في فهم هذه النصوص قد كانت هي بعينها [illegible] وإن الغموض والإبهام علامة على كل شيء [illegible]

لقد ضاعت مقابر ملوك العهد المتأخر، على أن مقابر الأثرياء من [illegible] كيف تصور هذا العصر واجباته نحو الموتى، فهي تفوق في [illegible] العهود السابقة، وليس في المقابر الملكية في طيبة ما يعدل [illegible] في مقبرة مستحبها، وقد كان صاحبها يعيش في طيبة في العهد [illegible]، ويلقب برئيس «المرحب» على الأسلوب القديم (صفحة ٢٦٠) [illegible] أول ما يمر بفناءين أماميين، زودا بشرحين ضخمين على نحو ما في المعابد، ومن ثم يهبوين محفورين في الصخر، يعتمد سقفهما على أعمدة مربعة، ثم يفضي من بعد ذلك إلى مجموعتين من الدهاليز والأبهاء والغرف. وفي نهاية إحدى هاتين المجموعتين كتلة من الصخر طولها ١٥ متراً، وعرضها ١٠ أمتار، شكلت على هيئة تابوت ضخم. وهي تعين المكان الذي يرقد الميت من تحته؛ على أنه لا بد للوصول إلى هذا المكان نفسه من أن يهبط المرء بئراً في أحد الأبهاء المذكورة آنفاً، ثم يمر في ثلاث غرف، تتدلى من بعدها بئر أخرى، تؤدي إلى ما هو تحت من خلفه قاعة كبيرة كان يستقر فيها التابوت.

ولقد شيدت على نحو غريب كذلك المقابر التي خلفها لنا هذا العهد في طيبة، ومع أن مبانيها العلوية اختفت الآن، فقد بقي منها الجزء الرئيسي، وهو البئر الواسعة العميقة، التي تقوم على قاعدتها غرفة التابوت كأنها بناء مستقل. وليس من شك في أن أسراراً عميقة تختفي وراء تصميم هذه المقابر؛ فقد تحاكي تلك المقبر العالم السفلي، وقد تمثل هذه قبر أوزيريس في بئر روستاو.

---

(١) ظر Schott, Urk. VII, S. 80 f. وقد نقل أيضاً الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى (وهو يتعلق بمحاكمة الميت) إلى الكتابة الديموتيقية (Lexa, Das demotische Totenbuch, Leipzig 1910).

وزخرفة هذه المقابر ذات طابع ديني بطبيعة الحال، وهي مقتبسة من الموكب الجنازي. على أنه يظهر إلى جانب الصور الدينية في كثير من المقابر مشهد من الصور ذات الطابع الدنيوي، مما نلقاه موجبين مسرودين، وذلك لأن هذا العهد المتأخر لم يترك لنا فيما عدا ذلك صوراً من أي نوع يمكن أن نعرض عليها حياته ونواحي نشاطه. على أن هذا السرور قصير الأجل، لأن الصور الجميلة، التي تمثل ذبح الضحايا من الحيوان أو تقديم الطيور، قد نسخت بدقة مع جميع الحواشي من أية مقبرة من مقابر الدولة القديمة؛ وقد نسخ الفنان الذي عمل في مقبرة متمحات في طيبة صفوفاً كاملة من الصور من معبد الدير البحري المجاور[1]. بل إنا لنستطيع التدليل كذلك على أن الفنان، الذي سلخ مقبرة أيبي في طيبة بتلك الصور العجيبة التي تمثل الصناع، قد استخدم مصدراً في مكان بعيد، إذ نسخها من مقبرة قديمة في مصر الوسطى، شيدها رجل كان يحمل لقباً مماثلاً ـ ولعل أيبي المتأخر ظن أنه قد كشف في سميه هذا عن أحد أسلافه، ولهذا استنسخ صور مقبرة سلفه ليحلي بها جدران مقبرته[2]. وكان ولع هذا العصر بكل قديم (انظر الفصل الثامن عشر) هو الذي أعاد هذه الصور من جديد، وهو ولو يسود الفنّ والدين في ذلك الوقت.

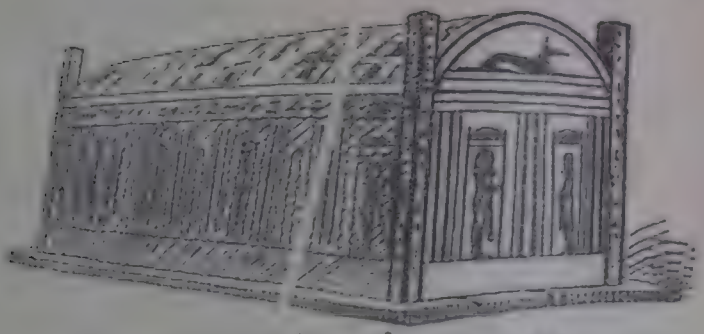

١١٣ ـ تابوت متأخر ذو أعمدة (برلين ٨٤٩٧)

---

(١) Erman, Ae. Z. 52, 90 f.

(٢) Davies, Deir el Gebrawi I, 36 ff.

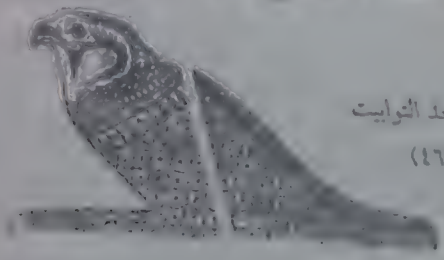

٣ ـ صقر في أحد النوابت
(برلين ٤٦٨٧)

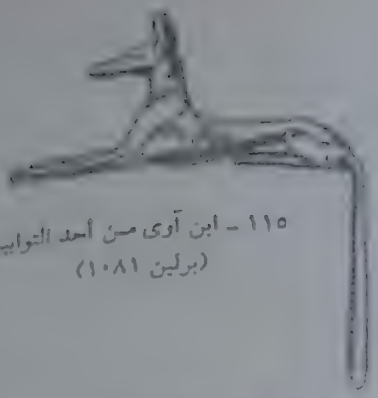

١١٥ ـ ابن آوى من أحد التوابيت
(برلين ١٠٨١)

... أوزيريس. أنه مصدوق له في الأركان أربعة أعمدة تحمل سطحه العلوي ... توضع على هذه الأعمدة أربعة صقور. نحتت أشكالها على أسطح ... كما كان ابن آوى يوضع على الغطاء، على أن يتقدم قبله من جهة ... وتمثل هذه الأشكال الخشبية ذات الألوان الساخنة الآلهة التي قدمت ... تابوت أوزيريس. وكان على موضع الرأس من التابوت وعند قدميه ... لايزيس ونفتيس تبكيان الزوج المخوف؛ ومعهما الثالث أنوبيس يفحص ... أوزيريس أو يفرك عينيه باكياً[1]. أما على التابوت الشمالي، لكان ... على العمومياء أشكال تمثل جعلاً ناشراً جناحيه، وأبناء حورس الأربعة

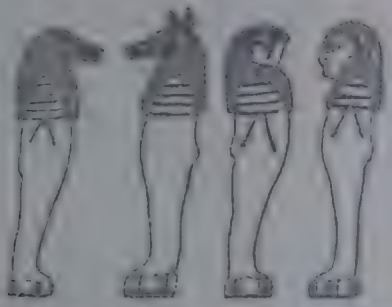

١١٦ ـ أبناء حورس من أحد العمومات (برلين ١١٦٣١ ـ ١١٦٣٣)

---

(١) نفس المرجع ص ٣٠٨.

١١٨ ـ أصبعان من الحجر
(برلين ٣٤١٧)

Bergmann, Ae. Z. 18, 30 (٢

Hierakonpolis, pl. 29

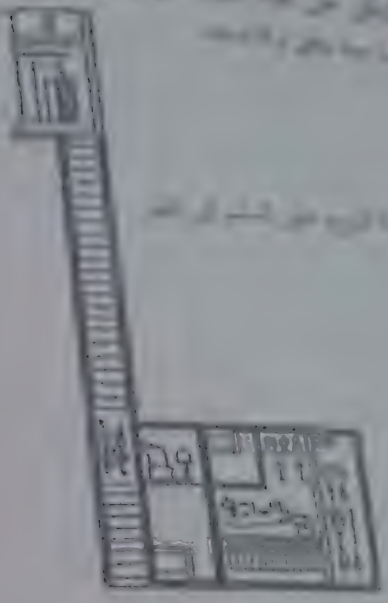

وأهم ما يسترعي النظر بين سائر ما كان يعتبر من مستلزمات المقابر تماثيل الأوشابتي، التي كانت تقوم لقاء رأينا من قبل (صفحة ٣٧٤) عن العبيد بأعمال السخرة والتي تدل إحدى سماتها الخارجية على مدى ما كان لها من قداسة: فقد حرت تتخذ اللحية المخصصة بالآلهة (صفحة ٣٩٣). وكانت التماثيل البسيطة منها، وهذه كانت تصنع من الفيانس الأزرق الفاتح، توضع بكثرة في المقبرة، ولهذا حفظ لنا منها العدد الوافر بحيث لا يكاد يوجد في الوقت الحاضر مجموعة صغيرة من الآثار إلا وقد وجدت بعض هذه التماثيل المتأخرة سبيلها إليها. وحتى التماثيل الجميلة، التي كانت تنحت من الحجر الجيري على نحو من الكمال لم يكن ينتسى إلا للمصانع المصري وحده في ذلك الزمن، فإنها كانت تصنع في العدد الكبير وتوضع في جدران غرفة الدفن، وذلك في مشكاوات سدت فتحاتها

يتكون خير معين لصاحبها. وكان بحدث ذلك أن تزدد
... وستين وثمانية أوشبتي يقوم كل منها بالخدمة مرة واحدة في السنة
... وهذا الذي اصطنعه الأغنياء والأشراف لسعادة ا...
... لفتات الدنيا بقدر استطاعتهم. ولهذا فإن في ال...
... أثاثاً جنازياً من كل نوع حتى من أحقرها.

... وقد تدفن ... أما الفقراء المُتربون فإنهم كانوا يدفنون في الرمل بعد ... ة. وبعض ... الخرق إلى جذع نخلة[٢]. وكانت أنواع التحنيط تنعم ... ... هيرودوت أن المحنط قد كان قبل قيامه ... ... ثلاث ... ...

من ما نعلمه هيرودوت في مصر، وهو ذلك الرواية الصاخبة يوم الوفاء، يوم

وهذا مسألة أخرى. لنا أن ندرك منها أنه لا ينبغي أن نعتمد فقط في حكمنا

---

(١) هناك مثال من هذا النص في المكتب Aus den Papyrus der Koenigl Museen من ١٠٣ وما يليها

(٢) Herodot II. 86.

(٣) Herodot II. 85.

١٠ ـ توابوت من العهد الصاوي
(رقم ٦٠٦١٣)

عادات أجدادهم الجنازية، ولكنهم وقد صنعوا ذلك فهل كانوا يشاركونهم كل
سائر التصورات والأفكار، التي تعتمد عليها هذه العادات؟ وهل ظلت الآراء حقاً
عن مصير الروح هي بعينها طوال القرون العديدة التي انصرمت منذ تصنيف كتاب
الموتى أو كتاب الإمدوات؟ لم يكن الأمر كذلك حقاً، ولكننا وقد حرص
المصريون على اتباع التقاليد تماماً في كل ما كانوا يقومون به من عمل، لا
نستطيع بدورنا أن نلحظ التغيرات التي طرأت على عقيدة الشعب، ولا نستطيع
كذلك أن نحكم أكان هيرودوت قد أنبىء بالحق حتى يروي[1] لنا أن المصريين
إنما كانوا أوّل من بشّر بخلود الروح، وأنهم كانوا يعتقدون فوق ذلك في تنقل
الروح، أي أنها عند الموت تمضي إلى كائن آخر يتلقى الحياة في تلك اللحظة
نفسها، فإذا حلت في خلال ثلاثة آلاف عام في كل ما يحمر الأرض والماء
والهواء من كائن، فإنها تعود إلى الإنسان في خاتمة ذلك المطاف. فهل انتهى
الأمر حقاً بذلك التصوّر العتيق، الذي كان يذهب إلى أن الروح تستطيع أن تبدو

---

(1) Herodot II, 123.

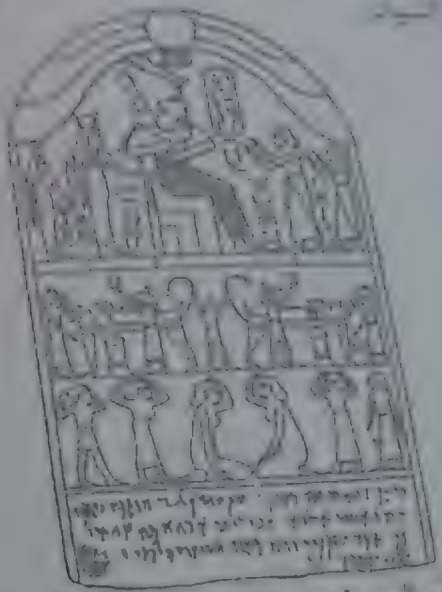

٢٢١ - شاهد مقبرة أحد أبو السورية، من منف من عام ٤٨٢ ق. م. (برلين ٧٧٠٧)

الفصل السابع عشر

السحر

السحر بيت وصنيع في دوحة الدين، وهو عمل يهدف إلى التغلب على قوى نحن نتصرف في مصير الإنسان. وإنه لمن الخير أن نعرف ذلك بغض النظر عما إذا كان الاعتقاد بإمكان القيام بمثل هذا العمل قد يدعو أن الإله استجاب للدعاء أو لم يستجب له تارة أخرى؛ عند ذلك يطرأ قسراً على الفكر أن العبارة التي يتلفظ فيها الداعي أول مرة قد لقيت عند الإله قبولاً خاصاً؛ لذلك بعد هذا يتصل تركيب من نوعه، ويغدو صيغة لا يلبث الإنسان أن يعتقد أن لها مفعولاً لا يخيب، وأنها تقهر القدر. عندئذ يسوق هذا الاستنتاج الخاطئ إلى أعمال معينة ونبذ أعمال أخرى؛ فقد نجحت اليوم فيما أخفقت فيه منذ زمن وجيز. ومن الواضح أنك قد أسأت إلى الإله أو إلى كائن آخر مجهول بهذه الوسيلة أو بتلك، أما اليوم فقد أرضيته، فإذا وفقت في تعليل ذلك، فسوف تنتفع في المستقبل تجنب ذلك الحظ العاثر أو جلب هذا التوفيق. ومن يتدبر هذه الأشياء ويعرف طبيعة الآلهة فلن يلبث كذلك أن يدرك ما عسى أن يكون. وبذلك فإن من كان بالآلهة أعلم فهو يغدو كذلك خير ساحر؛ وكذلك كان مخرج الرئيسي (صفحة ٢٦٠) في اعتبار المصريين، إذ هو أعلم الكهنة بالأسفار القديمة المقدسة.

فإذا حدث أن تطرق هذا الاتجاه إلى تفكير شعب ما - والشعوب البدائية ساذجة هي أول ما يتعرض لهذا - فلن يقف أمامه حائل. وبذلك تزدهر

وتصوير السحر مختلفة الصيغ، أبسطها ما خاطب فيه الساحر الشر الذي يود أن يطرده، وذلك على نحو ما ينطق به ضد الثعابين أحد الأوراد العتيقة، التي حفظت لنا في متون الأهرام: «يسقط الثعبان الذي يخرج من الأرض،

---

(١) عن موقفي في هذه المسائل انظر صفحة ٢٨٤ ملحوظة ١ وصفحة ٢٨٨ ملحوظة ٤.

للهب الذي يخرج من البحر. فلتسقط!»[1]، أو قد يزعم الساحر
يحلب أشباحهم المرض في البيت، أنه قادر على أن يفعل
أن يخرب مقابرهم، وأن ينتزع قرابينهم[2]. وهو يوضح
على أن يقوم بهذا المريض حيث لا مأوى له في أي جزء
في جحره، والنمر مقبرة للآلهة، ثم لأمسك
النمر نمسان في النمر، وسوف يهرسه القدم، وقد يتلاشى في الفم[3]. فبدا له
المرض، والإقناع عند الساحر إلى أسلوب أرق حاسية، فيعزي
أن يسكن إلى حريمه من أن يسكن في هذا المنزل
واذهب إلى حيث نساؤك الجميلات، اللائي وضع
وعلى أكتافهن البخور الندي»[4].

على أن الساحر يستنجد عادة بالآلهة. فهو يدعو رع، الذي يرى كل
لرقبة أشباح الشر»[5]، أو يشكو الثعبان إلى رع لأعماله السيئة، لأنه
الأرض، عضّ جب»[6]، أو يبين للمرض أن كل عضو من أعضاء الجسم
تحت حماية أحد الآلهة. وكثيراً ما يتكلم كذلك كأنه هو نفسه الإله: «اخرج أيها
السم، انض على الأرض! حورس يعزم عليك. إنه يبيدك، إنه يثقل عليك. إنك
لن تقوم، إنك تسيل على الأرض، إنك ضعيف لا حول لك، إنك بائس ولا
سبيل لك إلى المقاومة، إنك أعمى لا ترى، إن رأسك ليتدلى ولن ترفع
وجهك... بفضل ما يقول حورس الساحر القوي»[7]. أو قد يقول: «إنك لن

---

(١) متون الأهرام، ٢٣٨.

(٢) Zauhersprueche f. M. u. K. S. 33: إلى أدين بالتفسير الصحيح إلى حراف شاك

(٣) نفس المرجع صفحة ١٩ وما بعدها.

(٤) نفس المرجع صفحة ١٩.

(٥) نفس المرجع صفحة ٤٠ وما بعدها.

(٦) متون الأهرام ٢٣١؛ لقد أخطأ الكاتب، كما كان يحدث كثيراً، بكتابة سه بدلاً من
والمقصود هو جحر الثعبان الذي ظن بأنه عضة في الأرض.

(٧) Metternichst. 3 ff.

وإذا ذكر الساحر في متن هذه الرقي هذا الإله أو ذاك، فإن لهذا [illegible]

[illegible] في أيامنا الآلهة، فالإله الذي انتصر بتقدم [illegible] يوماً ما على الشياطين يظهر أحياناً في أيامنا في صورة الآلهة، والإلهة التي تمهدت الرضيع بنفسها، تصبح كذلك أفضل العمل ضد ضدها، والإلهة التي تمهدت الرضيع بنفسها، تصبح كذلك أفضل عون للأم من بني الإنسان. ولما كان من الحكمة الاستفادة مباشرة من هذا السابق، فقد نشأ نوع من الرقى يعرض علينا حادثاً من قصص الآلهة [illegible] بهذه الطريقة. أي الإلهة ياسنت (صفحة 67) التي رأينا هلم إلى استئناف نشيدها [illegible] في طريقها. متنزلاً إن صراخها لتصعد إلى السماء. وقد سمعت [illegible] في مخدعها، وهي تتنزل فتقول تعوذ، ومعنى هذا أنها تحاول أن تسحر مكان الألم على أن رع يجيبها: لا تخافي، لا تخافي يا [illegible] سأخلصك من ورائك. إنه أنا، إني أطرح السم الذي في سائر أعضاء هذه الفتاة»[1].

وكان بمثل طبيعة الحال وفر الآلهة التي كانت تعتبر بصفة عامة مشرفة إلهية الحياة البشرية جميعاً، وهي أوزيريس وعشيرته. فإن التماسيح لترتعد مخافة أن تذكر الإنسان أنه ليثبت حتة أوزيريس فيما مضى في الماء في حماية الآلهة «أوزيريس في الماء وعيناه عين حورس، ومن فوقه يبسط الجعل الكبير جناحيه. إن من في الماء يخرج سليماً، ومن يقترب ممن في الماء إنما يقترب من عين حورس. إلى الوراء يا حيوانات الماء!... لا ترفعوا وجهكم يا حيوانات الماء، حين يحر بكم أوزيريس أني سكان الماء، إن رع ليغلق أفواهكم، ويحبست نسمة حناجركم، وتحوت يقطع ألسنتكم، وزب السحر يعمي أعينكم. هؤلاء هم الأرباب الأربعة، الذين يحمون أوزيريس أولئك هم الذين يحمون من

---

(1) Pap. Mag. Harris. S.5.

(2) Metternichhst, 9. ff.

إلهك حارس الحقل، حارس حورس هو الشيخ الذي في السماء السفلى، الذي يحمل أسيره، الذي تحمل ما يوجد وما لا يوجد - وهو كذلك حارس كل الطيور التي تطير في السماء، والشمس لا تغادر مكان الأمس حتى يشفى حورس من أجل أمه وحتى يشفى كذلك الحقل من أجل أمه»[1].

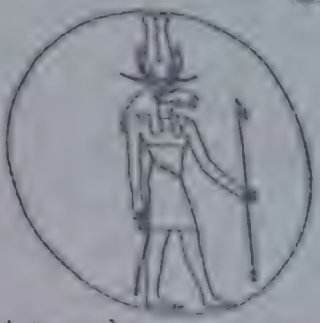

١٢٢ - «الذي في شمسه» (من معبد إسنا)

وعانى حورس مرة أخرى من حريق أعاله التهم الكوخ الذي كان يرقد فيه فقبل أن تذهب لإيزيس «إن البيت يحترق في الريف». - هل هناك ماء؟ - «ليس هناك ماء» - «إن الماء في فمي، وإن نيلاً لبين سافي، لقد جئت لأطفئ الحريق» ثم لكي أن رؤيتي في عصر تالٍ أن هذه الرقية الساذجة ضد الحروق يجب أن تقطع على نحو أرق، ولهذا أصبحت إيزيس تقول: «إن الماء لفي فمي، وإن شفتي لذواتا فيض»[2].

وفي مرة أخرى كان حورس يحرس ماشيته في الحقل ولم تشأ أن توغل كثيراً حيث الحيوانات المفترسة بالقرب من ذلك المكان. لهذا صنعت له إيزيس «تنبيل بعض النعال» «لتُمت أفواه السباع والضباع وسائر الحيوان الطويل الذيل، مما يتغذى باللحم، ويشرب الدم، لطردها وقطع آذانها، ومنحها الظلام

(١) نفس المرجع صفحة ١٦٨ وما بعدها.

(٢) Schaefer. Aegypt. Zeitschr. 36, 129.

ومنحها العشا وحرمانها النظر، في كل منطقة في هذه الليلة

اذهب إلى الجنوب، إلى الشمال، إلى الغرب، إلى
أيها الذئب الشرير
يا ابن الحقل بأكمله حقلك، ولن يوقفك عنه أحد. لا توجه وجهك نحو
وجهك شطر حيوانات الصحراء. لا تول وجهك إلى طريق
وجهك طريق آخر»[1]. وهي هذه العزيمة الأخيرة لا يتمالك المرء إلا أن
ن الساحر نفسه هو الذي ابتدع لحورس حياة الرعاة تلك. التي لم تزد حيها
ة إشارة في أي نص آخر، لقد كان حورس قبل غيره الطفل الإلهي، والملك
ن يسند إليه كل ما كان واجباً أن يفعله الصبية في مصر. وهذا هذا يقطع
ك أن صحة الأساطير التي تشير إليها هذه الوقى لا تتنزه دائماً عن الشك

وبينما تبدو في هذا كله نجدة الآلهة كأنها هدية يمنحونها إذا طلبها الساحر
عبارات الصحيحة، هناك ما يدل على مغالاة غريبة في اتباع وسائل الشر
عديدة، إذ يهدد الساحر أهل السماء حتى ينفذوا إرادته. وتوجد مثل هذه
عبيرات في الأدب الجنازي القديم؛ فقد جاء في أحد الأوراد التي حفظت في
ون الأهرام: «أنتم يا آلهة الأفق! بحق ما تودون أن يحيا (ميتكم) ثوموم،
ضخوا أنفسكم بالزيت، وتلبسوا الملابس، وتتلفعوا أعمتكم، خلدوا يده
ؤوه في حقل الأطعمة»[2]. وأقوى من هذا ما جاء في موضع آخر من نفس
ه المتون: «فإذا لم تسيروا بالزورق إليه... فستنزع لهم الشعر التي على
زوسكم كما تنزع براعم الأزهار على شواطىء البحار»[3]. وإذا لم تقودوا
يت مع أسرته تتعطل عبادة الآلهة؛ «ومن ثم تسرق قطع اللحم المتبقية من
ن مذابح الآلهة، ولن يقدم الخبز، ولن يصنع خبز أبيض»، ولن تقدم «أية
قة من اللحم من وضم الجزار» إلى الإله[4]. بل إن الساحر ليقلب العالم

---

(1) انظر Lange. Pap. Mag. Harris S. 501.

(2) متون الأهرام ٨٧٩ - ٨٨٠.

(3) متون الأهرام ١٢٢٣.

(4) Gregoire. Ac. Z. 40, 48 ؛ انظر أيضاً: Lacau. Textes religieux, N° 2

لسم إله إذا لم يخرج مشرقاً عند بزوغ رع في السماء، وإذا بزوغ النهار أي
إشراقه، ويعلن على الملأ، وجعله رع في السماء ويعيش على الأسماك،
و يصنع الذين يحملون السماء أن يعرف ويتعرف، وأن يخرجه [illegible]
أبو [illegible] بجمالك السماء[1]. على أنه لم نذكر كيف تنفذ هذه التهديدات
وهذه الشائعة في حالات أخرى على أنه يعرف اسم الإله، تسمى الذي [illegible]
هي، فإنه لها عند فيها سخر من نهاية السحاب، اسم الشعر أن [illegible]
أيها العظم الذي ليس لأسماء الآلهة قوة، وهذا إذا «عظم» إشارة باسم [illegible]
حتى تأخذ، بعد، تحتي النهر «أي جعف»، وإذا تعلق به على الأرض تعلق
الشيء[2]. وإذا صنع تسلح على ساحر يعرف هذا الاسم فإنه يحفظه ليعمل
الأهرام عند في أشرق السماء، ويصبح الجنوب شمالاً، والنهار الأرض[3].

يتساءل من أين عرف السحرة هذا الاسم الكاذب الذي يعتمدون عليه
بعرضه هذا السؤال لا بد أن يكون المصريون قد عرضوا له كثيراً، وذلك لأن
جزءاً من التوبة الحديثة تكلمت بالإجابة عليه في إفاضة. فهي تقص علينا كيف
أفشى هذا اسم رع المكنون ذلك أن رع لما كان يحكم «الآلهة والبشر أجمعين»
على الأرض، كانت لديه أمهر النساء جميعاً، كانت أمهر من البشر والآلهة
والمبجلين، فربما كان في السماء ولا في الأرض شيء لا تعرفه، غير أنها لم
تكن تعرف الاسم الحقيقي لرع ذي الأسماء الكثيرة، فعولت على معرفته. وقد
عد الإله شيخاً عجوزاً، يرتجف فمه «ويتساقط رواله على الأرض» فعجنت
[illegible] من التراب الذي لفظ به دودة عظيمة... وضعتها في الطريق
التي يسلكه الإله العظيم إذا أراد زيارة قطريه. وحينما كان رع «يتريض كعادته
كل يوم»، تتبعه الآلهة لدغته الدودة.

---

(١) Totb. ed. Naville. 65. 12.

(٢) متون الأهرام الفصل ٢٥٥.

(٣) Lange, Pap. Mag. Harris, S. 5S.

[illegible] ملائكة السماء. وقالت ألهتها: ماذا حدث؟ ماذا جرى؟ ولكن كان عاجزاً على أن يجيب. وكانت شعلة الحياة [illegible] تتقد، وتملك السم جسده كما يتسلل الليل الأرض.

[illegible] هذا قبيلة (لاندي) حاشيته: «تعالوا يا من دنائتم من جسدي. ألم أيها [illegible] خرجتم منه، تعالوا أخبركم بما حدث لي. لقد أصابني ما يشبه [illegible] لأشعر به ولكن خيفتي لا تريانه. إنني لم أذق ألماً بعد [illegible] أيها أمير، وابن أمير، إنني البذرة الإلهية، التي عدت إلهاً. [illegible] إنني لقد ابتكر أبي وأمي اسمي. إنني أنا ذو الأسماء الكثيرة، [illegible] عظيم الأشكال العديدة. شكلني في كل إله. إنني أدعى أنوم وحورس حكمن [illegible] إنني أبي وأمي باسمي، أنه كامن في جسدي منذ مولدي حتى لا [illegible] أحد، ممن يريدون عمل السحر ضدي، قوة سحرية. ولما خرجت لرؤية [illegible] وللتريض في القطرين اللذين خلقتهما، أصابني شيء لا أعرفه. إنه [illegible] وما هو بماء، ولكن قلبي يتقد، وجسدي يرتعد، وسائر أعضائي في [illegible] النضج».

على هذا النحو جرت شكاية رع، وقد استدعى أبناء الآلهة «أولي الحديث [illegible] والفم العارف»، فجاءوا جميعاً مكروبين. وكذلك جاءت إيزيس [illegible] وهي ذات الفم المتلئ بنسيم الحياة، والتي يطرد مقالها الداء، والتي [illegible] حديثها من لا نَفَس له». قالت: «ما الخبر؟ ما الخبر أيها الأب الإلهي؟ [illegible] إن كانت قد آذتك دودة، أو رفع أحد مخلوقاتك رأسه ضدك، فإني أجعله [illegible] إلى الأرض بفضل سحري البارع».

وفتح الإله المبجل فمه: «عندما كنت في الطريق أتريض في مصر [illegible]، وذ قلبي رؤية ما خلقت، فجرحتني دودة لم أرها. إنه ليس بنار،

[illegible] تحدث عن الوحظ عن اسم آمون (صفحة ١٩١) وما ذكر عن خلق أسماء الأشياء [illegible] خلق العالم (صفحة ١٠٦).

أشد برودة من الماء، وأشد حرارة من النار. إن لي

[illegible]

[illegible] «الحق بالسيف يا أبي القديس». إن [illegible]
[illegible] فأجاب الإله الكامل: «إني أنا الذي نظم السماء
[illegible] وعقد الحسان وأرسلها ما عليها. إني أنا الذي صنع الماء، وجعل
[illegible] صنع المستنقعات، وجعل أفقها مكاناً خفياً، وأحيت
[illegible] أني أنا من بدأ صنع جميع أمم الدنيا، وإن أعضاءها
[illegible] ومن يجري بين النيل بأمره، ولكن الآلهة لا تعرف اسمه. إني أنا
[illegible] الساعات وخلق الأيام، إني أنا الذي يفتح العام ويخلق الفيضان. أنا
[illegible] الصباح وأكون في المساء».

وبعد ذلك لم يتلاشَ شيء، فقالت إيزيس: «إن اسمك ليس من بين ما سمعت. [illegible] يخرج السم، إن الرجل الذي يذكر اسمه يظل حياً». [illegible] أنت من النار حتى لم يستطع الإله أن يصمد طويلاً». فقال لإيزيس: «إنما يعني أن يخفي اسمي من جوفي إلى جوفك»، ثم أردف قائلاً: «ينبغي أن تخفيه، ولتكن في حوزتك إحدى ابنتك حوروس به ليكون حجاباً قوياً ضد كل سم».

ولا نظن أن القارئ يود أن الساحر يحتفظ لنفسه هنا كذلك بالاسم المكنون ولا يخبرنا به. على أن الأمر ربما جرى على خلاف ذلك في ورد قديم جداً، يفسر للمرة الأولى استخدام معراج السماء (صفحة ٣٠٢): «تعالى أيها المعراج (موكت). قل له ولت، تعال لأسمك، الذي ذكره الآلهة»[٢]. وربما كان المقصود هنا أن الآلهة لا تسمي المعراج موكت كما يفعل البشر، وإنما تسميه بوكت.

---

(١) Lefebvre, Aegyt. Zeitschrift 21, 27 ff.

(٢) متون الأهرام ٩٩٥.

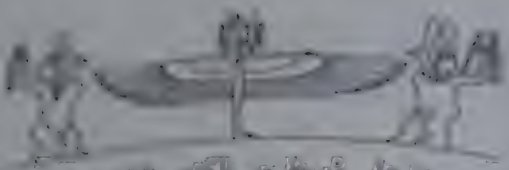

[illegible] يصورها على شكل بوق الكتاب الموتى، لوحة رقم ١٧٤

[illegible] بعض الكلمات الغريبة، التي تؤكد أنها [illegible] كانت حقاً تعتبر أسماء سرية للإله. وفي مواضع أخرى كان هذا [illegible] على أن لغة الجنية، وإذن فالتعويذة العراقية من الأصوات [illegible] وهذا هو إدسن متحدثاً إلي إدسن» إلخ. كانت تعتبر من السحر [illegible] وبذلك فإنها تتضمن بعد ذلك اسم الإله بعل[٤٢].

[illegible] يكون للرقي أثرها الصحيح كان لا بد من مراعاة أشياء كثيرة [illegible] وكان على من شاء لنفسه أن يتلو ورداً يجلب له الحظ. أن يظهره قبل [illegible] نسعة أيام، ثم كان عليه بعد ذلك أن يتمسح بنوعين من الزيوت وأن [illegible] يجب تكون السخرة من وراء الأذنين، وأن يطهر الفم بالمطهرات، وأن [illegible] بماء الفيضان، وأن يتخذ نعلين من الجلد الأبيض، وثيابين جديدتين. [illegible] أخر الأمر أن يرسم على لسانه علامة الحق بمداد أخضر. ثم كان عليه [illegible] إذا كنت أحسن الفهم - أن يدخل في دائرة لا يجوز له أن يتركها [illegible] الطقس السحري. ولتلاوة ورد آخر تلاه: مجدية، كان يجب أن ترسم [illegible] الأرض سورة كاملة تمثل: إمرأة إلهية «على وسطها» ثعبان منتصب على [illegible] وسماء، وأشياء أخرى كثيرة[٤٣]؛ أو ترسم على اليد عين تقسم صورة الإله [illegible] ولهذا علاقته بالتأكيد بما جاء في الورد من أن الساحر يتخذ شخصية

[illegible] Pap. Mag. Harris، لما كانت اللغة المصرية تفصلها الحروف المتحركة، ليس من [illegible] سبيل إلى أن نتبين كيف تنطق هذه العبارات السحرية.

[illegible] يلاحظ المماثلين من Destruction des hommes سطر ١٧٤، ٨٠

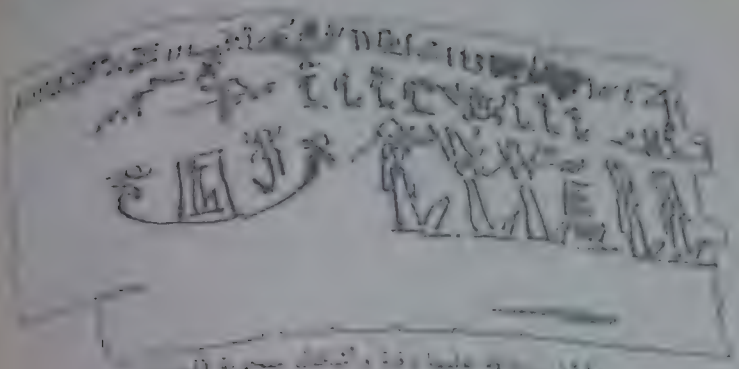

١٢١ ـ ... عليها رفة ... (ليس)

... صورة ريح الشمال من داخل عين أبيفة[١] وفي رقية أخرى، كانت تعتبر البيضة البيت الحيوانات الشريرة، وصيف إله الشمس بأنه «بيضة السماء» ذلك لأن الأرض مرة في بيضة وسط الأمواج (صفحة ١٠٠)، ولهذا كان يجب على «الرجل الذي يقف عند مقام السفينة أن يقبض على بيضة من الطين في يده»، لأنه بذلك يعتقد سكان السماء أنهم يرون الإله نفسه، فإن برزوا فوق سطح الماء ارتدوا في مذعورين[٢].

وكان من الخير فضلاً عن هذا ألا تتلى الأوراد مرة واحدة، وإنما أربع مرات[٣] على نحو ما جرت به العادة مع كثير من الدعوت منذ القدم. وقد ألحقت بها كذلك كلمة «اليوم»، كان ذلك علامة على أنها يجب أن تؤتي أثرها سريعاً. وكانت تضاف إليها في بعض الأحيان هذه العبارة: «الوقاء من وراء، الوقاء المقبل، الوقاء»[٤].

---

(١) Lange, Pap. Mag. Harris, S. 58.

(٢) نفس المصدر صفحة ٥٤.

(٣) Z. f. M. u. K. S. 52, Lange, Pap. Mag. Harris S. 58 f.

(٤) Z. f. M. u. K. S. 33, 35.

[illegible] ذلك أن مخطوطاً يحتوي على رقى الدولة الحديثة قد وصفها بأنها
[illegible] إنشادها»[1].

[illegible] التي يستخدم فيها السحر [illegible] العاصفة والزوبعة[2]. ويحمي في المعركة ضد السحر، وفي
[illegible] السحر، وفي كل مكان ضد أشد أخطار من [illegible] ويحمي المعلم
[illegible] الظل الذي [illegible] أحراماته للسلوك [illegible] وفضلاً عن ذلك فإنه يساعد على الولادة[3]. [illegible]
[illegible] وبه تحارب جميع السموم وجميع الخروج، وجميع الأمراض، كما
يحارب به تلك الذين يجلبون هذه المكارة، وهم الموتى. وذلك لأنه من عقائد
الشعب المصري القديمة[4] كما رأينا من قبل (صفحة ٣٢٥) أن الموتى الأشرار
يقرّون مقابرهم ويتربصون بالبشر، ولهذا ينبغي على الأحياء أن تحبس فعل
الميت والموتى الذين يسببون البلاء»[5]. فقد ترى الأم الجزعة طيف امرأة ذات
وجه مدبر تتسلل إلى البيت في الغسق تريد القيام من رضيعها مقام المحارمين، عند
ذلك تقول لها: «هل جئت تقبلين هذا الطفل؟ لست آذن لك أن تقبليه. هل
جئت تهدئين من روع هذا الطفل؟ لست آذن لك أن تهدئيه. هل جئت تؤذينه؟
لست آذن لك أن تؤذيه. هل جئت تنتزعينه؟ لست آذن لك أن تنتزعيه مني. عند
ذلك «يضيع» على الطيف «ما جاء من أجله»[6]. ولهذا أيضاً تتلو الأم في الصباح

---

(١) Lange, Pap. Mag. Harris S. 12.

(٢) Budge, Nesiamsu 121 ff.

(٣) ويساعد كذلك البقرة عند ولادتها وعاة مختصون بالسحر (مقبرة نوريمون، صفحة ٤٦. انظر أيضاً صفحة ٣٤٢).

(٤) تتجلى هذه العقيدة في متون الأهرام، انظر لمتون الأهرام ٢٩٠ ـ ٢٩٣.

(٥) Totb. ed. Nav. 92, 10.

(٦) Z. f. M. u. K. S. 12.

وليست هي الصيحة التي تعلق تعاويذها الصغيرة «أني رع إنك تشرق. إنك تشرق؟ إذا رأيت هذا الميت يذهب إلى فلان، والميتة، زوجة... فإنه لا يتبعه... ها أنا ذا أضع حاجزاً بين مراتبها. إذا رع، سيدتها، هو الذي ينجيني. فإني لا أسأل ذلك، إني لا أنعم حتى إلى الخلاص والنجاة من مملكة الموتى»[1]. إني لا أسأل

ويتربص الميت والميتة كذلك بالشياطين الباقعين، وكذلك ترى التعاويذ طيبة فيهما أصلاً للأمراض[2].

وفضلاً عن ذلك كتب للسحر، نمنح «القوة والبأس» لحد الأعداء و«السحر الرهيب». وقد جاء فيها أنه إذا صنعت تماثيل الآلهة والبشر من الشمع ثم دست في مدخل المعبد فإنها «تشل فيه يد الإنسان»[3]. ونحن إذاً نلتمس بهذه البيانات قبل كل شيء لوثائق قضية حكومية، يدل ما جاء فيها من تقرير رسمي على أن هذه المسألة كانت تؤخذ بجدة تامة. ولحماية الملك (هذا إن كان لك أن تثق في بيانات أحد الكتب المتأخرة) كان يؤدبها من أجله في كل صباح ضرب من السحر يحميه من أعدائه. ويتضح لنا ذلك إيضاً مما كشف من أشياء غريبة تبين كيف كان المصريون يستعينون كذلك بفن الساحر فيما كان يهدد الملك والحكومة من أخطار. فمن متون الأهرام نفسها نسمع عن تهشيم القدور[4]، أو كيف كان يؤدى هذا الضرب من السحر فإنه يدلنا عليه تلّ من كسر الفخار[5] عثر عليه في طيبة ومحفوظ الآن في متحف برلين. وهو يرجع على ما يظن إلى العصر الذي حكمت فيه مصر الأسرة الحادية عشر، حتى قبل أن تستحث الأولى على حكمها (حوالي ٢٠٠٠ ق. م). وما من شك في أن هذه

---

(1) Z. Ä. S. 48, 111.

(2) انظر ما جاء عنه في

Ebers l. 1; (3)

Pap. Leid. I. 348; Pap. Berlin I. (4)

(5) متون الأهرام ٢٤٩.

(6) Sethe, Aechtungstexte (Abh. Berl. Akademie 1926).

ونضيف هنا ذلك أيضاً أن هناك فناً آخر، كان يقي الملك، ويسمى [illegible] الملك. فقد كان يصنع [illegible] الملك لم تشبع تنجو به لوحة من البرونز عليها اسم الساحر [illegible] الملك. [illegible] يكاد يصنع هذا التمثال الثمين. فكان يؤخذ به [illegible] الأسكلم، ويختم على فم [illegible] لما تحت لحوت حتى فم [illegible] حتى يوزن على فم المنصب[1]. وترجع هذه الطريقة إلى [illegible] يضع ذلك من ورودها في هذه النصوص المتأخرة. أنها كانت [illegible] تأثير توضع تأثير [illegible] ولم يقصر الأمر على وجوب حماية الحلوق المسموم بالسحر، إذ لم يكن [illegible] حتى هذه الحالات [illegible] المسمم من خصومهم. وقد كان من المعروف أن [illegible] أن يأخذوا جزء السمك على زع لسانه[2]. وكان في طرح السحر الذي [illegible] الشمس بكلتا الأيدي الخارجة بالانحدار على الشخص المسحور. وبالطبع [illegible] سيئة[3]. وقد وجهت هذه التصورات سبيلها إلى عبادة الآلهة، فكانت تمثل [illegible] آلهتها في تمثيل الثورة بالسحر (صفحة ٤٠٩). و«السحر والكلام البارع» [illegible] من أسلحتها كل حين[4]. وقد تكلمنا بما فيه الكفاية عن الحصول [illegible] حيثما كان ينبغي أن يوفره السحر للمتوفى من حماية تامة، فالتعاويذ [illegible] والتمائم والعقد والشوك وعصى العاج، وتماثيل الأوشابتي، وسلاسل [illegible] والنوع الرئيس. كل هذا وكثير غيره إنما ينتمي للسحر أو يقاربه [illegible] وقد رأينا فيما مضى أن الأدب المصري قد قد أخذ يزداد طابعه السحري مع الزمن. وأصبحت أوراق البردي في الدولة الحديثة تعامل بمثابة التمائم تعلق [illegible] تلاوتها الميت أو الحي.

---

(١) Schott, Ae. Z. 65, 35 ff.

(٢) Destruction des hommes 78.

(٣) Budge, Nesiamsu p. 146.

(٤) [illegible] (Mar. Abydos II, 54 - 59) [illegible]

... هذا أيضاً مع الكتابات الطبية، على أنه في المواضع لا ...
... المؤلفات الدينية الكثيرة في الطب التي يذكرها، وتحتها العلاجات ...
... يحل شيئاً فشيئاً محل «الوصفات» الطبية

... التقدير العام الذي حظي به السحرة أن القيام به ...
... كان له محاذير الأحياء، وهؤلاء هم الكهنة ...
... وكان يشمل أعلى وظائفهم في الدولة ...
... وتحديدها مجموعة طريفة من الأقمصة من البردي ...
... كذلك لأمراض دنيوية. فقد اصطنع أحدهم من الشمع ...
... لصلاح التفهم في الماء وأنيا» وشق آخر بحيرة ...
... ليستخرج لإحدى السيدات حلية سقطت منها. وقد ساعده ذلك ...
... سقط محرف هو «خرطوم» باعتبارهم مفسرين للأحلام ...
... (١). وكانت رعاية السحر كذلك من واجبات «دار الحياة»(٢).

وهي مدرسة العلم في مصر، كما كانت كتب السحر تؤلف على منهاج ... وكان لها مكانها كذلك في مكتبات الملوك(٣)، إذ كانت في حقيقة الأمر ... في الأدب كالكتابات الأدبية أو كتب الحكمة. وكانت حميعها تدعي ... الحال بأنها قديمة جداً. فقد ألف أحدها إبه الأرض(٤)، وألف آخر إبه ... (٥). ووجد كاهن من العهد الصاوي كتاباً ثالثاً في قبر نور منيفس(٦). ... أن كتباً أخرى من نفس هذا العصر وجدت في قبر بجانب إحدى

... ر المحقق أن مؤلف كتاب دانيال، الذي جده في مصر منذ ... ، وأنني أعتقد هذا الحكم ... على السحرة البابليين، قد اقتبسها من قصته بنانويش.

Pap. Mag. Harris 6 (1)

Pap. Ambras 1 (2)

Destruction de shommes 58. (3)

Griffith, Stories of the high priests p. 28. (4)

Metternichst. 87. (5)

الجوميات، وكان من بينها كتاب إخناتون أمنحوتب الرابع، أو أمنحوتب الثالث، لاستعماله الخاص[1]

على أن في حقيقة الأمر من المشكوك في صحة أطلب العرائس [illegible] الفاتنة الرائقة، تدفع من أجلها الأموال العظيمة، والتي [illegible] الصحاح. وكثيراً ما تكلب بساطا من أوراد أو أغاني مجموعة [illegible] الجوقة فيه حتى للإلهات نوت أمن ونتار محبوبان، استدل فيها باسم [illegible] الولادة مسجلت، ثم أضيف إليهما جميع عبارات الجوقة، وبهذا [illegible] الخاصة بسير الولادات[2]. وأضيف إلى قصة إلقاء الشر التي ذكرناها من [illegible] أصبحنا (٢١) بعد أحاديث للآلهة في التعاليم، وبهذا أصبح هذا الكتاب [illegible] تحية لنا عليه الهراء، وكان جديراً بأن يفتش بهذه الصيغة في إحدى [illegible] الملكية[3]. وفي بعض الأحيان كانت تستخدم رقية لا تملك في قسمها [illegible] حدوده إذا اقتضى الأمر. فقد كانت هناك رقية تتحدث عن حمل الجوجيت [illegible] حوله جوجيس، لأن الغرض منها إنما كان مساعدة الأمهات. على أن رقية من [illegible] الوسطى احتاج إليه رفي للجوتي فاستخدمها بساطة رقية «للشوك في [illegible]»، وذلك لأن جوجيس مسني فيها بالعصا، على نحو ما جرت به العادة، [illegible] أصبح عدد كبير من الرقى في العهد المتأخر، بل لقد وضع كثير منها في [illegible] الحديثة فيها، ويتجلى هذا بوضوح في لغة وتصوراته الدينية الحديثة [illegible] أن الدولة الحديثة تمثل غاية في العهد الذي ازدهر فيه هذا العلم الحوشي.

---

(١) Pleyte, Chap. supplém., ch. 167 - 174, pl. 126 - 167.

(٢) [illegible] آيات من القرآن.

(٣) Z. f. M. u. K. S. 26.

(٤) Destruction des hommes, 56 ff.

(٥) Lacau, Textes religieux in Recueil 27, 56 - 58.

ويحسن بذلك عرض السحرة على الأسقفة فيما كانوا يشاورونه من
[illegible] السحر. وقد مترجمة من قبل بعثة أثرية
[illegible] الأدب الجنازي (صفحة ٣٢٣)، وإليك
[illegible] هذا التنين على سفينة الشمس، ويشتت السحاب، ويثير
[illegible] فوائد على سطح الأرض
[illegible] وكانت تحتضه «الشمرة على القيام بعمل رئيسه»،
[illegible] لأنه «شاهد هذا كله بنفسه»[1].

وكان مما اختص السحر به في العصر المتأخر صناعة تماثيل وشوهد
[illegible] كانت تقام في البيوت أو تعلق في الرقاب حماية من مختلف أنواع
[illegible] وكانت لبعض الكائنات المقدسة شهرة بأنها تساعد ضد هذا
[illegible] فهاك مثلاً الإله القديم شو بن رع، الذي يحمل اسمه
[illegible] أبيدوس أنوريس، لقد أصبح المصريون يتصورونه في هيئة

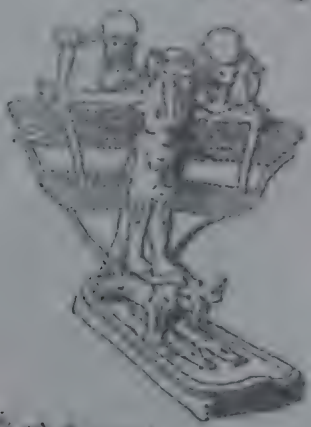

١٢٥ ـ تمثال مركب من أبيس وحورس وباستت وغيرهم بظهور الأسد والتمساح والثعبان (برلين ٨٦٧٧).

---

(١) Budge, Nerinmu p. 122.

«المعاريب الحميل»[1]، والمنقار (شد)، ويتمثلونه أميراً شاباً يختلف عن مركبته الأسود[2] وقد أخذ هذا الدور نفسه النصف إله بس، المعروف الرسوم ٢٢٠٨، والطفل المشوه الذي تسميه «باتيكة». ثم قبل كل شيء الطفل حور نفسه، الذي لا يستطيع أي حيوان شرير أن يمسه بأي ضرر. وكثيراً ما كانت هذه الآلهة معاً تشكل حمايتها أقوى[3]، فكان حورس الصغير مثلاً يعطي الرموز الحيوانية، ثم كان يؤلف من حنوم وتحوت وميس وحورس، أو حنوم وتحوت وميس وأنوبيس وأوزيريس وموت وياسنت شكل مركب، يبدو محتملاً غير أنه كان يعتبر لهذا السبب أقدر على فعل العجائب. وهي إحدى الحالات من أحد هذه الأشكال المركبة باسم آمون رع، مع أنه لا يكاد يكون فيه من آمون شيء يذكر. ويظن أن اللاهوت في الدولة الحديثة، وقد خلط بين الآلهة، إنما كان يعبر بهذه التسمية.

وتختزن هذه الأشكال، التي هي من عمل الدولة الحديثة كما ذكرنا، بالتمائم العديدة التي حاول الإنسان وقاية نفسه بها منذ زمن قديم. وكان من

١٩٦ ـ نصب صغير للوقاية من الحيوانات الشريرة: حورس برأس بس، وعلى جانبيه أحد آلهة الشمس وزهرة نفرتم (برلين ٤٤٣٤).

Pap. Mag. Harris 6,8 ١٩١

Berlin, Aeg. Urk. 5, 208, ١٩٢

(٣) هنا يلي انظر نفس المرجع ص ٢٤٩.

[illegible] ذلك الحبل الصغير، عقد به عدد معلوم من العقد، تبدأ «إحداها
[illegible] وأخرى في الصباح حتى يتم منها سبع عقد»[1] وكان من هذا القبيل
[illegible] أن تنظم سبع حلقات من الحجر وسبع حلقات من الذهب أو سبعة خيوط
[illegible] تعقد بها سبع عقد[2]. وكان من الممكن أن تضاف إلى هذا أيضاً أية
[illegible] عصية تكريس صغير فيه عظام فأر[3]، أو كلمات نقشت عليه صورة يد
[illegible] أو كلمة صغيرة عليها طائفة من صور الآلهة، أو أي علامة أخرى
[illegible] لنحفظ. وإننا لنعرف الآن هذه الأشياء الأخيرة وخاصة من التمائم،
[illegible] ولكننا لا نكاد نعرف عما كان ينسب لكل من هذه التمائم من كفاية، ولا
[illegible] التي كانت تعتمد عليه قدرتها على التأثير. ولا يكاد المصريون
[illegible] في العصر المتأخر يحدثوننا عن ذلك بشيء واضح. وكل ما كان ممكناً
[illegible] به هو أنه في سائر هذه التمائم تكمن «الحكا»، وهي القوة التي تسمو
[illegible] الطبيعة، والتي تملكها الآلهة، والتي تستقر في أسمائهم الخفية، والتي

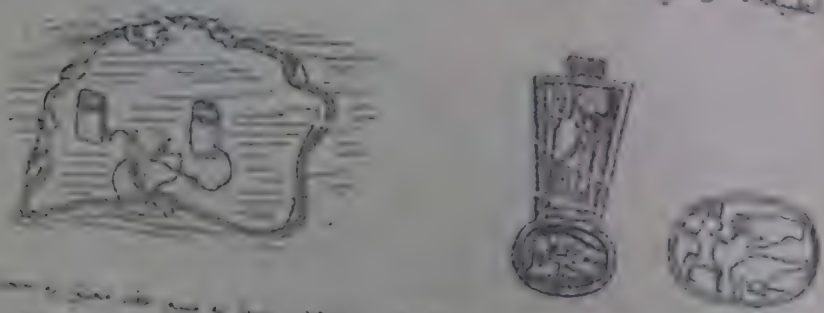

١٢٧ ـ تميمتان (برلين ١١٣٨٩، ١٣٢٢٣). [illegible] حجر به سبع عقد معلق به [illegible]
[illegible] ربما من الزجاج ١١٠٨٢

---

(١) [illegible]
(٢) نفس المصدر صفحة ٥٢.
(٣) نفس المصدر صفحة ٤٠.
(٤) [illegible] انظر كذلك [illegible]

يمكن كذلك أن نحل في الأشياء المقدسة كتيجان الملك الراحة بالنسبة
ومن شأن التمائم والرقى أن تنقل إلى الإنسان نصيباً من هذه القوة التي هي
يعتمد عليها فنّ السحر.

وليس في طوعنا هنا أن نتطرّق بالتفصيل إلى الكلام عن الخرافات
المختلفة، التي انتشرت في مصر إلى جانب السحر؛ على أننا نذكر هنا
صريحة أن النوعين اللذين سادا في مصر في العهد المتأخر، وهما
والكيمياء القديمة، لم يظهرا في الدولة الحديثة مطلقاً. ولم يظهر كذلك إلا في
العصر المتأخر - على وجه التأكيد - الاعتقاد في العين الشريرة، الذي تؤمن به
البلاد الجنوبية بأسرها. وإننا لنقرأ على لوحة صغيرة من الخشب كانت معلقة
يوماً في رقبة بتموستوس، أن كل إنسان ينظر إلى الطفل «محيت» هذا نظرة شر،
فإن الآلهة تكبه كما تكب التنين أبو فس[٢]. وكان يستحب في العصر المتأخر
تسمية الأطفال بأسماء كان يظن أنها تتقيهم العين الشريرة[٣]. بل لقد كانت
التعاويذ توجد في مكتبة إدفو[٤] «لصرف العين الشريرة»[٥].

ولقد كشف حديثاً عن ضرب آخر من الخرافات وهو كتاب الأحلام، الذي
ما زال يسمى في أوروبا في الوقت الحاضر «الكتاب المصري الحقيقي في
الأحلام»[٦]. وهي مؤلف على غرار كتب الأحلام في زمننا هذا تماماً، وتشبه
بعض تفسيراته ما لا يزال شائعاً بيننا من تفسيرات؛ فمن يرى نفسه ميتاً
فهو يعيش حياة طويلة؛ ومن يحلم بسقوط أسنانه فإن قريباً له يموت؛ ورؤية

---

(١) المتحف البريطاني ٥٧٤

(٢) Schott, Ae. Z. 67, 108.

(٣) Spiegelberg, Ae, Z. 59, 149 Folg.

(٤) نفس المصدر صفحة ١٥٣.

(٥) ليس من المؤكد إذا كانت العينان الشريرتان اللتان جاء عنهما أنهما يختمان باباً مغلقاً
(متون الأهرام ٢٦٦) لهما صلة بهذا الموضوع.

(٦) يجب الأخذ بمعرفة هذا الكتاب لما تفضل وأخبرني به أ. هـ. جاردنر.

ومعناه زوجة ثانية. ومن يحلم بقطة كبيرة، فإنه

من الخراف عبداً أو جارية. ومن يحلم بقطة صغيرة فإنه يكسب

ومن يحلم بأنه يأكل لحماً، فإنه يكسب مالاً. أما من يحلم

بأنه يأكل لحم الخنزير، فإنه يكسب مالاً حراماً.

هذه بعض الأمثلة التي تدل على أن الأحلام لم يكن لها بصفة عامة شأن هام[1]. إلا في

بعض الحالات حيث أصبح تفسير الأحلام يمارس بحماسة.

والأمر على نقيض ذلك في اختيار الأيام، أو بمعنى آخر في تصور أيام

معدودة من السنة أياماً سعيدة وأخرى غير سعيدة؛ فلدينا من الدولة الوسطى

وثيقة عن شهر وهبن ثمانية عشر يوماً طيبة، وتسعة أيام سيئة، وثلاثة أيام بين

هذه وتلك[2]. ومن الدولة الحديثة لدينا كتاب كبير يزودنا ببيانات مماثلة عن جزء كبير

من السنة، وكثيراً ما يحاول كذلك تدعيم هذه البيانات. فاليوم قد يكون سعداً أو

نحساً تبعاً لهذا الحادث أو ذاك مما جرى فيه من قصص الآلهة. وإن لنقرأ مثلاً

عن اليوم الثاني عشر من الشهر الأول للشتاء أنه «يوم جدا وأن الإنسان يجب فيه

أن يجتنب «رؤية فأر في هذا اليوم»، وذلك لأنه «اليوم الذي فيه «أعطى سخمت

الأمر» والمقصود بذلك نوع الذي أمر بقتل البشر (صفحة ١٠٤). أما اليوم الأول

من الشهر الرابع للشتاء فهو يوم طيب تماماً، وهو «عيد كبير في السماء

والأرض»، وذلك لأن «أعداء سبك خروا في طريقهم في هذا اليوم»[3]. ويبدو

أن هذه التفسيرات إنما نشأت عندما حاول المصريون أن يسلكوا الخرافات

الشعبية عن الأيام السعيدة والسيئة في نظام واحد، وعندما حققوا يضطرون من

التمييز بين الأيام علماً. ومن السهل أن نتبين أنهم اعتبروه على هذا النحو، لأن

البردية التي حفظت لنا هذا النص هي كراسة مدرسية أصلي، نسخ فيها التلاميذ

---

(١) عاد إلى حلم السحر في تصانيع لعربتاريخ نشر الأحلام السعيد والشر لاحقه وعليها ما

نابليون. انظر ما سبق صفحة ١١٩

(٢) Kahunpap. pl. 25; Text p. 62.

(٣) Sallier IV. 14. 2; 21. 2.

الفصل الثامن عشر

عهد الاضمحلال والعصر الصاوي

حينما كان كهنة طيبة يدعون رمسيس الثالث في مقبرته الفخمة، جعلوا إلى جانبه تلك الوثيقة العظيمة (صفحة ٣٨٠)، التي تسجل كل ما قدم الملك لمعابد مصر من خدمات؛ ولهذا فقد كان على الآلهة أن ترحبه في موته وتواصل تناوم على حماية مملكته. غير أنه يبدو كأن الآلهة لم تستمع لهذه الأمنية، إذ يظهر لنا - كما نرى من الأحداث الآن - أن موت رمسيس الثالث بالذات إنما كان نقطة التحول في تاريخ مصر، فقد أحدثت البلاد في عهد خلفائه تقهقراً لفترة طويلة من المحن. على أن كهنة طيبة أنفسهم كانوا يستطيعون بلا شك أن ينظروا إلى المرحلة الأولى من هذه الفترة من المحن، كأنها لا تزال مرحلة عظيمة في تاريخ البلاد، إذ تحقق فيها ما كان يلوح لهم منذ عهد بعيد كأنه من غير شك أسمى مثل، فقد استولت السلطة الروحية على الملك، وارتقى العرش حريحور (حوالي سنة ١١٠٠ ق. م) الكاهن الأعلى لآمون. ولئن كانت مملكة الكاهن الأعلى وأسرته قد ظلت ذات طابع دنيوي، فما من شك في أن المبدأ الذي اعتمدت عليه إنما كان مبدأ السيادة الدينية. فقد كان آمون يحكم البلاد عن طريق كاهنه الأعلى. وعن طريق الزوجة المقدسة، التي تتحدث عنها فيما بعد (صفحة ٤٢٥). وسنرى كذلك فيما بعد، عند ترسم مصير الديانة المصرية في البلاد الأجنبية، كيف تطورت هذه الحكومة الدينية في مكان آخر نضجت إليه

على أن من المحقق أن مملكة هذا الكاهن الأعلى لم تكن لتستطيع أن

(١) التقرير عن رحلة أونا مون Lit. S. 226. ff.

فإذا كان الأمر يتعلق باستدعاء بعض المقربين بعد نهاية سيناريو، مثل
أحد أيام الأعياد بجلالة هذا الإله المجيد، سيد الآلهة، أمون رع، ملك الآلهة
فيأتي إلى الأقنية المقدسة في معبد أمون، ويستقر ... في يوم عيد
الجلوس، ويستقر جلالة رئيس الآلهة أن يأمر الحاشية المقربين منه في
وأنه يرغب أن يمنح الإله على الحد بعد ذلك في الواحات. لما يرجى أن
هذا الخبر على عجل، فيكلف الإله بعمل وأنه كثيراً كذلك أن

وفي حالة أخرى تعرض تحوتمس، أحد كهنة آمون المقربين منه، لأنه
مرض، وهو أنه ارتكب اخطاءات في شؤون الإله. وفي صباح أحد أيام الأعياد
عندما ذهب الكهنة بصحبة الإله في قاربه ويسير حول به على الأرض المقدسة في
معبد الوجه القبلي في محفة رحلاتان، جاء في أحداها: وفي أمون رع،
ملك الآلهة، يا سيدي الطبيب! يقال إن تحوتمس هذا المشرف على الضياع
يعرض شيئاً مفقوداً، وعلى الأخص وأني أمون رع، يا ملك الآلهة، يا سيدي
الطبيب! يقال إن تحوتمس. هذا المشرف على الضياع لا يحرز شيئاً مفقوداً،
بعد هذا سأل الكاهن الأعلى عما إذا كان يريد أن يقضي. فأبدى الإله المعظم
موافقته الدائمة، ووضعت الرسالتان حين يأذن الإله المعظم. فأخذ الإله المعظم
الرسالة التي جاء فيها: وأني أمون رع، يا ملك الآلهة، يا سيدي الطبيب! يقال إن
تحوتمس، هذا المشرف على الضياع، لا يحرز شيئاً مفقوداً. وقد تكرر هذا مرة
أخرى، واختار الإله الرسالة التي تروي: تحوتمس، فإذا أحسنت الفهم فقد كان
الإله يزيد ولده من كل نعمة. وأخيراً منح تحوتمس بهذه الطريقة عفواً عاماً
وانتهى الأمر بأن افترح على الإله، أن يعتب تحوتمس في وظيفة الأب المقدس
لأمون، والمشرف على الضياع، والمشرف على الشؤون. وترتيس كتاب الوامر

Breasted, Ancient Records of Egypt, Part Two, pp. 22-23.

كتاب المنزوعون لضياع آمون». وقد وافق الإله كذلك على هذا الا يكون قد ندم على موافقته[1].

[illegible] أن آلهة أخرى غير آمون كانت كذلك تحسم المنازعات [illegible] هذا العصر [illegible] كان في الواحة الداخلة نزاع قديم على ملكية [illegible] وقد فصل فيه أحد الأمراء في عهد الملك شيشنق، إذ حكمت هذه [illegible] الإله المحلي سوبك في عهده أن قرن هذا الإله أمام الشهود أن البيانات [illegible] في القوائم صحيحة، وأن العين لفلان لا لغيره.

وهناك ناحية أخرى طيبة من شك في أن السلطات الواسعة التي تمتع [illegible] الواحات إنما كان يعتمد على ظروف محلية، إذ أنه سوبك في هذا [illegible] معروفاً معبوداً في غير ذلك من المواقع. لقد ظل المصريون آلافاً من [illegible] يؤمنون في اطمئنان أن ست قد قتل أوزيريس وأنه فعله بغير الحق، [illegible] على الرغم من ذلك قد ظلوا يعدونه من بين الآلهة العظيمة. غير أن [illegible] التي كانت تلصقه به أسطورتهما، أخذت تزول مع الزمن، حتى إنه [illegible] الملك سيتي (حوالي سنة ١٣٠٠ ق. م) مقبرته الصخرية العظيمة لم [illegible] من المناسب أن يذكر في هذا الغرف، التي يسود فيها أوزيريس، اسم [illegible] وإنهدا احتفظ الملك إلى أن يوافق على ألا يسمى في مقبرته الجنائزية إلا سيتي «المختفي إلى ست» وإنما باسمه الأوزيري. وقد ازدادت مع الزمن تزاهة الشعب لست. حتى لقد كان على من يكتب اسمه أن يمحوه بنفسه[2]. وإذا كان من تماثيل أحد المعابد تمثال لست فقد كان رأسه[3] يشكل على هيئة رأس أوزيريس المشابهة. ثم كانت صورته تمحى - آخر الأمر - من القرائن المختلفة، فقد عد الإله القديم شيطاناً وعدواً لسائر الآلهة. ولعل الدور الذي قام به ست في العواصف.

---

(١) Naville, Inscr. Hist. de Pinodjem III.

(٢) كما هو الأمر في برديات وجدت بين عهد الأسرة ٢٢.

(٣) تمثال في الفوز من مجموعة برستد، يشتمل على كوبنهاجن.

وأم تجلب حكومة آمون في طيبة نعماً كثيرة لملايينه. وإذا أضفنا
ذلك في الأحداث التي لا يمكن أن تكون، حتى من وجهة نظرنا، الا أسباباً
وصيدا في عهد خلفاء رمسيس الثالث بدأ الكفاح مع الفلسطينيين الذين
بالمصادر أنهم جرمياوات الملوك بالمدن وما كان معها من دساكر. وإذا أضفنا
أيضاً تحقيق الهوى في هذا الشأن في عهد رمسيس التاسع. وفي عهد
الكهنة وقبل أنه لا أمل في هذا الكفاح. والتحنيط مومياوات الملوك في أماكن
كان يرجى أن تكون فيها في مأمن أوفى فنقلت مئة مومياء رمسيس الثاني وأمه
في مقبرة سيتي الأول، ثم بعد ذلك في مقبرة أمنحوتب الأول. وأخيراً لعلى ما
أمكن إنقاذه من مومياوات الملوك فهي شقّ في الصخر غير بعيد من معبد الدير
البحري. وفي هذا الشق جمعت أخفيت إلى ذلك كذلك مومياوات الأسرة الحاكمة
الحادية. وإذا فكرنا فيما كان يجيء - عند الشعب المصري - سلب السلوك الموتى
وأعضاءهم وأرصدتهم. فإنا أن نقول إن هذا الله يعد من أسوأ ما كان يمكن حدوثه
في طيبة

وأي جدت قوة الكهنة في ذلك القرن ازدهرت قوة أخرى هي قوة الجنود
الأجنبية. فمنذ نهاية الدولة الحديثة أقام في أماكن مختلفة من البلاد المحاربون
من الليبيين، وفي حوالي سنة ٩٥٠ ق. م. استطاع أحد زعمائهم - وهو شيشنق -
أن يقيم بحد ملكاً في بوبسطة، وقد تمكنت السلطة في أسرته عهداً طويلاً.

وهذا فاتت إلى ذلك إلهة بوبسطة. وهي الإلهة باستت ذات رأس القطة. إلهة
الخصبة. كما لم تفت الآلهة الأخرى للمدينة أن تحتفي بمقدم ملوك هذا العهد

ومن ناحية أخرى لم تفقد الهالة التي كانت تحيط العاصمة القديمة في
نفوس سكانها. فأبدى ملوك بوبسطة لآمون الاحترام والتبجيل، واستأنفوا من
جديد تشييد المباني الضخمة في الكرنك. وبهذا برهنوا على أنهم كذلك من
أتباع آمون. وقد كان لهذا أيضاً أسبابه المادية، فقد كانت طيبة من الأملاك التي
يجدر الاهتمام بها والجهد من أجلها. على أن أحداً من الأسرات الحاكمة في
العصر المتأخر لم يمتلك طيبة رسمياً، إذ كان لا بد لها جميعاً من أن تعمل

١٢٩ ـ الزوجة المقدسة عنخ ـ نس ـ نفر ـ ابب ـ رع
(برلين ٢١١٢)

سبباً لخرافة عربية ظهرت في تلك القرون، وهي أن طيبة لن تتبع بعد هذا أميراً من البشر، فقد كان لها سيد إله هو آمون، ولم يكن معنى سلطانه في الأرض تحته الأعلى، كما قد يظن، وإنما كانت «الزوجة المقدسة» أي زوجة الإله في الأرض (صفحة ٢٧٨). وبهذا غدت طيبة أشبه بإمارة روجية تقوم بالحكم فيها سيدة من الطبقة الراقية، ولا بد أن كانت كل أسرة حاكمة تطمح في الحصول لإحدى أميراتها على هذه الوظيفة السامية وما يرتبط بها من ثروة. ولما كان من حقها وفقاً للقانون أن تورث منصبها الرفيع إلى ابنة حاضنة لها، فلم يكن بد من ان تخلفها. وقد حدث هذا كثيراً في ذلك العصر وفي القرون التي أعقبته، وإن مدس إذا اقتضى الأمر من أن تجير السيدة الحاكمة على نجني من تطلب السيادة الإنسان ليضحك إذا قرأ في أحد نقوش أسمنتيك الأول ما يطل به نسلاً من هذا القبيل. فإنه إقراراً بحميل آمون قد وجد أنه مضطر لأن يهب ليلاه بنت الريس وبهذا قدمها للزوجة المقدسة شب ـ إن ـ أوبت «لتكون ابنتها الكبيرة»، وأرسلها عام ٦٥٥ ق. م. إلى طيبة في احتفال كبير، حيث استقبلها السكان جميعاً «فلما وصلت إلى الزوجة المقدسة شب ـ إن ـ أوبت، نظرت هذه إليها وسرت

بها وأحبتها»[٢]. ولنسره أن يظن أن النساء اللاتي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[

[illegible] أن الفترات من الأيوبيين تتلاشى تقريبا [illegible] إلى متاح إلا بشق قد تعم كذلك بالحظوة عند الأيوبيين الأتراك. [illegible] هؤلاء الملوك الأيوبيين عادة أسرات صغيرة من أهل بيتهم، على [illegible] من خلفهم ملوك الشورة الذين استولوا على مصر من بعدهم. ولم تعد [illegible] الشخصية والرقابية إلا عندما تجيء أحد أسرة سابقة أيضا الحكم. وهو [illegible] الأول (حوالي عام ٦٤٥ ق. م) في تحرير مصر بالجنود المرتزقة [illegible] والكاريين من كل سيادة أجنبية

[illegible] نهاية القرن الثامن نجد كذلك علامات قريبة لانقلاب [illegible] في [illegible] الشعب. فإذا كان عصر رمسيس الثاني قد انتهى حتى ذلك الوقت [illegible] العظيم في مصر، بحيث كان يحتفل به حتى في المقابر الخارجية، فقد [illegible] الآن مثل أعلى آخر وهو الدولة القديمة[٤١]. وإذا انتقى هذا الاتجاه فهو في [illegible] حكام، سواء الذين الملوك الأيوبيين الذين كانوا يحكمون في مصر العليا، أو [illegible] حتى منهم من أسرة سابقة. ولما استطاعت أسرة السماتيك هذه أن تحكم [illegible] من مصر مرة أخرى حكومة مزدهرة. كان هذا الاتجاه من القرن بحيث يعتبر [illegible] الختام في آثار هذا العصر أنه قد ارتد إلى عهد خوفو. وأن الأمر يبدو أن [illegible] الشعب وقد هرم، راح يعسو إلى الشباب الضائع، الذي عاش فيه لنفسه. لا [illegible] شيء من سائر المؤثرات الأجنبية. وهو ذلك العصر، الذي ظلت آثاره [illegible] تسير شاهدة على عظمته. ومهما شاقنا ذلك البحث عن الفردوس المفقود، فمن

---

٤١١ وصفت هذه الحركة الشعبية بأنها إحياء للشعب المصري من حيث هو. على أن هذا يميل أن يقود إلى الخطأ. لأن الأمر لم يكن يتعلق بالعثور مجددا على روحه الأولى، وإنما كان على النقيض من ذلك يتعلق بالرجوع عن قصد وإرادة إلى مرحلة من الثقافة تخلفت مصر منذ مدة طويلة. وهذه هي الظاهرة المحزنة التي تحدث في بعض الأحيان عند الشعوب الأخرى في عصور المحن والشدائد، فيتخيل الشعب أن كان أسعد حالاً فيما مضى، ويفضل كثيرون أن يستطيعون خلع الحاضر المرير من أنفسهم فلا يعود أنها شيء غريب عنهم.

(٢٨) ب ( ) ( ) Bloodletting

(٢٩) براون ١٩٧٤م، ص ٢٠٧. وقد ترجع هذه النقوى المفرطة إلى ذلك الإنعاش الذي نالقاه في بداية

(٣٠) انظر الصفحة (انظر ص ١٥٨ وما بعدها)

١٣١ ـ قفلة مقدسة مع مفتاح من البرنز
(برلين ١٣١٢٢)

١٣٢ ـ صندوق مقدس من البرنز
(برلين ٢٥٧٠)

من الأعمال التي تحلى عليها الثوات فيها هي التي سيدة تابية تقول عن نفسها في إحدى البرديات ما تحتاج إليه الأرواح التابية (أي أرواح المتوفاة)، حتى تكون لديها القطور والملابس الفاخرة عندما تصعد أرواحها إلى السماء[1] وكان أشهر تلك الحيوانات جميعاً أبيس[2] (صفحة ٤٩)، وكان يحفل في يوم

١٣٣ ـ أبيس الميت في نعشه من داخل سفينة، تبكيه إيزيس ونفتيس (برلين ٧٤٩٤)

---

(١) نص من عهد البطالسة في مجموعة السيدة مي.

(٢) جاء عن هيروبوس وصف لهذا في الجزء الثاني صفحة ٩٣ ثم عبادة تماثل إله كل عام
بقرة كان عليها أن تلد عجلها كعبداً لهذا الثور، ويلاحظ أنه يكون بعجول أسود ...

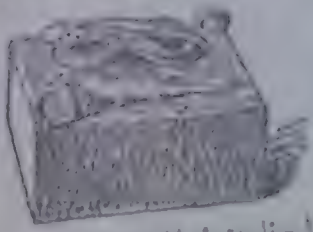

١٣١ - تابوت ثمبان وعظامة (؟) (برلين ٨٨٤٦)

وخشب فم؟ وخشب الأرز ومن صفوة سائر الأخشاب»[٢]. وفي عام ٥٤٧ جاوز الملك أمازيس، ظهير الإغريق استهوتهم، سائر ما كان يؤدى لأبيس حتى ذلك الوقت. «لأنه أحب أبيس أكثر من أي ملك آخر. فصنع له تابوتاً كبيراً من الحجر الأحمر، وذلك لأن خلائقه لم يحمد أحداً من الملوك في أن يحمر قد صنع له تابوتاً من الحجر، وجهزه بالأكفان والتمائم وسائر التحنيط من الذهب

---

(١) انظر Rec. Trav. 21. 63. 22. 176.

(٢) نفس المرجع ٢٢، ١٦٦.

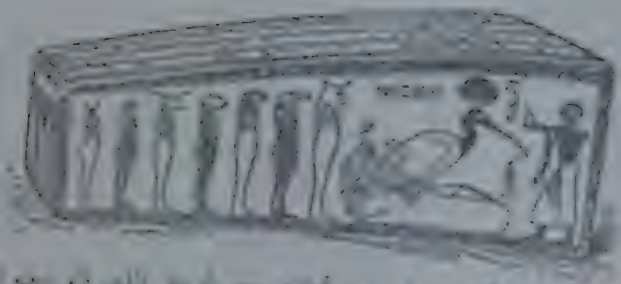

١٠٤ - رسم من الجانب الأيمن لمحل ومن أمامه يجر الرجل الذي أمامه الرأس ١٠٣

ويختلف أنواع الأحجار الفاخرة، وكانت أجمل من كل ما صنع من قبل[1]. وكان هذا التابوت أول تلك التوابيت الضخمة، التي لا زلنا نعجب بها اليوم في مقبرة، وهي عبارة عن صناديق كل منها قطعة واحدة من الجرانيت طولها أربعة أمتار وارتفاعها يزيد على ثلاثة أمتار.

وفيما عدا ذلك تنافس الملوك الصاويون فيما بينهم في العناية بالآلهة، وقد بدأوا من جديد المباني الفاخرة والأوقاف الواسعة للمعابد. وخاصة ما كان منها في سايس، العاصمة، التي أصبحت إلهتها نيت (صفحة ٢٥٩) تحظى بأسمى مقام. وقد عمل سائر ملوك هذا العصر المشهور بكل فخر - سواء كانوا ليبيين أو صاويين - على ترميم آثار الماضي، وتجديد ما كان قديماً من المعابد إلى كتاب مسمعه الأحداث، والنهضة الدينية، واستبدله بأساليب الأسلوب بلمحة من الجرانيت الأسود[2]. وبلغت من جديد طوائف الكهنة التي اندثرت وغشيها النسيان؛ وإن القارىء في إحدى نصوص العصر المتأخر للألقاب التي لا تنتهي للكاهنة لينبس في دهشة معنى ما انتهت إليه من أشباه مرة أخرى.

---

(١) نفس المرجع ٢٢، ٢٠.

(٢) Brussel. Ae. Z. 39. Tafel. 1, 2 وهو نفس التابوت الذي سبق الإشارة إليه صفحة ١٠٥

وقد حذا المصريون حذوهم في البحث عن الأدب الديني الفلسفي الكامن في بطون الكتب في مكتبات المعابد، وبهذا يرد إلى النور من جديد مختلف الأفكار التي قامت عليها العقيدة. وإذا كانت أغلب هذه الحكمة المكتشفة لم تعد إلى الشعب، فقد زادت تعلقاً في اضطراب الديانة الرسمية، وقد كان هذا الاضطراب يغير هذا كثيراً حقاً بدرجة كافية. على أن الإيمان الديني كان مما يشغل رجال الدين في العصر المتأخر، لأنهم لم يكونوا ليشعروا من الأشياء المقدسة. وقد حصروا هذا كله وراءوه في نظام جميل، ولا بد أن كان في ذلك المتعة الكبرى لهؤلاء العلماء. ونقول: لا بد، وذلك لأن مؤلفاتهم الخاصة ضاعت، بحيث لا يمكن أن نكوّن صورة عن هذا العلم في الحقبة المصرية المتحضرة إلا بما خلفه لنا علمائهم. كهنة المعهد البوناني هم هم الكتبة وفي شؤون معابد القرون التالية نجد قوائم بأسماء الآلهة كلها وبعوتها فهي تحدثنا مثلاً بالذي يجب أن نفهمه من مسخت إلهة الولادة «مسخت العظيمة تسمى تكست، ومسخت القوية نوت ومسخت الجميلة إيزيس إلخ»[1]. وعلى جدران المعابد نجد بيانات تبين كيف نظمت في كل مقاطعة سائر المسائل المقدسة. وكانت مصر السفلى بالرغم من اختلاف شكلها تتقسم إلى عدد من المقاطعات يماثل تقريباً عدد مقاطعات مصر العليا، ومن الغريب أن في سائر هذه المقاطعات أشياء متماثلة تماماً، فقد كان في كل منها إله وآخر

---

(١) مولفة برلين ٢٠١٩ من المعهد البوناني وتكلمها بطريقة الحال نسخة من نفس هذه

من الواحات الخارجة، وكانت أعلى، وأقامت عليها، وجعلت عاصمة، وشيدت مقاصر، وقلاعاً، وأراضي وأقرتها الفيضان، ومستنقع، وكان أهلها قد أسسوا فيها ويجب على المرء أن يعرفها كما كان يجب عليه معرفة ما في ذلك أن يعرف تاريخ أجدادنا الفراعنة، وما كان يحترم فيه. فما كان أجمع من أن يتحقق الإنسان من هذا الذي يدل على عظمته، وما أعظمها من عبرة!

وليت الأمر كان مقصوراً على جمع وترجمة الأسماء المتعلقة بهذه الناحية والعناية القديمة! بل لقد كان يجمع بعد ذلك كل ما كان قديماً وتاريخياً وما يتعلق بمسألة عن مكان نشأته، وبعد أن كان له قيمة حقيقية إذا كان أجدادنا وجدت مشهورات السحرة، فالأشكال المختلطة للآلهة المتعلقة، نسبتها إلى الديانة[1]، بل إنه لم تكن الرغبات المخترعات الصحيحة، وقد كان كثير من الآلهة يمثل في الغالب كهيئة الطير، مثل حورس صقراً، وبحث وتعلم، ويتحول في شكل أبي منجل، وقد أصبح من الممكن لهذا أن تتبع الآلهة العظيمة الملاطفات جسد الطائر. وبهذا أصبح حورم صقراً وأبي كبش، وأصبح صقراً وأبي ابن آوى، وباستت صخراً وأبي قطة وعلم جراء، وأخل من هذه الوقائع فضلاً عن ذلك تاجها الخاص.

١٣٧ ـ خنوم في هيئة الصقر
(من معبد دندرة)

وتدل هذه الأمثلة مما فيه الكفاية على ما صارت إليه طبيعة عقائد المصريين في العصر المتأخر. فقد كان لا بد من شيء يقيم عندها أهلاً للتقديس وجديراً بأن يرفع من شأنه، حتى أنه هي نفسها لم تعد تتبع أشياء حسية كثيرة

(١) في الواحة الخارجة: Hoskins, Visit to the great oasis, pl. 8.

١٣٩ ـ صورة صاحبة الأهرامات بن حابو من تمثاله في القاهرة

هذه الوثيقة قد يتحدر السلطة إلى أسرة من كان على مقطع الأرض في
وهو أمير بر، ملك الأبهة، وملك الأبد، ملوك الآلهة وحاكمي المخلوقين،
ملك فيها يعد هذا أن أي مرتكب الشر في المستقبل لا يعمر بعد أولئك
ويصيبه [illegible] حتى أن رجلاً منهم ليسب إلى أي من الملوك وحوادثه إن
عمل ما هو خطأ، أو لا يتداخل من أعمالهم إذا أصدروا أمرهم، فإنه يصيبه أن
مؤلاء الأشياء ترد عليه الكوارث. إنه لن يدعهم يشرعون في وظائفهم
وسائر أيام في لعب الملك يوم ملده، وسيئت ناحيه الشر على رؤوسهم
ويعترفون في الشر حيث تحتى أجسادهم؟ ولن يحصلوا كذلك في أيام
ومستقرين في القبر بعد طعام ولا ماء. أولن يعين الملوك في مراكبهم
وحوض إستهم الماء أمنهم؟ وهكذا يستمر تهديد هؤلاء الموظفين، على من

---

(١) يعني من هنا أن أمور في العصر الذي تركت فيه هذه الوثيقة قد أصبح يعم فيه الا
حدى الصوص شأن أوتوريس في ذلك.

الإله [illegible] يحمل [illegible]

[illegible] الشهرة. كان يلاحظه أحد في مصر قديماً، وكان لهذا يشعر أنه [illegible] عليها نوع شهرة. لهذا رجا الأمير أن يرسل إليه الملك إلهاً شيئاً بأن [illegible] فعرض رمسيس هذا الرجاء على الآلهة العظيم حسنو هرجونب، وهو إذ [illegible] يحت حسنو الصغير الذي يحكم في طيبة، وأن يفعله كذلك فوراً.

وأستحسن حسنو الكبير رأيه موافقاً جداً على الاقتراحين. فما ومن [illegible] الصغير يحتن، حيث استقبل باحترام عظيم، وسمح له بتطهير الأسرى من [illegible] الشهرة، على أن أمير بحتن أراد أن يحتفظ بهذا الإله صانع المعجزات، فبعد [illegible] ثلاثة أعوام وتسعة أشهر، ولم يقتنع بأن يأذن له بعودته إلى مصر. إلا بعد [illegible] رأى رؤيا. وقد زود بالهدايا الفاخرة، وذلك حسنو الصغير لأنه لم يجد بحتن [illegible] وأنه لم يعثر على شيء لحسنو الكبير، ولم يحتفظ لنفسه بشيء.[1]

---

[1] ويتبع أن هذه القصة تنتهي على رواية من نهاية الدورة الحديثة. وقد ذهب الظن إلى أن بحتن هي باكتورين، التي عرفها المصريون في العهد الفارسي. وقد رأينا فيما سبق أن تماثيل الآلهة كانت ترسل حقاً من بلد إلى بلد آخر، وأنه كان يخشى ألا ترد.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) لقد كان حقاً يعتبر إلهاً للشفاء، ففي بعض النصوص من عهد بطليموس الثاني يشبه بأنه يطرد الأمراض، وينفي الأرواح والموتى، وقد أنقذ كذلك الملك من العالم السفلي وحققه من الطاعون (انظر: Sethe, Urk المجلد الثاني ص ١٠٨ وطبعة، باب الإضافة)

الفصل التاسع عشر

العهد الفارسي

إن الصورة التي عرضناها في الفصل السابق عن حياة مصر في أواخر العصر المتأخر يمكن أن تنطبق كذلك في جوهرها على فترة العهد الساعة الفارسية التي استهلها قمبيز حوالي سنة ٥٢٥ ق. م. وإذا حقاً نكبة للنهاية بالنسبة لأبناء وادي النيل الفارسي كان يأتيه من مصر، والعهد الذي عرف بالعصر المتأخر. وإلى جانب ما لهذه الأمة من عظائر الآلهة والكتب من المعابد، فمن المحتمل أن تلك التي يكن لأبناء وادي النيل عجزها تبياً مقدساً، وإنما كانت عندهم عجزة عظائم لهن للفرس أن يلك من يتولى عليه. ألم يقل في حقه أيضاً ساخراً أن يخزنه معابد مصر عجيبة، وبع ذلك فهناك سبب غريب[1] يدل كذلك على أن قمبيز لم يستطع أن يجتذب إلى اعتناق الرجال الذين. فقد كان لهم في حقيقة الأمر مثال في محيط قمبيز إذ حقاً خلصاء من عليه الخاص «أوزوحر - حر - رسنت». وقد عرف هذا الطبيب أيضاً بتبرز الخصائص من أجل سايس حتى الآن، فقد «زين الملائكة سخمت حقد سايس... ومقدار عظمة معبد نيت». وجزء جميع معابد سايس. وقد وقع الأمر

---

[1] إن هذه قصة الحالة المعروفة في القرن الخامس قبل ٥٠٠ إلى العالم المصري في ذلك الوقت حينما بكى ثور أبيس المقدس الذي يلي سقيفة. وعلى هذا كان الأسطبل يزينهم الواقع عند الشاة المصرية. وكان الأمير فيما بعد يعرفون ذلك أن قمبيز من المؤمنين. انظر: Kings Persian Egyptian Relations, Sidebotham, صفحة ٦٤.

[2] الحالة في المخطوطات أو من الخلاصة: داطر، Sidebotham, No. 22, 23.

العصر في العهد المتأخر. فإذا قص علينا ديودور بعد ذلك أن المصريين في أيام حياته إلهاً فقد يكون هذا صحيحاً، وذلك لأن شاعراً مصرياً مدح برلين بوينا داريوس وهو يجلس على شكل الصقر[1].

وفي عهد داريوس الثاني اختصت الحكومة الفارسية كذلك بأن أكدت مصر أن الكهنة قد قاموا بعمل جليل لمصر البطلمي فتوته في عهود تجمع حقوق [illegible] الحاكم الفارسي ساء على شكواهم عدده من السياسة وحرقه غير حاكم [illegible] اليهود الذين فرضوا ملابس الحرب، وحاموا مع أسلافهم وأولادهم عند [illegible] الوقت»[2].

وما يعرفه من مصر نفسها عن العلاقة في العهد الفارسي ليس بشيء [illegible] أن هناك تمهيداً سبق لنا من هذا العصر واللات تقريراً حياً لأسد الإغريق في حوالي سنة ٤٩٠ ق م جاب هيرودوت مصر، وكان فوق الملاحظة شديد الانتباه لا يغفل. وقد اهتم بصفة خاصة بنفس الأشياء التي تهمنا هنا. وانتهى لاعتقاده الجازم بأن هذه الآلهة المصرية ليست شيئاً آخر غير أسمائها الحاملة لأوزيريس وإيزيس حتى هما ديونيسوس وديميتر. وحورس هو أبولون وست عند الآلهة إنما هو ليقون الحمار. وبيت إلهة سايس إنما هي أثينا، وبيت باستت وأبوت هو ليتوسيه. بل إن باستت ذات رأس القطة إنما تتفق مع أنتيس وعلته أن أوزيريس وإيزيس يشغلان الحزام الأوسط للدولة. وهو ما يجب أن ننظره في ذلك العصر، فهما الإلهان اللذان كان يعبدهما المصريون جميعاً. وهو يحسن الزهو والفخر بأن الكهنة أناحوا له إلقاء نظرة على أسرارهما، وهو يأثر ذلك في صراحة، ولم أنه لا يخبرنا بشيء عنه، حتى يقال أنباً عن [illegible][3].

---

(١) برلين ٧٤٩٣.

(٢) أنظر: Ed. Meyer, Der Papyrusfund von Elephantine. Leipz. 1912. S. 78 ff.

(٣) Herodot II. 42

(٤) نفس المرجع ٦١

وكانت المحرمات المقدسة من الحيوان للمرأة، وهي أعداء لها يقدر ما كان ما قال لها من الشر مفرط. وهو يعزوه إلى أسباب، التي شاعت في هذه الديانة المصرية القديمة، أنه نشأ من شعاع من السماء، وأنه أسود، وأن عينيه نار مرعبة، وعلى ظهره خطوط سود، وهو ثابت من الثبات، وقال إن الحيوان الحقيقي، اختلفت مصر جميعاً، له في ملابس الجنائز والأدوية المحنطة[1]. وأسم بير الهيروغليفية (السوبلس)، الظاهر المتشابه في الديموطيقية، لأنه لا يظهر، لقد حلته الكهنة فقط، إلا أن جسمه قد يحمله أحد السعيد حتى أنه في بقعة من الشر[2]. وقد أراد المصريون أن يجعلوا مصر العليا تمساحاً مقدساً محلى بالذهب والأحجار الثمينة في أذنيه وقدميه الأماميتين[3].

ولم تكن هذه الأمثلة المفردة، التي كان يعنى بها في المعابد، وتقوم على حمايتها السلطة، وتطعمها الأطباء، تعيش وتموت آنذاك، وإنما أصبحت قداستها قد امتد على سائر أبناء جنسها، على النمر والتيوس، والكلاب والقطط، وأنواع الطير والتماسيح، والحيوان والثعبان، والضفدع وأبناء مجتمع، والجرع (الجعر) من الأسماك، وتعاليم السماء، فكان إذا مات حيوان، كان عليكم الحزن في البلاد التخلط أشد من تفكيره في أطفالها[4]، وكان من يتهمه التسبب بموت حيوان خاص ميتاً سعيداً[5].

أيا من كان يقتل عامداً حيواناً مقدساً، فإنه كان يلاقي نفس عقاب نفسه، بل كان قتل أي منحل أو مختبر، حتى وأن خطأ، يعني موت عظمى

---

(١) نفس المرجع ١٥٣، والكتاب الثالث من فقرة ٢٧، ٢٨.
(٢) نفس المرجع، الكتاب الثاني، ٧٣.
(٣) نفس المرجع ص ٦٩.
(٤) نفس المرجع ص ٦٦.
(٥) نفس المرجع ص ٩٠.
(٦) نفس المرجع ص ٦٥.

١٤١ ـ مومياء (برلين ٦٩٤٢)

وكان لكل نوع من هذه الحيوانات مكان ينبغي أن تنقل إليه جثة من
ذلك، فكانت أطلال النقط تحمل إلى بوسطة، وجثث الثيران المقدسة
إلى بوتو، وجثث آباء منجل إلى الأشمونين[1]. فإذا مات ثور دفن أينما
حيث كان يترك أمه قرنه بارزاً في الأرض علامة عليه. لأن أهل
في النطة كانوا يحبون الملاء ويحسنون نظام الثيران المدعوة في
أن البقر الذي كان يعتبر أقدس الحيوانات جميعاً.. لم يكن
النحر، وكانت تلقى في النيل[2]. وقد يعد المرء هذه الصورة التي
هيرودوت مبالغاً فيها، ولكنها صورة صحيحة حقاً، وذلك لأنه
مكان من مصر مثل تلك المقابر العامة للحيوانات المقدسة من
المقابر التي دفنت فيها النطة منذ الآلاف. والمقابر التي

---

(١) نفس المرجع ص ٦٧.
(٢) نفس المرجع ص ٤١.

[illegible] وأفراسها الحديث منها، والمقابر [illegible]
[illegible] وبقايا الثعابين والسمك[2]. ولم تكن هذه الحيوانات تدفن في [illegible]
[illegible] وإنما كانت تُهيأ مما تحفظ على أنفق طريقة وتدفن في تابوت [illegible]
[illegible] أو تماثيل من البرنز، وهي توجد في كثير من هذه المقابر في صورة [illegible]
[illegible] حتى إن الصناعة المحلية استخدمت الخشن المتقشر لتصنعه [illegible]
فقد استخدمت مقابر القطط في بني حسن في إنتاج السماد الصناعي

(١) [illegible] من المومياء [illegible]
[illegible] (Lyon)

وقد شاهد هيرودوت تلك الأعياد في المعابد العظيمة في البلاد، تلك التي انتشرت في الوقت الحاضر، والتي شاة بذكر عظمتها وجمالها. وشأن الحياة هي أن هذه الأعياد كانت ترقى إليها إلى الشعوبة إلا ذلك تشبيهات من المعابد لآلهة. فكان يوجد مثلاً في سايس في حرم معبد بنت في أحد بحيرات تحيط به أشجار بها مسلتان وبجانبه بحيرة مستديرة، كانت تعمل عليها آلام الإله[1]. وفي عيد آخر كان الإله يكافأ بعض عبيده، ويكافئ نوباً سبح خصيصاً لهذا الغرض.

---

(١) عن مومياوات الحيوانات المقدسة انظر: [illegible]
[illegible], La faune momifié (Lyon)

(٢) Herodot II, 170, 171.

كان هذا تحت إشراف الكهنة. وكان أحد هؤلاء الكهنة ـ وهو الكاهن فرانس ـ يختص بتلاوة الأضحية، فإذا لم تكن بها شعرة واحدة سوداء، أو شعر القتل تماماً نموذجاً صحيحاً. وإذا لم يكن باللسان شيء غريب على طرفها، وهذا كان يعلن أنها طاهرة[1]. ويساق الحيوان المحكوم عليه بالموت إلى المذبح، حيث تكون الضحية، فتوقد النار وتسكب على رأسه الخمر ثم يذكر اسم الإله، وتذبح ويقطع رأسها ويسلخ الجسم، ثم يستنزلون عليه اللعنات... راجين إن كانت هناك معصية توشك أن تحل بهم أو بمصر، أن تقع على هذا القربان[2]. ولهذا لم يكن المصريون (أو المصريون القدماء) وثانوا في البلاد التي يعيش فيها الإغريق يضحون الماشية في البلاد الأخرى فكانوا يلقون بها في النهر.

١١٢ ـ «حاري» كاهن في هليوبوليس في عهد السيادة الفارسية (برلين ٧٧٣٧)

(١) نفس المرجع ص ٣٨.

(٢) نفس المرجع ص ٣٩.

وفي هذا الجزء من رؤوس الأضاحي من الحيوان ما هو قريب من المعروف المصورة القديمة. فلقد كان رأس الثور الصغير، فخذ الكبش الذين كانا يوضعان على سائر موائد القربان في العهد القديم، وما يرجع كذلك على وجه التخصيص إلى الكبش الأجنبي حيوان القربان وإن لم يكن مختصاً به دون من قبل (صفحة ٤٤٦). فأصبح الآن كبشاً خاصاً[1]. ويعتقد هذا البعض أن حرق القربان كان يتخذ في الأمة العاشرة نسياً منسياً من الكفارة يوم الجليل[2].

ولعله كان من الأمثلة الأخيرة كذلك أن الوحي بالعجب، الذي كان له شأن كبير في العالم الأغريقي في ذلك الوقت، قد بلغ تمام الإكمال في جبل أيدا وقد عرف عن ورودت على ضفاف النيل ما لا يقل عن سبعة أنهار، كانوا يرون العجب، وكان مهبط وحي الآلهة يوطد في أيدا الحسي بأسبها يعتبر من أثر مهابط الوحي لمتعاً بثقة الناس[3]. وكانت الآلهة في بعض الأحيان تعلن عن ملامسها عن طريق بعض الأحداث الطبيعية العجيبة. وكان المصورون يلاحظونها بعناية ويدونون ما يليها من نتائج[4]. وكانوا يذهبون كذلك إلى أن حظ كل إنسان إنما يتحزر وفقاً ليوم مولده، لأنه كل يوم إنما ينتمي لإله معلوم[5]. وكانوا يعتقدون عامة أن الموتى جميعاً[6]. أنما أنهم كانوا يتعرضون في يومهم بكثير من العادات. ومنها الختان الذي كانوا أول من سنه، وكان ذلك حقاً بقصد النظافة والطهارة[7]. ومنها كذلك تصويرهم من الخيار[8] أومن المحتمل أن الميت بعد ثلاثة أيام ورده من أن مات وهو في هيئة «خنزير أسود» قد يخرج حيوانا[9]. وأخيراً

(١) نفس المرجع ص ٤٠

(٢) نفس المرجع ص ٨٣، ١٣٣، ١٥٥.

(٣) نفس المرجع ص ٨٢

(٤) نفس المرجع ص ٨٢.

(٥) نفس المرجع ص ٣٧.

(٦) نفس المرجع ص ٣٦، ٣٧.

(٧) نفس المرجع ص ٤٧.

(٨) انظر الأسطورة في كتاب الموتى فصل ١١٢.

وقبل كل شيء، تلك الرعية التي كانوا يحسنون بها لحد البقر، حتى إنهم كانوا لا يأكلونها، ولا يحسنون بها، التي لا يسيئوا إلى أقدس ذات في نظرهم البقرة فوالها؛ يقول: أن مصري أو مصرية إغريقياً أبداً، ولا يستعمل مكبته أو منقوده أو موسى، ولا يأكل من لحم ثور طاهر قطع بسكين إغريقي»[1]. وكان الكهنة يحرمون الشعب بشدة رعايتهم لتلك «العادات التي لا تنحنى» وكانوا يرثونها والدهم عن آبائهم[2]، ويحصلون كل يوم على جراية وفيرة من اللحم لهم الثور والأوز والنبيذ، غير أن السمك كان محرماً عليهم، بل لم يكن يحل لهم حتى النظر إلى الحوت[3]. وكان حتماً عليهم الاحتفال مرتين ثوراً ومرتين نهاراً، وأن يحلقوا رؤوسهم كل يوم رأسادهم كل يوم ثالث. وكانوا ملزماً لعدة قسم بتشذون تعالهم من البرهان، وشاربهم من الكتان - لأن الثياب الصوفية تعتبر الآلهة[4].

والقارئ اليوم لوصف هذا الرحالة الإغريقي يرى أنه قد أولى مصر الاحترام الذي يمكن أن تطالب به حضارة قديمة جداً، غير أن نظرته إلى الشعب التقي لم تكن في حقيقة أمرها لتختلف كثيراً عن نظرتنا اليوم إلى الجنس والهنود. فكان المصريون عندئذ بقية من عصر راحل من عصور البشرية، وكانوا يحظون في نوعه وتنسب إلى الشعوب الأخرى، التي كانت غير طاهرة، وغير قريبة من الآلهة قربهم منها. وما كانوا يستحسنون، بل لم يشاءوا الأخذ بأي نصيب في الحياة التي ازدهرت في هذه القرون، وإنما أرادوا أن تستمر حياتهم على ما

---

(١) هيرودوت نفس المرجع السابق ٤١.

(٢) نفس المرجع ص ٣٧.

(٣) نفس المرجع ٣٧: لا تستطيع أن تخمن شيئاً لذلك أتبع الكهنة مرجع بالنسبة إلى من مرتكس.

(٤) وكان الكهنة إذا ذلك وضعت الفضل في «الحجرة الطاهرة» المقدسة ثم يلبسونه. (Brugsch, Thesaurus 1972).

(٥) Herod II. 81 ويرجع سبب ذلك حقاً إلى أن زمن النقي المخيط الذي نسب إليه ملابس الكهنة، كان لا يعرف غير ملابس الكتان.

ولم يكن مصر فضلاً عن ذلك إبان نهضة [illegible]

ولم يكن مصر فضلاً عن ذلك إبان نهضة [illegible]

[illegible] حتى ذلك الوقت في خدمة آلهتهم وتحت حمايتها. [illegible]

[illegible] ولم يكن مصر فضلاً عن ذلك إبان نهضة

[illegible] الكهنة [illegible] الآلهة ثبت من أجل [illegible]
[illegible] التي كانت توجه الواردات من بحر الأخريق، والضريبة التي [illegible]
[illegible] من الصناع في الصنعة الإفريقية نقراطس[1] فلما لم يكن لأحد من [illegible]
[illegible] أن يستغني عن هؤلاء الأصناف الصناع الضرورية، وأن يمنع سكانهم [illegible]
[illegible] لا يقتضيهم هذا حوائج [illegible] ولكن [illegible]
[illegible] الأصناف التي يوجبها هذا الأمر، [illegible] الأخرى، حتى أنها [illegible]
[illegible] الشيخوخة الصعبة، التي لا بد أن تخمد بسرعة. فبعد قليل من [illegible]
[illegible] جمع الكهنة أنفسهم في دلة للإغريق الذين سادوا البلاد.

وفي عهد الاحتلال هذا حفظ لنا أثر يبدو لنا كأنه حافظة انصال [illegible]
وهو قبر أحد الكهنة العظام من المدينة المقدسة الأشمونين (هرمونثيس [illegible]
(صفحة ١٠٠) وقد عمر هذا الكاهن الفترة السيئة من أواخر العهد المصري، [illegible]
وقدر له كذلك أن يشهد العهد الطيب للسيادة الإغريقية. ذلك هو بتوزيريس كاهن الأشمونين الأعلى الذي كشف لفكر عن مقبرته الرائعة.

وقد خدم «منذ الطفولة» بإخلاص إله الأشمونين، «وحفظ في قلبه [illegible] وبذلك استطاع أن يحرز أيضاً أجر معبده. ولقد قال ملبياً لإلهه: «جميع [illegible] وكانت إقامته فيها ميراثاً من أبيه حسب حكم الرقم الكهنوتي الذي [illegible] فيه أن يقوم بها هناك. وذلك لأن مصر كلها يسودها إذ ذاك «أمير الشعب الأجنبي»، أي الفرس. «ولم يعد شيء في مكانه القديم»! وكانت الجزر تضطرم في مصر، والفرع يسود الوجه القبلي، والهياج في الوجه البحري، وكان الناس في حيرة واضطراب. ولم يبق لأي معبد سلطته، ولم يعد الكهنة يحسون بمعرفة شيء. غير أن بتوزيريس لما أصبح مدير أملاك «جعل معبد تحوت كما كان من قبل. وجعل كل شيء (مرتباً) من جديد». وكل طقس مقدس «كان في وقته وأراد من شأن الكهنة، وعظم كهنة معبده العلمانيين. ورفع حظه أعين

---

(١) Erman, Aegypt. Zeitschrift 38, 133.

الإرشادات لسدنته. ولم يقلل من الأهمية في المعبد، وملأ أهرامه بالتبجيل، برغبته بأقل شيء طبيعي. ولقد أعطى الفرعون من أول قبره، حتى يشيده على أعلى الهضبة جميعاً. وأعطى التفضيل للمعبد وسائر أنواع الأضرحة الأخرى [1] والتي من كان يشتغل في جميع المعبد؟ وهكذا أسس في هذه الجهة مخزناً، إلى الازدهار من جديد[2]. وقد اهتم قبل كل شيء كانت بكثرة الأماكن المقدسة التي كانت موجودة في هذه المنطقة الجانبية. وكان منها ذلك المكان الذي كان يسمى «البحيرة العظيمة»؛ وقد كانت «المكان الذي نجم فيه بداية الأولى». لقد كان المحيط لا يزال يحيط بالأضرحة، والتي مثل سائر الآلهة، وقد نشأ فيها كل ما نشأ». وكان هذا المكان الأصلي الذي ظل «مدفوناً فيه نصف البيضة»، التي نشأ منها إله الشمس، مهملاً تماماً، «فكان الأحوار يطاردونه، وكانت الشمس بأشعتها الغائصة من السحب، وإن لمعت وجهه إلى كافة الأنحاء». وإلى هذا يرجع السبب في الشقاق والشقاء الذي أصاب مصر.

على أن بتوزيرس «مد الذراعين حول «البحيرة العظيمة»؛ ولم يسمح لنفسه بالدخول فيها»، ورمى فيها بدلاً منه «المطاقا» مصنوعاً لزرع من أحسن أنواع الخشب المصري، وأعواده من خشب الأرز، مصفحة بالنحاس[3].

ولم يكن أقل سروراً حال معبد حلت، تلك الآلهة المقربة القديمة، التي في جبة الصعداة. وكان يقع في شمال الأشمونين مكان ظل يسمى على أنه «الشعب البيت حلت»؛ ولكنه كان مخزناً منذ أمد بعيد، تحرفه العهاد قبل عام قسم نتل منه لبنة واحدة أو حجر. وكان يبدو مكاناً لم يعثر له أساس أبداً. وما كان فيه إلا العشب والنبات. وفي أوان الفيضان كانت السفن تجري من حوله، أما في الصيف فكان يتخذ جزءاً تسرح فيه الثيران. عند ذلك حلت «البحيرة»،

---

(1) Lefebvre, Le tombeau de Petosiris النص رقم ٨١، ٢٢ ـ ٤٧.

(2) نفس المرجع ص ٨١، ٥٠.

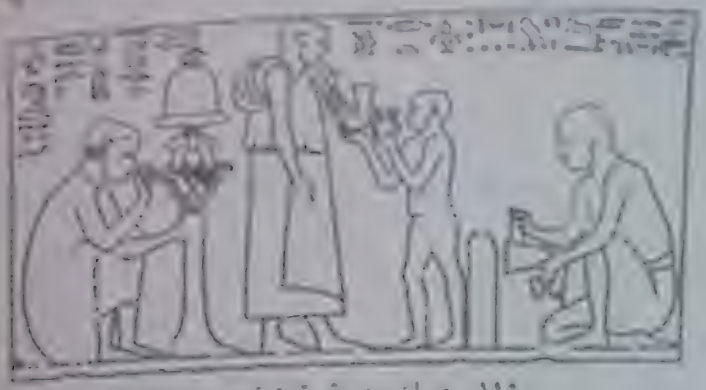

١٤٥ ـ صياغ من مقبرة بنوزيرس

(١) نفس المرجع ص ٨١، ٧٠ وما بعدها؛ ٦١ جـ (C).

(٢) نفس المرجع ص ٨١، ٨٣ وما بعدها.

من بقرأ ما سنقدمه من نصوص لإنجليز تجولوا في مصر، أن طراز هذين الرسمين هو الذي يسيطر، إنما هو نصف الحقيقة ليس غير. فهذه الرسوم بالذات تعبر عن رأي خاص ومشاعر معينين.

وبناء القول على أشكال المعبد يجدر بي هنا بيان أن أبواب المعابد التي تحتوي عليها الصور، ليست أبواب المعابد الأصلية. ذلك أن أبواب الزمن القديم تختلف في طرازها عن أبواب العصور المتأخرة. فالأبواب الأصلية كانت تتجه نحو الشرق، وتتسع عند مدخلها، وتضيق عند مؤخرها. فإذا أراد الكاهن أن يخرج من المعبد في موكب احتفالي، فتح الباب الأخير. غير أنه لم يطلب من الفنان الذي أتى له بهذه الصور، أن يأتي بالأمثلة القديمة منها، وإنما ترك على حريته. على أن مثل هذا الفنان قد اتصل هو الآخر بالمدرسة المصرية، وكان يعرف القليل عنها. وهذا شأن صور من طراز خليط غريب، تنتمي من حيث موضوعها إلى آلاف السنين الماضية، غير أن شكل أبوابها إنما هو شكل الصين في عصرنا. أي حالة هذه فإن التفاصيل الجانبية غير مصرية أيضاً، فالناس يتحدون الملابس المصرية، والجوبيه تؤدي بأداة مستعارة هي طنبور الشرق[1]. وإذا أضفنا إلى ذلك أن الجوبيه نفسها، إذا شاهدناها في هذه الصور، لا يشبه الطنابير من أي نوع على الطراز الإغريقي، وعلى غطاء إحداها يحشر أبوللو إله الشمس في شكل بشع[2].

ويجدر هذا كله في مجموعه أثراً من المعابد، التي لا يوجد أحد في مثل هذا المكان المقدس. ومع ذلك فلم يكن الأسلوب الجديد هو وحده الذي وفى هذا على يتوقعه من، ولكن لا بد أنه هو يسبب فيه وجه ميزة في مثل هذا التحديد. وإلا لما كان على الملك في حياة أبيه أن يضع الصور المنحوتة بالصور، التي لم يكن لأحد إغريقي أن يستطيع قراءتها[3].

---

(١) نفس المرجع لوحة ١٣.

(٢) نفس المرجع لوحة ٨.

(٣) ليس ما يشبه هذه الصور حقاً في المعابد المصرية القديمة. غير أن الملك قد يأمر أن يكتب على جدران المعبد نصوص تاريخية، وهي بالطبع من اختراع المتأخرين.

وأن جانب الأشخاص الذين يجمعون الحب لهذه الحضارة الخالدة ... [illegible]
... والفكر بأن حضارات التي يتجه لها فلسفة، إن الفلسفيين يعتبرون
... وعلى الأقل هذه تتغير لها عصر آخر من عصور أي مدة أخرى[1]،
... والفكر والعمل ما لديها. ويقول أحد الملاحقين لأحد العاصفين وهو
... لم يقم بعد شيئاً من بابلنا لا تشرب اليوم قبل أن تعمل[2].

حقاً لقد كان بتوزيرس رجلاً من عصر جديد، وهو وإن ظل مخلصاً لعقيدة آبائه القديمة، فقد تقبل مع ذلك الحضارة الإغريقية التي نجحت في أن تكون لها السيادة في مصر إلى حد إرادة الآلهة. ولذلك فإننا نفهم جيداً أنه كان محبوباً لدى ... في بلاط الإسكندرية[3].

وثمة شيء آخر في مقبرة بتوزيرس جدير بالإنتباه؛ ففي كثير من نصوصها تتجلى روح مختلفة ذات صفات خاصة، ليس لها أدنى صلة بأي تأثير إغريقي. ... بعض نقاط في النصوص التي سلف ذكرها وإنما تدخل تلك النصوص على ... أعمدته التي عرفناه في الدولة الحديثة والعصر الذي تلاها (صفحة ...). فالذي يملأ حياة بتوزيرس إنما هو نفس الشعور الذي يرضه بأنه، وهو ... العظيم مرتين». وإن هذا الإله رافقه طوال حياته، وهو الذي عقد إلى ... يكون مخلصاً له. ولهذا فهو يهيب بمن يزور قبره في المستقبل بأن يسلم ... طريق الحياة، ومن ثم سوف ترسون في العالم الثاني تحدوكم ريح رخاء. ... وضع تلك التي الإله ... الطريق ... فكان يفكر الظل فيما حوله ... الإله. ويسأل عن الصباح ما يحبه الإله. وكان يقول الحق ويفرض ... ولم يتعامل مع من لم يكونوا يعرفون الإله، ولم يعتمد إلا على

---

(١) نفس المرجع ص ٤٣.
(٢) نفس المرجع ص ٥٢.
(٣) لقد كان هناك كثير من أمثال هؤلاء الكهنة المثقفين، وسنتعرف على أحدهم، وهو مانيتون، في الفصل الحادي والعشرين.

المتوفين للإله، وذلك لأنه كان دائم التفكير في أنه سوف يذهب بعد الموت إلى الإله، وأن سعادة المتوفى سوف يتوقف على محاكمته.

وهكذا كانت جنة أوزوريس[1] وليس من الصعب بالتأكيد أن نجد في تعاليم أمنوف إم أوبي (صفحة ٢٢٦)، تصوراً شبيهاً جداً، يتخلى الملك بشكل واضح في تلك التصورات الموجهة إلى الحورت، والتي ذكرناها من قبل (صفحة ١٥٦). ويتوقف الأمر في الحالتين، كما في حالة أوزوريس، بأكمله على أن يصبح المتوفون «صالحين» حتى يستطيعوا الوصول إلى الإله، ولا يمكن أن يكون هذا من قبيل الصدفة أن المتوفين والكتبة الذين يحملون الحورت، من الطبقة العالية المتعلمة من الشعب، التي كانت تحرص فيها حتماً روح عالية؛ ومن المحتمل أن هذه الروح قد عاشت بعد ذلك، وخاصة عندما أصبح الحورت هو أوزير، الذي كان يعتبر ملكاً لمملكة السماوية. وسنتكلم فيما بعد عن أوزير هذا وعن أتباعه. حقاً لقد كانت تعاليم التي يستلهمها شيئاً آخر غير تعاليم جماعة الحورت القديمة، على أنهم يرون الاعتقاد بأن إلههم هو الإله الذي يعلم الحكمة العميقة.

وحيث نذكره هنا هذا الإزدهار الثاني للروح المصرية، يجب أن نفكر في كتاب يخرج من روح الحضارة المصرية القديمة نفسها، وقد أزدانت دائماً وسطاء لقد حظيت لنا هذا الكتاب بردة السحر السيموتيقية[2]، وهي وإن كانت قد كتبت في القرن الأول بعد الميلاد، إلا أنه من المحتمل جداً أن ما جاء بعد يرجع إلى ما قبل ذلك. ولسنا نستطيع مع الأسف فهم الكثير من تفاصيل هذا الكتاب فهماً تاماً، على أنه ليس مجرد مجموعة من ألقاب السحرة، ولكن من المحتمل كذلك أنه لا تنقصه هذه الألقاب، وذلك لأن هذا الكتاب يحتوي أيضاً

---

(١) ويرجح بعض العلماء أن أوزوريس قد وضعت فيما بعد الأسرة الثانية عشرة من العهد الوسطى الذي كان يحتج فيه إلى قبر، بأنه تحكم من المكان الذي Athens, Hadrian St. Petosiris الجزء الأول ص ٢٤).

(٢) نشرها ب. أ. بيزر Boeser، ليدن ١٩٢٢.

من رذائل الغضب والشهوة وعدم الاحتمال، حتى أن حواريها [illegible]
يصنع الزوجة الطيبة والطفل العصبي الصغير. ويتضح [illegible]
موظفاً، وذلك لأنه في البلاد الأخرى [illegible]
العصبي يجد عنف، ولا ينجي أن يعتقد من قبل [illegible]
أن يكون له أثره. والنفسية الصغيرة يمكن أن تنمو، [illegible]
الفاضلة مهما تكن بسيطة لا تخفى على الإله.

على أن هناك فكرة أساسية تتخلل العالم عند [illegible]
تؤلف نهاية كل فصل من فصوله الكثيرة: فيجري القضاء والعدل [illegible]
بجريهما.

وينظر الكتاب إلى حياة الإنسان في علاقتها بالإله، فالإله هو الذي [illegible]
الملقن كما يعرف الأكبيم، وهو يحمي أحدهما في أوان الخطر، ويعاقب [illegible]
والفوضوي والضعيف أمام الإلهة سواء. ولا ينجي أن نرى في [illegible]
آلهة العقيدة المصرية كل على انفراد - وإن كان يرد في بعض الظروف [illegible]
وحاتحور، وموت وتوريس - وإنما الإله هنا هو حاكم العالم كما هو [illegible]
أقدم الكتابات ذات الاتجاه العقائدي. وعلى من يذكر هذا الإله أن ينسبه إلى [illegible]
الخفي، إلى الشمس والقمر، والضعيف والشاب. إنه هو الذي يمنح [illegible]
والماء، ويرزق الأحياء الطعام وهو يحمل الأرض تلد الملايين، ثم هو [illegible]
تناسلهم، ثم تلدهم من جديد. وهو يصدر أوامره إلى الناس، وهو [illegible]
يفرض القانون ويحقق العدل دون محكمة، ولكنه يظل حياً

وفي هذا يتجلى لنا ناحية غريبة من تاريخ الفكر المصري. وعلى [illegible]
أن يسلم بأنه من الممكن كذلك أن تكون هذه الحكمة قد أثرت فيما بعد في [illegible]
فلسفة التصوف لبويمانذر[1] وهرمس ترسمجستوس.

* * *

(١) أشار بيزر (Boeser) إلى أن من المواضيع ما يشبه ما جاء عن بويمانذر.

الفصل العشرون

الديانة المصرية في البلاد المجاورة

قبل أن نستعرض عناصر الأخيرة الديانة المصرية يجدر بنا أن نلقي نظرة على ما وجد لها من انتشار في فترة ازدهارها الطويلة في البلاد المجاورة، وعلى ما كان لها من تأثير فيها

١٤٦ ـ من أحد الأواني من الحجر من كريت القديمة

لم يكن للحروب والغزوات أثر في انتشار الديانة المصرية بقدر ما كان للاتصال السلمي بين شعب وشعب. والمصريون أنفسهم ربما لم يكونوا شعباً تجارياً، فهم لم يكونوا ليستطيعوا الاستغناء عن مثل هذا الاتصال. فقد كانت بلادهم، على غناها، تفتقر إلى بعض المستحدثات الهامة، التي لا يستطيعون إلا أن يستوردوها من الخارج. فكانت العطور والبخور تجلب من البلاد الواقعة في جنوب البحر الأحمر، والأحجار النفيسة والمعادن من سيناء، والخشب من بلاد لبنان. وكانت أهم الواردات جميعاً من ليبيا. ومن كل بد بلاد مختلفاً الصحارى والبحر المحيط، كان يستورد منه عدد وافر من

مصر، وفي عبوده آلهة البلد الأصلي، وذلك لأنها تحكم المناطق التي عبدت وتشرفها.

ولا مراء في أن ثمة صلة اتصال قوية بين الوثنية وعبادة ما بعد الموت، فقد حاول أن تقام الصلة الأولى على عبادة الأسلاف، فعلى أساس أن الميت يصير مرجع القوة إلى بداية الأمر، فإن العبادة تصبح مركب أمر لتحسين الحالة التي يوجد عليها الميت. ويأتي المقبرة الكريستيانية الذين يعبدون في عيد الميلاد، رجل صغير يتميز عن رأسه المحلوق وزيه المستورد أنه ليس مصريا ويقوم على ما يبدو بدور الزائر يقدم إلى الميت الهدايا.[1]

وهناك قرينة أخرى وإن تكن أقل دلالة. فقد رأينا أن المقابر المصرية القديمة للمصريين تعتمد قبل كل شيء على فكرة وجوب استمرار الطقس الجنائزي وتتحلى هذه الفكرة في المقابر كلها في الصور الأساسية التي تمثل الميت وهو أو مع زوجته وهم يتناولون الطعام. ومن الصعب أن تكون الصدفة هي التي سمحت بأن يبقى هذا العنصر ثابتا في طوابع الشظايا الفخارية في الحالة التي نرجع بالتحقيق إلى الألف سنة الثانية قبل الميلاد، وأن تعود تلك الصورة التي تمثل الميت طاعما مرة أخرى خلال عهود الحضر الإغريقية الرومانية، وتظهر الجثة في تابوته أو في تابوتين لحمايتها ليس لها كذلك معنى إلا عند من يعتقد أن من الضروري حفظ جثة الميت. وعلى هذا فإن هذه العادة التي نجدها في أوروبا وفي الشرق إنما هي مقتبسة من مصر. وكذلك المقابر الإتروسكية تصور حتى أبوابها لها لتجعلها تماما شبيهة بالمقابر المصرية. ولا نجد ما يمنع من التفكير أن نقل الأعمال العظيمة، التي قام بها المصريون من أجل موتاهم دون أثر على الشعوب التي اتصلت بهم؟ ومع هذا فمن الحق أنه لا يزال مشكوكا في أن يكون في هذا الأثر من الناحية الدينية من الناحية الشعبية أكثر

---

[1] يراجع أحد الشروح المصرية القديمة جدا حيث أن الجثة تلقت طعاما في قبرها أو معبد Erman, Lit. صفحة ١٣٥.

[illegible] من الجائز أن تكون الشعوب الأخرى قد شكلت مفاهيم عامة [illegible] في مصر، دون أن تعرف تفاصيل الحياة المصرية. والواقع [illegible] هو جميع ما وجد من أشياء ذات طابع مصري في بلاد الشرق الأدنى [illegible] في شمال أفريقيا أو في غربي آسيا. لأنه إذا كان قد استخدم على [illegible] المصريين للحياة، أو الإله نور رأس من أوزير أو الشمس المحلقة [illegible] الآلهة. فما كان هناك ما يدعو إلى أكثر من الظن بأنها رموز المصريين [illegible] أنها أشياء من المحقق أنها قد تعجب الآلهة الخاصة.

[illegible]

وإذا انتقلنا على السفر الثاني من الإنشاء، حيث تعد الحكايات المصرية والوطنية جداً إلى حد كبير، فهي تبدو مثلاً شيئاً مثيراً للدهشة، أو بالأحرى حكام الحصول، معداً لإله المحبين يكون وجه حزين كان يعيد ذلك رشف وعيناه إلى جانب أمواج وجراحي

وإلى الشرق من بحيرة طبرية صخرة منعزلة جاء عنها أن أيوب أقام عليها، وقد مثل عليها رمسيس الثاني وهو يمجد إلهاً متبربراً، يبدو أنه إله يسمى «... للشمال». وقد افتخر رمسيس الثالث كذلك صراحة بأنه أسر من قبيلتها عبيداً لآمون، كان جيداً مليئاً بالخطايا والأسرار، وكان يشبه الإله السماوي الذي في السماء. وكان اسم قبيلة رمسيس في الشمال. [illegible] الملك كذلك عبداً لآمون يستخرج منه [illegible] يسمى آمون رمسيس الذي [illegible] شعوب سوريا بأقصاها، وذلك لأنه إلهي»[1].

وعلى الجملة فإنا نلحظ أن الحضارة المصرية في عهد الدولة الحديثة كان لها تأثير كبير في هذه البلاد وكذلك على المدينة فيها. وقد أصبح الأصنام تحمل سمات الآلهة المصرية، كما أصبحت العملة تحمل على الطريقة المصرية[2]. على أن الأمر لم يبلغ حداً عند هؤلاء الشعوب أن تكون لديهم الأجنحة السوداء على الديانة الوطنية وعلى ما ورد أنهم قبل ذلك من عبادة من كانت لهم الأرض السحيقة على صلات قوية بمصر من أجل تجارة الأخشاب. فقد كان ملوك الدولة القديمة ومن بينهم متكاوع (الذي الهرم الثالث) يعودون إلى عهد هذه المدينة القديمات، التي ما زال يكتشف عنها فيه. ولم تنقطع هذه الصلة الدينية مطلقاً، وقد وجدت جبيل سبيلها كذلك إلى أسطورة أوزيريس[3]، ولذلك «ذكرها أحد كتاب الدولة الحديثة، لأنها مدينة مليئة بالأسرار، يمكن أن يطلع الشيء الكثير من كهنتها»[4]. وكانت هذه الإلهة، وهي بعلة جبيل أو سيدة جبيل، كما تسمى في اللغة المصرية، الحامية العظيمة للملاحين، ومنهم كذلك الملاحون المصريون. وقد سوّى هؤلاء بينها وبين إلهتهم حاتحور، ولهذا كانت

---

(١) Harris I 9.1 ff.

(٢) في [illegible] في [illegible] من جبيل من [illegible] مقبرة ملكية.

(٣) انظر صفحة ١٣١.

(٤) Anastasi I; I.III., 288.

ساحل بيبلس منذ ذلك الوقت فصاعدا جبيل»[1]. وكانت حتحور تعتبر ربة الملاحين وإن كانوا لا يعرفون إلى جبيل وإنما في البحر الأحمر، إن إلهة البحر التي كانت تبحر فيها أبي السماء كانت تشبه حتحور سيدة جبيل[2]. وأخيرا كان أهل جبيل أنفسهم يعتقدون بأنهم في شكل حتحور وجواهر. ولم ١٠٠ ق. م. كانت الآلهة التي كان ملك جبيل يقدم لها نفسه تمام الشبه حاتحور المصرية وإن كانت هي بعلة جبيل.

١٤٨ ـ يهوا ملك جبيل، أمام آله جبيل.

وهكذا كانت جبيل في شرائع مقدسة الدينية. وفي العهد الروماني سمح الملك أن رأساً مقدسة من أعلى الشرق يقدمها الربح كل عام بطريقة محمية تحت إرشاد الآلهة من مصر إلى جبيل[3].

وكان أدونيس يعبد في العصور الحديثة في جبيل أيضاً. على أن عبادة أدونيس في حقيقة الأمر لم تتأصل في جبيل، وذلك لأنه قد ورد أن أدونيس أحد المتوفين في معبد جبيل حوالي سنة ١٢٠٠ ق. م. إلى جبيل الأصلية ولم يحلها فيها البحث الكافي لتتبع عادة مقدسة معينة. أو بأي طريقة أخرى من

---

(١) وفي الدولة الوسطى نفسها كان يطلق اسمها على التابوت المقدس.

(٢) Lacau, Textes religieux no. 20.

(٣) Pseudolucian, De Dea Syra.

احترام الديانة المصرية. ولم يكن هذا أثر كبير لإيفاده رسولاً لآمون حتى ... مثالاً. وكان من الحق أن يشهد بأن أمير ... وحده ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible]

[illegible] التي وصلت فيها على قبائل ذات حضارة منحطة ومواهب محدودة [illegible] بلاد النوبيين والزنوج. وإذا كان ملوك الدولة الوسطى عندما غزوا [illegible] لم يجدوا [illegible] فقد ضموا إليه جزءاً [illegible] الشلالات العليا [illegible] الدولة الحديثة التي فيها امتد الغزو كثيراً وتقدمت بلاد النوبة كولاية [illegible] تعمرت فيها العبادة أيضاً.

وقد شيد تحوتمس الثالث نفسه في أحد الحصون الذي كان يحمي [illegible] الجزيرة معبد للنحرب الأجنبية، مخصصاً لآمون رع صاحب الكرنك. وقد [illegible] هذا المعبد في القرون التالية إلى معبد آخر شبيه بالكرنك[٢]. وكان [illegible] نقش في عهد النوبة العليا جعل وجه صغيراً كان يمثل الجبل المقدس [illegible] يظهر الآن جبل بركال. وفي هذا المكان نفسه كانت تقع مدينة نباتا عاصمة [illegible] ومقر الملوك الأثيوبيين فيما بعد.

١٤٩ ـ المعبد الصغير في أبي سنبل حيث نرى على جانبي الباب تماثيل رمسيس الثاني [illegible]

[٢] ورد وصفه في متون الأهرام نصها لحت المحور. متون الأهرام ٩٩٤، ١٠٠٣.

(٢) Reisner, Ae. Z. 69, 35.

وليس غريباً أن نرى الفنان كذلك في هذه الفترة الأولى من عصر الدولة الوسطى يتابع إبراز هذه المعاني، وكذلك أيضاً وجدناه يختصرها. وقد أضيف إليهم الملوك المصريون الذين أسسوا الأسرات فيما بعد، فقد حاول الفراعنة أن يجعلوا الملك سنوسرت الثالث، وهو الفاتح الأول للنوبة، وكذلك تحوتمس الثالث، الفاتح العظيم الذي حمل لواء فرعون أمنوفيس الثالث نفسه إلهاً، وفي أي مكان جلس رمسيس الثاني جعل من الآلهة في قلب الأشخاص في المعبد الكبير، على حين كانت زوجته تمثل مع الآلهة مختصرة في المعبد الصغير. وفيما عدا هذا كان من عادة الفراعنة كذلك عبادة الأشخاص[1].

ولقد شيد في هذه البلاد الطيبة السكان المعبد تلو المعبد، حتى في عهد الأسرة الثانية عشرة، وفي عهد رمسيس الثاني خاصة شيدت هذه المعابد الكبيرة في أي مكان وبأي حجم حسب رغبات الوالي وميوله. ولدينا كذلك النماذج الصغيرة لا تعين، مكاناً صغيراً لهذا المعبد الحالي، فقد اتخذت هذه الصورة التي نحتت في هذا المعبد بالذات في المقابر الضخمة، فنحتت المعابد في باطن الصخر، وربما اتخذت أصغر منها، يمكن أن نقارن بالمعابد ذات الشهرة العظمى في الأراضي المصرية.

ومن الواضح أن المعبودات هذه المعابد قد يلقبون أرقاباً مماثلة من حظوظ ومجون، فإن ثالث مثل هذه السبع لا تختلف مع قلة الملاك، بل لقد كان يعتمد على هذا العدد الغفير في الخطة على بعض المعابد التي لم تكن في بلاد النوبة، فعلينا أن نبحث الأول لأقدم بحث معبد الكبير في أبيدوس منحه الإلهة في بلاد النوبة، ويدهشنا أن نرى الرسوم الملكي الطويل يكافئ ما يشير به في مقابلته من تطويلات الكهنة على وجوههم[2]. ومن اليسير أن نلحظ أن هذا التوسع العظيم للديانة المصرية قد خلف تأثيراً واضحاً على السكان الفقراء في البلاد النوبية. وهذا ما يفسر الرباط الذي كان يجمعهم بمصر قد نهاية الدولة الحديثة لقد لا يقل أن

---

(١) وهكذا كانوا يعبدونه في الدولة الحديثة هو ديود دوي، النور الذي وجد كان ضابطاً في الدولة الوسطى. وقد حدث ما يماثل هذا مرة أخرى في المعبد الصغير، انظر Brugsch, Thesaurus.

(٢) نصب نوري: انظر Griffith, Journ. Egypt. Arch. XIII.

١٥١ ـ شاهد أنيوبي، وعليه الميت يتعبد لأوزيريس وإيزيس

ولقد عُني الإغريق والرومان بعبادة الثعبان الذي هو أقدس الحيوانات وأعظمها شأناً في مصر الحقيقية، وأنه الثعبان الذي أعد من سكان مصر دينهم وقانونهم[1]. وعندما يعمل الشاعر الروماني الفقه السبيل لجيش الغزو «حشرة مصر» انجلب من هذا البلد الجن المعبد لدى الرومان، بل المتبدين بجانب الإغريق، وهي المقصودة بقوله السالف ذكره عن عبادة الرومان الذي كانت أكثر استثارة لشوق قرائه[2].

ويجدر بنا أن نعرض هنا عن عاشت الثعابين الأليفة، وربما كان من الخير أن نشير في هذا الركن الخاص من العالم إلى أن الثعبان قد عاشت في مصر الفرعونية، ولو أنه من المعروف أن قصباً تستعمل الأفاعي لقتل بعض أنواع الحيوانات بالقدر الضئيل. على أنه من الطريف أن نلاحظ أن الثعبان قد احتفظ طويلاً في الثورة الشعبية التي حطمت الملكية وهو يلعب دوراً خاصاً في حياة مصر الدينية إبان العهد المتأخر.

وكانت منطقة الجندوة من بلاد النوبة وهي ما بين الشلال الأول جنوباً تشهد في بداية الأمر للإله المعظم حورس، الذي قال بعض مشايخ البلد في البلانتس. وقد جاء أن الملك ريمسز اعتماداً على مشورة الحكيم بنحب اعتمد ١٤١٣ وهب لهذا الإله منطقة الجوانحي الإتنم حشرة على الشرق الغير بقادة موارديها ومكوسها، الذين من جنس بلاد حورس التي قالت إنه ولد في أسنا السابعة من المحمادة.

وعندما سيطر أوريوس على الحكم الملكي شيئاً فشيئاً، بلغ هذا الإله أيضاً أسمى الحظوة لدى الحورس. وإليه معبد يقدس في جزيرة فيله الصغيرة في نهاية عند الطرف الأقصى للشلال، يبرز أكثر تأكثر على هيكل إيفانتين المجاور. وفي عهد بطليموس إيلاتيوس قام بتشييد المعبد الحالي،

---

(١) Diodor 3.3.

(٢) Juvenal, 6, 527.

إلى بعض أجزاء الشجيرة وتجرعه في بيئة مهيأة من أجل ما عرف وأطلق عليه «كأس
والدة الإله» المقدسة في خزان من المياه.

وكان لهذا التمجيد الواسع حتى خلود البلاد المصرية مركز غامض، لأنه من
خلال المعلومات القليلة المتوفرة في وقت واحد. وكان سادته هم ملوك الأسرة
الثامنة الرومانية، غير أنه كان يسمح للأجنبيين كذلك بدخوله والانتفاع به. وقد
قام فيه ملك الأيونيين أرخاميس بالاشتراك مع بطليموس فيلوباتور وزوجة أخيه
أرسنوفس، وأقام التحريض الجديد بالمادة الأثيوبية على طبق ما أورده أحد
الجغرافيين من حساس في القرن الثاني. وفي هذا المعبد وجدت الجزيرة
أيضاً مكانها، ومنها أرسنوفس وإله الشمس مندولس، وكان محله المقدس في
الجبل، التي أقامت فيه كذلك من داخل منطقة المعبود، وكان المعبود
الرئيسي يطاردون عليه في الأيتيه الأفريقية الغربية مرسل الأشعة.

وكان يوجد بصحراء بلاد النوبة البليميون، يعتبرون إلى الجنوب في قلب
إفريقيا من المسكونة الرومانية، التي سبب لها هؤلاء الرحل الكثير من المتاعب إلا
أن تسمح لهم بممارسة عباداتهم في حرية. ومع أن المسيحية كان قد كتب لها
الفوز في مصر منذ أمد بعيد، فقد ظلت عبادة أبوليس في قبلة حرية للوثنيين
والبلميين. وعندما غلبة الملك نكتانيبوس عام ٣٩٢ ب. م. معاهدة سلام مع
الوثنيين، سمحت بزيارة الكنيسة الوثنيين بحرية التمتع إلى معابد فيلة، ولم
يستفدوا منها لفترة. أبرمي إلى عام للاحتفال به. وبعد قرن كامل، حينما
انقضت هذه المعاهدة، أمر جستنيان بإغلاق معبد فيلة كذلك، وحينئذ نقلت
بالفعل تماثيل الآلهة إلى القسطنطينية. وهكذا كانت فيلة آخر مركز للديانة
المصرية، وفيها نجد آخر آثارها، التي حطمها يد مصري بتصويرها البوذية
والمسيحية واليهودية المتأخرة. وإننا لنجهل أصحاب هذه الصور
المصرية المتصورة. ولكننا لن نخطئ بمعطفنا على «الكاهن سمتث» وعلى
«ستختم» القيم الأول على ملابس الإله ومظهره الخارجي، لأنهما كانا آخر من
عرفنا من كهنة الآلهة المصرية.

٥ ٥ ٥

الفصل الحادي والعشرون

في العصر اليوناني الروماني

(1) Oest. Zeitschr. f. orgl. Sprachwissenschaft 47, 1931 ff.

وكان النزاع حول ثروة الآلهة أشد من النزاع المستمر حول حماية اللاجئين، لأن الحكومات كانت ترى بداهة أن تسيطر عليها، وأن تكفل في مقابل ذلك للكهنة دخولاً وفق ما تشاء هي. فقد وقف في هذا إلى حدّ ما الملوك الأول الأقوياء في البيت البطلمي، فقد خفّضوا الضرائب والعوائد التي كانت المعابد تستغلها، واحتفظوا لأنفسهم بحق التصرف في [illegible] وكانت النتيجة في واقع الأمر تحسن حالة [illegible]

---

(١) انظر ما كتبه بلوشيه في: [illegible]

(٢) [illegible]

وبينما تحولت تلك المقاطعات إلى مقاطعات تتمتع بحكم ذاتي، حتى تصبح أسهل في حكمها من الدولة التي في داخل الدولة، وجدنا أنه لم يكن للكهنة في ظل الإمبراطورية الرومانية سوى موظفين يخدمهم الحكومة، وكان لهم أن يمارسوا شعائرهم الدينية الرومانية. ولكننا - تارة أخرى - لا نجد أثراً لهذه الممارسات إلا في الأوراق الرومية الإغريقية، أما الآثار الرسمية فإنها لا تدل عليه من ولاء للكهنة وشعور التقوى عند الملوك.

أجرى الله أن أسد الملوك الأخرين مع الآلهة المصرية. فقد عبد الإسكندر الأكبر الإله الرسمي للمملكة، أما خلفاؤه البطالمة فقد عبدوا الإسكندر والأباطرة الرومان - على أن هؤلاء الملوك لم يكونوا عبيداً لهذه الآلهة من الشعب، وإنما كانوا آلهة الحكومة، وربما كان أهم شيء في هذا كله هو أنه قد غدا في إمكان الكهنة أن يصبغوا على مآثر أفكارهم الأخرى نفس الهيبة «الآلهة المسجلة لأحوالها» أو الهيبة «الآلهة المخبرة»[1]

وأما تحول الملوك المناسبات التي يدللون فيها على حسن شعورهم نحو المعابد، فقد عثر المطالعة الأولى في حملاتهم الأسيوية على نماذج الآلهة وأدوات المعابد والكتب التي اختصت من المعابد في العهد الفارسي وقد أبى عليهم أنهم استطاعوا «أن يعيدوها إلى المعابد التي سلبت منها»[2] وقد قدمت للمعابد إعانات تقديمية على نطاق من الأرض، فقامت بطالب بها فقد أعطى مثلاً الملك نختانب، أحد الملوك المناهضين للحكم الفارسي في مصر، أحد عشر متطقة كاملة قريبة منه. ولكن الكسرتكسيس، بعد أن تغلب على أخيه أرد

---

[1] ويرى Otto أن الفضل في سيادة الملوك هذه يرجع إلى الحكمة أيضاً ولكن لحكمة أخرى غير حكمتهم. فقد كانوا يعتقدون أن يبرروا استيلاءهم في بعض الأحيان على ثروة المعابد إذ كانت من الثروات التي لهم فيها كالهة نصيب.

[2] Kenyon ID 5; Pithommos Ab 2, 42, 34 ff. 111 كان من الأفكار الشائعة في مصر أن الملك المتأخر أن الفرعون يسترد الكتب ؛ انظر Naville 109 حيث عثر أيضاً على الزنوج والأثيوبيين والسوريين الذين يفعلون ذلك.

[illegible] ولقد اتخذت الكهنة بوتو من الكرنك وجعلت له ولأمه حارة خاصة بهما.
[illegible] أنه يخرج ليراً عما سئله منها عندما أبطل هذا حاكمي. فترض الكهنة بوتو
[illegible] على أثر الطلاقة، وقد وجد هذا الإغريقي الناعم أن من الخير أن
[illegible] رجالهم.

ومما عملته الملوك المتأخرون الحكم الفارسي ثلاث من واجبات أخرى
من هذا القبيل إتمام المعابد التي بدأوا بناءها وتم إنجازها. فقد قبع تحت
جرجب (المقطم الأول) مبنى ضخماً من الجرانيت في بهبيت في الشمال الغربي
وبناه لم يتجاوز فيه بطليموس الثاني وأمه. وإذا كان الملوك قد ساعدوا أحد
الآلهة على هذا النحو، فهل كان لهم أن يعفوا النظر عن رغبات أحد آخر لم تكن
مكانته تقل عنه، وكانت مقصورته في عاصمة مديرية أبي بناء جديداً وبدأت إبتداً
بداية العصر البطلمي عهد جديد عظيم في بناء المعابد امتد حتى العصر
الروماني. ولا تزال مشكلات المعابد تطالعنا اليوم في كل مكان في مصر. فمن
بين ما نشير في عهود الحكام الأغريق والرومان تكتفي بذكر معابد قليلة وإذكر
وكوم امبو وفيلة. وإذا كان إنشاؤها قد استغرق أزمنة طوالاً. فمعبد إدفو بني في
فترات متقطعة في الفترة من ٢٣٦ إلى ٥٧ قبل الميلاد، واستغرق بناء كل من
معبدي فيلة وكوم امبو حوالي قرن من الزمان؟ وابتدأ العمل في معبد فيلة في
عهد بطليموس الثاني، وكانت بعض الأعمال لا تزال تجري فيه في عهد مارك
أوراليوس. وفي عهد الإمبراطور دقيوس كان أحد لا يزال يعمل في معبد إدفو
ومن الطبيعي أن بعض ما كان يلزم من أموال للبناء كان من الخزائن الملكية،
على أنه من الثابت كذلك أنه كثيراً ما كانت الإنشاءات التي بدأها بعض هذه
ملكية، يستمر العمل فيها على حساب موارد المعبد الخاص[1]. ولكن إذا كان

---

(١) وكانت التعهدات الخاصة الخاصة لبناء كذلك في بعض الأحيان في بناء المعابد وفي
أحد تلك حجرة حجرتين في إدفو، وبعض حجرات في معبد [illegible]
أسطن.

[illegible] بالا يحصل هذا الخير من مقاطعة منديس؟ إذا شئتم أن تحيوا هذه [illegible] مرموماً لملوك السفلى، بأن يحملوا على ظهر الفرابين الكبش المقدس، [illegible] ما أنتجه من هذه الفرابين فستشاهدون الناس مصابين لا أمل لهم!»

(١٤٠ - يطلب من الملك أن يرسل من يأتي بالكبش المقدس لمنديس)

وفي السنة الحادية والعشرين من حكمه تم بناء المعبد، وقد احتفلت البلاد بأكملها بتدشينه، وأناب الملك ابنه عنه في هذا الحفل. وبعد الاحتفال سار بجنة من وراء رجال البلاط إلى مقر الملك يحملون بالمات الورود والعقود (يحملو) السرور على قلب الملك؛ «فتسمح جلالته بالمرة»، وتشيعت ملابسه بالعطر، «وأمر جلالته بأن يحمل بعضه إلى القصر، وحلوا جلوده كافة الأمراء». وأخيراً جلد في عهد هذا الملك حادث آخر بمعبد من أجل منديس. فقد اهتدي إلى كبش مقدس جديد. وقد أعلن هذا الخبر للملك، ليستدعي عناية الحكماء المختصة؛ فاستدعاها من كافة معابد مصر، ونظرت إلى الكبش ووجدت أن علاماته يطابق ما ورد في الكتابات القديمة. وقد لقب: «روح أوزوريس الحية»، وبذلك تمت حرب العادة منذ عهد الأجداد. ولما أخطر الملك بهذا، أمر بأن يوضع الكبش الجديد على عرشه، وأن يقام احتفال عظيم «الملك حيوانات مصر»، حظي فيه تمثال أرسينوى بشرف مصاحبة تمثال الكبش.

وبينما تنشيد النصب التي من هذا النوع بما قام به الملوك للآلهة من أعمال، فإن هناك نصباً أخرى تبين لنا كيف كان الكهنة يصورون شكر هم. ففي مناسبات

... (صفحة ١٠٧)، والذي كان يحمل أمامه في موكب النصر ...
... أن أكرم ... على ... الذي ...
... في ... أن يكون لها ... من ...
... الأحجار في المعابد الكبيرة، بأن يطلق به في الأعياد مع سائر تماثيل الآلهة.
... أن يكون لها تاج من سلكين ... وعلى رؤوس ... من ...
... أن تقدم بنات الكهنة وغيرهن من الفتيات الفقيرات الشابات أمام ... في ...
... أن ... أن تقيم لهم ... وتسجل في ...
... أن يحل هذا ... في ... من ثلاثة ... القديمة، واللغة المصرية، والإغريقية. وإذا أن استدل هذا فإن يكون ... الملك الإغريقي من أشكاله، وهو يشير على هذا القرار من أنهم الكهنة ... وحتى كان يحاول المعاصر المؤرخ من رجال الكهنوت من مشاعر ... يفكرون في أن هذين «الإلهين المحسنين» ورجالهما العظماء ليسوا إلا من قبل ... من قبل «الفراعنة السابقين». حقاً فقد كان ... حاله غير طويلة أن يتم الأمر ... ذلك الوقت استعادة أسرارها للكنائس والقرى المقدسة، ولم تكن لهم ... دولية في العالم ملوك شعب أحب إليهم مما كانت الملوكة الوطنيون. لقد ... كلا الفريقين على كثير من أراضيها، والذين كان لكل منهما ما يبرره من ذلك.

وكانت السلطة، التي حظي بها الكهنة لدى الشعب، تعتمد في جوهرها على أنهم كانوا يُعتبرون حماة الأشياء المقدسة القديمة. ولهذا لم يكن لهم أن يسمحوا بإدخال أي تغيير، وخاصة على المظاهر الشكلية للحياة بنوع خاص، وهي التي كان الشعب يراها. وإذا كان العهد البطلمي قد شاع في مصر الطابع الإغريقي للمساء، فما كان ينبغي لهذا الطابع أن يجد سبيله إلى ما يمنحه من مهابة التقليد. وقد ظل الكهنة يشيدون المعابد على نحو ما تعودوا من تخطيطها في الزمن السحيق، فكان يجب أن يكون ارتفاعها جيداً، وعرضها صحيحاً، وأن تقدر في مجموعها على أساس صحيح من حجمها الأدنى طبقاً

المكتوبة بحروف، ووفقاً لما هو ثابت في الكتابات المقدسة»[1]. وقد أشرف معه بنفسه على تخطيط من عهد خوفو، ويجاء أن استحوذت المرأة (منتصف ٢٣٠٠ ق.م) التي خطط بحسب معبد إدفو. على أن هذه المباني الجديدة تتميز عن المعابد القديمة جداً بأنها بنيت بالطوب وحجر واحدة، على حين تمثل جدران المعابد القديمة تحسينات قرون مختلفة. وهذا الطريق هو نفسه الذي يعبر في الوقت الحاضر بين الأطلال حديثة عن العصور الوسطى. ويمكن من الناحية الثانية أن نجد الحجر هنا أيضاً يحل هناك بعض العقوبات في المباني الطينية الحديثة، وهي المغالاة في الأشكال والزخارف الباهظة.

أما المناظر التي تزين الجدران، فهي في موضوعاتها نفس مناظر المعابد القديمة، فهنا على سبيل المثال نرى الملك يقدم للإله السيد والجعة والخبز أو يقدم له الأضحية، أو يحمل إليه من الهدايا ناوورساً، وحلياً وشعتاتيل وحجر لازورد. ولكن المناظر هنا أكثر استطالة وتوسعاً منها في المعابد القديمة. ومن خلف الملك تحمل آلهة أخرى، وضاعفت المناظر نصوص ضمنت خرافة تشي بشيء الا يهمنا من ذلك مثلاً أن الملك عندما يقدم للقدمة من فلاحة أو حراثة أو «الحاصل»، فإن النص يعنيه بأنه «ابن» أو «وارث الإله بتاح»، وذلك لأن هذا الإله هو الصانع بين الآلهة، وهو الذي يعرف كيف يصنع الأشياء الجميلة من بشيء ما يقدمه الملك. وإذا قدم الملك جعة، فإنه يفعل هذا باعتباره «ابن منكت»، إلهة الجعة.

وهذه إنما هي كتابات دينية، كان يعجب بها كهنة هذه المعابد. ولم تكن هذه الكتابات تعبر عن ذوق الأشراف، فحزار المعبد يسمي «الشجاع ذو الساعدين القويين» المنتصر في المعركة، البطل المغوار بين الأبطال»[2]. لأنه كان محارباً شاكاً وسط الأعداء، هو حين أن هؤلاء الأعداء إنما هم في حقيقة الأمر تلك الحجارات الوعرة التي يقطعها ويقطع أوصالها.

---

(١) Duemichen, Resultate 38 - 41.

(٢) Mariette, Denderah II, 16.

بيد أن هناك ما هو أهمّ من هذه الكنايات. حقاً إنه من يحمل بصره في
[illegible] أحد معابد الدولة الحديثة، وليكن أبيدوس، ينظر لأول
[illegible] فإنه لن يستخلص من هذا كله سوى الغموض حول الحقائق التاريخية.
[illegible] أسماء ما وعبد من الآلهة، وبعض الشعائر، وكلمة بالجرانيت. ثم في
[illegible] الظروف، بعض أحد الطقوس. أما ما عدا هذا مما كان يجري في المعبد
[illegible] أن الناس تجري في مثل هذه المناسبات أشياء الشراء، فقد حجب جدار
[illegible] لأنه كان يحتوي شيئاً واضحاً أن غير ذلك بكل أما في هذا المعبد
[illegible] فقد كان الأمر مختلفاً، إذ لم يعد هذا المعبد الذي يجب يظهر الجدران
[illegible] وذلك لأن أحداً من بعض التوابل خارج المنطقة المقدسة لم يعد يجوزه.
بالتأكيد - على النحو المطلوب. وإذ كانت الأعباء تسمى في المعبد الأقوى
[illegible]، فقد كان يجب أن يتعلم الإنسان أولاً أن الشعوب المقصودة، ولست
لأن أحداً لم يكن يتحدث إلا من الآخرين والرومان والصوريين والعرب في ذلك
العالم. وكان يجب أن يتعلم المرء أنهم الكتب توضع في المكتبة. وأنّ تماثيل
الآلهة يشتكيها المعبد. وكيف تسمى الساعات والأيام وفق العادات القديمة.
وأنّ الأحداث في زمن الآلهة أسطى منه لما في داخل المعبد وخارجه من
نساء. وكان يجب كذلك أن تعرف جميع الأعياد الكبرى وكذلك تفاصيل العبادة،
ومتى يضع المرء هذا التاج، ومتى يختار ذلك الباقة، وفي أيّ المواضيع ينبغي
أن يقف المرتل؟ كما كان يجب أن يعرف أيضاً جميع ما ينشد من أغانٍ وما
يتلى من صيغ. ولعلّ هذا كله كان مما لا يؤبه له في البداية. غير أن القرون
أضفت عليه قداسة كبيرة، حتى إنه لم يعد يتسمى لأحلاف الكهنوت أن يجهلوا
منه حتى في أبسط الأشياء. ولم يكن يكفي أن يعهد به إلى قرطاس مشى من
البردي، وإنما كان لا بد أن ينقش في الحجر ليبقى إلى آخر الدهر. ولهذا تعطي
جدران المعابد البطلمية نصوص نستنتج منها كل ما كان الكهنة أنفسهم يعرفون، مما
يتصل بالمسائل الدقيقة أو المسائل العملية، سواء كان من الأمور الهامة، أو
مما ليس بذي بال، مما يؤلف مكتبة مفتوحة بكل ما يتعلق المعبد. ولم يكن
الكهنة ليخشوا أن يقرأ العلمانيون هذه الأسرار العظيمة، لأنهم اشتبهوا

بالمعابد وغيرها القديمة نوعاً خاصاً من الكتابة تحتكروا فيها وفق هواهم، حتى إنه قد لا يمكن أن يقرأها إلا من درّب عليها. وفضلاً عن ذلك لم يكن أحد من الناس يستطيع أن يفهم اللغة التي كتبوا بها يكتبون حتى فيما بينها، وذلك لأنهم طوروا هذه الكتابة القديمة التي كانت لآبائهم، بما يدل على سعة اطلاع لا حد لها، حتى صيروا تعبيراتهم من آلاف ثلاثة آلاف سنة، وكانوا في كتاباتهم تكفيهم الاستعانة بهذه التعبيرات التي لم يعد المتعلمون يفهمونها، وإنه لمن المستطاع أنهم كانوا يكتبون بها واحداً تلو مرات حتى إن جميع مستخدمين في ذلك تعبيرات مختلفة عن كل مرة. وتتجلى سعة الاطلاع هذه في شيء آخر أيضاً، من كتابات المتقدمين هذه فقد يدل دلالة عن حضور «إلها لإلا الفجر حمالاً»[1]، وذلك تعبير جميل من غير شك، غير أنه للأسف لا يتفق مع هذه الآلهة جميع خواصه، وإنما يتفق مع الملك على الأرض التي تعيش في النور. وكذلك أصبحت مستخدمو اللغة التعبيرات التي كان يشاد بها بأعمال الملك وبأسه، هي إذن وحدها التي الأعداء جميعاً قد أسقطوا الفزع، وأن الشعوب كافة تحمل خراجها إلى العتبة، وأن البرابرة بأسرهم تحت قدميه. غير أن الملك الذي يشاد به على هذا النحو هو في بعض الأحيان حاكم إقليمي أو زعيم، معنى لا ينطبق عليه هذا إلا قليلاً. أما إله السعيد، فهو غاية المثل التي تلقى إرث الفراعنة القدامى.

أما ليت كان يستطيع أحد هذه السعادة، فحقيق أن يشرح ذلك معه كبار الآلهة مخصوص المعابد، سيدة مصر، عين الشمس، سيدة السماء، سيدة الآلهة كافة، أمة رع، التي لا شبيه لها، وقد كانت آلهة فرحة جذلانة، فهي ربة الأبهاج، وسيدة الرقص، وربة الموسيقى، وسيدة الغناء، وربة الوشي، وسيدة جميع الحسان[2]، وأن الشعب بأسره بحبها وبأبنائها الصغير، يحبي دولة الأطوار»[3]، وجميعهم كانوا تحت ظل إله السعيد، كان الشبان يعيون وقت زواج

---

(١) Mar. Denderah II, 74 b.

(٢) نفس المرجع ٤٥، ٤.

(٣) Mammisi d'Edfou. 87.

١٢٣ - خطة معبد [illegible]

وإذا كان البهو الأمامي معبداً لأوساط الناس، فإننا في البهو الكبير التالي

---

(١) Duem. Baugesch. 39.

(٢) كل ما يلي هو وفق ما تفضل فأخبرني به هـ. بونكر.

في مقابل ما في أرض المعصية المقدسة[1].

وهكذا كانت هذه المعابد تسمو برؤيتها الواعية وسط الأرض المقهورة لتمد المصريين، تمثل للجمهور، الذي كانت موكب تردحم في الخارج، أنه وإن كانت الأرض تروح وتغدو، فإن شيئاً مّا لم يتغير على هذه الأرض المقدسة. فهنا ما تزال محفوظة كاملة تلك النغمة الأولى لقدومها الوضيء في فجر الخلق، بينما الأشياء الخارجة تبعثر الأيام. أما كيف كانت تجري على هذه الأشياء والأحداث، وما هي الأغاني التي كانت تنشد وترتد صداها المعبد، فلعل في الأمثلة التالية ما يوضح ذلك، وهي بضعة أمثلة قليلة من ذلكم العدد الوافر الذي عرفه من نصوص المعابد.

على يوم وليلة السنة إن الكهنة يتجهزون لعيد الشهر الثالث الأول من فصل الشتاء الذي يؤدي إلى الشتاء، فيقومون في خلال بضع دقائق بتطهير المعبد الشاسع في وهدة غير مكتوف، أي بتحويله المستطيع الأول إلى «مكان للتطهير». وكانت هذه العادة تجري في «بيدا وادفو»[2]. وفي معبد أبيدوس كانت طقوسها الحالة. وهي تعني في تلك الرقعة بالتأكيد أن الإله الطفل «حور» معبد في بداية المعابد، حينما كان الناس يجيئون بقصعة بعضهم بعضاً على أن هذه [illegible] قد انقرضت في الأصل الرئيسي، إلا بعض أجزاء منها تظهر حتى اليوم [illegible] المعابد الجانبية فأدت أن الإله [illegible] بالنهار من ظلماتهم وأن «يصيروا النيلس». وبهذا نجد الحاكم أن تكون هذه الأسية وجدت سبيلها كذلك إلى الأبيدوس وقد رأينا في الفصل الخامس عشر كيف [illegible] الصلوات والتعاويذ المقدسة وتسلم الحراس لهم المعابد.

وفي يوم آخر كان يحتفل بعيد نصر الإله الذي قد أعاد إلى نصابه

---

(1) وذلك على نحو ما جرى في البرديوس في متحف برلين (انظر الترجمة تحت بلاطة الطريق (Wilcken Urk. I. 10).

(2) Mar. Dend. pl. 3 = Dümic. Kal. Inschr. 76 Edfu I. 563.

[illegible] وكان يتقدم إليه إكليل النصر وتضرب مغنيات المعبد على القيثارة
[illegible] أيها الشر وأيها الشعب
[illegible] حورس على عرشه ... وسيحكم ما
[illegible] وسيحكي الشر جميعاً

[illegible] إنه بحث الناس وإنه ليز
[illegible] ... العبوا إلى
حورس أيها الآلهة وأيها البشر، واسجدوا لحاجة ... لقد حطم رؤوس أعدائه.

(أيها الكاهن) إلى حورس، أيها الآلهة) وأيها الشعب، وأبصروا كيف يعمل
في عجرفة وكيف ينتصر ... إنه كالنسر إزاء العاصفة. إذا ما اندفع من
الأعالي ... إلى أبي على شيء معاديكم، يأيها الآلهة وأيها الشر مجدوا اسم
إنه سيد مهابة وقد قضى على الشر ... إنه لأسد سريع الجري، إنه يأخذ
الأعداء. إنه نهر ثائر إذا انقض على عدوه، إنه يمزع قلوب الأشرار، إنه
كثور إذا طعن من يهاجمه، إنه يقضي على من يحاربه.

ويختتم النشيد على هذا النحو، ويتمنى أن تفرح لخلق الآلهة والبشر
بجميعاً وطرية المجد المتوجوا به وأخبروا أيها الرعايا بما من يكونون عليه
إنه الملك وحياته باقية إلى الأبد»[1].

ومن الواضح القول إن أيا من هذا النشيد الجميل لم يظهر في العهد
الإخناتوني، وأنه لم يكن ليجد مكانا في أناشيد الآلهة في المعبد إبان
الأسرة الثامنة عشرة المصرية[2]. وأنه لم يعبر فيه إلا قليلا على
استخدام لقب الآلهة.

---

(1) Erman, ed. Reclam I, 442, 1 ff.

(2) يستحيل على هذا من جهة بالكلية. وكتابة هذا هذا الاستخدام الآلهة المختلفة في
الآلهة لم يكن من إبداع العهد الإخناتوني بحسب. انظر ما سبق صفحة ١٥٠.

وهذا فإن الأناشيد المجيلة تأخذ [illegible] من مناسبة
[illegible] هي قد تصف أشياء ما تكون جزءاً من الطبيعة.
[illegible] أم حورة مستحضة [illegible] في نشيد إيخنا-
تون، معبودة دندرة، يشبه به أشعة الشمس المشرقة [illegible]
[illegible] أيها إيخنا-تون العظيم، ابن حاتحور، ما من أشرقت على الوجود أيها
الطفل، واقتبس القطران جمالك.

أيها الطفل الجميل، وليد الفاتنة، القوية، العظيمة، سيدة دندرة. يا
حورة حوريتها، ويا والد أيوم، أنها الحسناء الجميل، المحبوب المفضل، إن
البشر جميعاً يترجونك لتمنحهم [illegible] الحياة. [illegible] الناعس
يعتمدان على رأسك.

[illegible] والأطفال الأحداث يحيون اسمك [illegible] منذ يشرق في الأفق، وأنت
يخلص الرجال والنساء معاً، وتجثو الأرض أمام روحك.

أيها الوليد الفاضل من الشكل السماوي [illegible] أنك طالع في غرتك في بقعة
كالشمس تشرق وتغيب، إن قرنيك لتجوب مائحة الضوء، وإنك لتهب الهواء
لأنوف البشر.

أيها إيخنا-تون العظيم، يا ابن حاتحور، أنير محياك الجميل لتحيا [illegible]
على أن تسلم الملك أنو يذكر في التحيز، هي ذلك الجبل المقدس للأجيال
الطالعة، كان من الحكمة علم الخلود أن ذلك قد يمنح الآتي أن أنما كثيراً جداً
قليل.

والنشيد التالي أوفر حيوية من نشيد إيخنا-تون العظيم، وكان الموسيقار يخصها
لحاتحور ربة دندرة حين كان يخرج بها من معبدها في الطقس جميعه. ويحمل
الترديد على الظن بأن هذا الموكب كان يحدث [illegible] [illegible]

---

(1) [illegible]

عيد في العهد اليوناني

على باب المدينة، وقد زين بزينة العيد، تجلس الآلهة وبجانبها حرس وقراط، وبالقرب من
[illegible]
من فوق السور [illegible]
[illegible]
[illegible]
[

[illegible] والتسبيح تسبيحات الفرح التي تغني في مأدبة [illegible]
[illegible] الآلهة، وتستقبل البشر على هذه الإلهة؟ [illegible] ها هي الطرق تفتح لك،
[illegible] سيدة الآلهة. ولتدخل البشر على هذه الإلهة! [illegible] ها هي الطرق تفتح
[illegible] وها هي السبل تنفتح لك في هواء وحمائل. والسماء تسبح لك في سكنك
[illegible] والأرض والمطآن جميعاً. إن لك تُثبت لك الأنحاء الشرقية، إنك من
[illegible] تنحدر الشرقيات، وإن وجهك ليشع عندئذ، وإن السماء تصفو وإنها
[illegible] بجمالك، والصحراء مضيئة من أجلك. إن الكلا قد حلت بفصل
نبيلك، وإنه مسرات لبتلا!

أيتها الخضراء الجميلة، سيدة النضرة، وسيدة الخضرة المتلألئة.

إن لك تعرف السماء مع أهلها، وإنام تعظم الشمس والقمر، وإنك تعد
لآلهة والأكوات.

أيتها الخضراء الجميلة، سيدة النضرة، وسيدة الخضرة المتلألئة.

لك تعرف الأرض كلها، ولك يراعي السماء فرحة غريباً، وإنك تعد
لماء والأقطار الأخيرة حتى عندما السماء عند أولادها الأربعة.

أيتها الخضراء الجميلة سيدة النضرة، وسيدة الخضرة المتلألئة[1].

ويدل هذا على أن ذلك العيد الذي كان الناس يحتفلون فيه على هذا
النحو، إنما كان عيداً بهيجاً، ينطلق فيه المرح ويراعى الأوجاع السوء التي
تحتضر فقد جاء[2] وإنما تعزف القرعات، ويراعى الحلاوات إنما ترفع إلى
عرش السماء بتلك آية الحلاحل والعشود[3] وتشخشيل، [illegible] تعد الحلاوات
كل يوم، من المساء إلى النهار.

---

(١) انظر: Duemichen, Resultate 46, 7 f. Junker Ae. Z. 43, 101 f.

(٢) Duem. Resultate 45, 3 ff.

(٣) كان النساء يصلصلن في الغناء بعقود كبيرة.

[illegible]

على أن الأمراء الأخرى كانت حقاً بحقاً دون جلالة الشهرة، ولكن لم يخلصوا من الظلام والخمول والذهول شيء كثير. فقد كان على كثير منهم سقوط خلال القرن الخامس للطريقة المصرية المقدسة التي كان على الكهنة أن يقوموا بها كل يوم. فكان جورجن حتى إذا جاء حينما يزيد الاحتفال بعيد الشمس، حينما كان يزيد وهج الشمس الصاعدين فيه حرارة وتألقاً، يشرك في الدم والبخور معبوده في حظيرة وقيفة عظيم والحراب الأربعة التي هي حراب الآلهة معه، ثم يتبعه ثلثمائة الآلهين فلسطين جميعاً من المدنين الحربين الأربعة، وهذا جورجن معبود الكاتب وجاتيجن معبودها فيدوه. وكان على هذه الأربعة أن يجتمعوا معاً جميعاً يستعرضهم عند أبواب المختال فيه بانتصارها على ست وعلى أعدائه. جورجن الدرش. على أن الأمر لم يكن يقتصر على هذه المثل دون غيرها، وإنما كانت هناك سلسلة لا نهاية لها من الشعائر، كانت تتبع الاحتفالية الدينية لهذه الأيام. قال قائل أنه سيدة كان لها يوم ميلاد فيه. تعين الوافدين إلى حفلة السنة في الاحتفال مهنة: الكاتب تلميذ أولاً ومدرس ثم تحسين السنة، ثم تقدم القرابين، و الهدى السيئة، و قرابين الأرض، ويقابل

---

(٥) يعتمد ما يلي على كتاب Brugsch, Festkalender von Edfu، وملخص من كتاب مدة العمر، بمثل مناسك أحد أمراء الدولة الحديثة

١٥٤ ـ حربة حورس. نموذج مصغر
من سقارة (سنة
الأولى ٥٥ سم).

وفي آونة التيه كانت الآلهة تصعد مع مرافقيها، الذين انضموا لمعسكرهم بجانب المعبد، إلى «معبد ملايين» كان يقع في مكان ما على حافة الصحراء. وهنا كان يستقر الجميع على الأرض، ويقدم شيء من القربان ويقام طرف من الشعائر، ثم تعرض الآلهة ويحتفل «كاتب كتاب الإلهة» بانتصار حورس. وكانت تهتف أربع مرات: «لقد جاء حورس منتصراً، وتم كل ما عهد به إليه. إن أعدائه

هذا الإله، ويقضي ليلة جميلة في هذا المكان. وكان الأمر يستمر على هذا النحو بضعة عشر يوماً حتى تتوب في النهاية الآلهة الغريبة إلى مواطنها، وتأتي إلى إيزيس معبوداتها، ومن ثم يعود الهدوء النضير إلى الريف. ولم يكن الجمهور المشترك في العبادة المسكين كثيراً من وقته على الرغم منه لكي يقدم من مصروفه في بعض الأحيان! كما أنه لم يكن ليهتم مطلقاً بأن الكهنة يصورون أو يتخيلون به بالإلهة الحقيقة. ومع ذلك فقد كان لهذا التعرض وجه في الأثر الديني لهذا التردد على مشاعر الإنسان، وكان من شأن السنين الواضح بين ما كان مقدساً جديراً بالتكريم، وبين ما يتصل بالحياة الدنيوية الحديثة إذ ذاك، بين الكهنة في ملابسهم الفاخرة، وبين رجال الشرطة الإغريق والمرتزقين الريفيين، أن يقوي شعور الإجلال لدى الشعب لعقيدته القديمة.

وقد نفذت عبادة أوزيريس ذات صبغة سرية عامة. فقد كسب هذا الإله شعبية في كل معبد أجنبي في مصر، وخاصة طيلة العالم في الحقبة الست مئوية، التي كانت تعتقد بأن فيه خلوداً خيراً من أصنامه. وقد تأثرنا من قبل بالمعبد المتأخر الذي شيد في السنوات الخالية في يوم وبرمة وبقية قرية سطح السعد لأجداد أوزيريس. وربما العلم الذي استقل عن أحد هذه الأعياد، وقد يتبقى لنا في شهر أتهيك، وذلك لأن هذا شيء في مقدورنا بحق أن نعده احتفالاً مصرياً أن يحتفلوا به في أعقاب الفيضان، في أم عبد وأبيدوس وسائر أنحاء مصر. ويتضح من مجموع هذا الفصل أن الكهنة قاموا بدورهم بأمانة حق في أبشع تفصيلاتها. وكانت شعائره الأساسية واحدة في سائر البلاد، ولهذا لا أن نقول أن الشعائر في أحد المعابد كانت مثالاً لحالة القيام في المعابد الأخرى. ومن اليسير علينا أن نفهم الشعيرة التي كان يتبع بها هذا العيد الذي لقد كان أوزيريس واهب الخصب، وكانت كانت الأرض والماء، اللذين يخصبهما من بين ما تشتهد لذريه. أيهما كان يصاح من الوحل والشجر في هذه الاحتفالات شكل الإله الميت، ثم كان يوقظ بالحياة. فإذا ما بدأ الفيضان والنمو حسب الإله بحضرة طيبة. فقد كان هذا لدى الفراعنة ذاتياً على هوا الحياة الإلهية، وهو

وإن ظل يبدو مبناه غير محصن، فلقد عاد إلى الحياة من جديد لغير الغرض
هذا هو مهرة الاحتفال بما ذكرناه، أو بهرة الخافية الدينية، على نحو ما نشاهد
الآن على مزار الإفريز. ولكن لما كان الكهنة المصريون هم الذين كانوا
يقومون بها، فقد كان لا بد أن يحيط بها كثير من الشعائر الثانوية.

[illegible] التي كان يحتفل بها في كل مكان
[illegible] وإنا لنعرض هنا أخيراً إحدى هذه الشعائر التي نلم بها إلماماً تاماً

فهناك على حدود بلاد النوبة، حيث يخترق النيل آخر حواجز الأحجار
الصلبة التي تفصله عن مصر، يقع عدد من الجزر الصخرية بالقرب من الشلال
[illegible] هذه الجزر يقوم معبد فيلة الصغير، الذي اشتهر في العالم بأسره
في العهد الإغريقي بأنه مقر عبادة أوزير، والذي ظل باقياً على حاله تماماً حتى
عصرنا الحاضر، ولكنه تعرض للدمار في الأيام الأخيرة.

وتقع [illegible] هذه الجزر، هي بحق الجزيرة، وكانت
تضم كذلك من الآثار المقدسة للديانة المصرية. فمن جهة أنه كانت المكان
الذي وطأته قدما أوزير الإلهة الوحشية عندما فرت من أرض الوطن واستعانت في
[illegible] (انظر الأساطير الدينية الصفحة ٢٠٨)؛ ومن جهة أخرى
[illegible] في جزيرة أبيدوس، وكان يعتبر في العهد الإغريقي في مقدمة
الأماكن المقدسة؛ ولم يكن في مصر كلها إله ذاك قسم أعظم من أن يضم
الإنسان [illegible] في فيلة[1]. وكان هذا المكان الذي عثر فيه
أوزيريس يسمى الأثوزا، أي الجزيرة، وذلك لأنه لم يكن يجوز في هذا المكان
أن يطأ راجلة الإله أحد. وكان الظن قد قذرت أن يكون هذا المكان والمكان
[illegible] أوزيريس، وذلك لأن المصريين كانوا يعتقدون أن في السماء العليا
[illegible] العدد الهيروغليفي الذي يشير منهما إلى الفضاء، جالب الخصب والنماء،

(١) Diodor I 22. 3.

[illegible] كان يسمى «ماء بحة النقي»[1]. ولما كان أوزيريس يشرف على كل ما يخص [illegible]، لهذا كان يعتبر أيضاً أنه هو الفيضان نفسه. وكما كان [illegible] «النيل الكبير الذي يخرج الخير [illegible] الأشجار والأزهار، عن إشعاع [illegible] أوزيريس قبر أفضل مما كان له في «أبانون»، حيث كان يمكن أن يعود للظهور في هيئة فيضان جديد؟ فهو كالنيل «يولد في حينه» وتتجدد «أعضاؤه» كل عام.

١٥٥ ـ أوزيريس كإله للنيل في كهف بحة، ووجهه مستتر على شجر القمة المقدسة وتمسك لها إيزيس اللبن (Champ. Mon. 93).

وإن [illegible] الأسطورة تخبرنا أنه لم يكن في «أبانون» [illegible] سوى «اليسرى»، فلم يكن فيه ثلث بشره. وهناك [illegible] في هذا المكان في أحد ذلك اليوم، [illegible] «الأخرى» عند [illegible]

(1) Junker, Das Conventdekret ueber das Abaton. (Denkschr. der Wiener Akademie 1913), S 39. وكذلك يعتمد كل ما يلي على كتاب يونكر فيما عدا الحالات التي أذكر فيها مرجعاً آخر.

وفي هذه الأجمة وضعت ٣٦٥ مائدة للقربان، كان الكاهن الكبير المختص يتسلل في الثلوج الشهرية يقدم عليها عجولاً من الضأن والماعز. ولكنه لم يكن يعتقد أن يقدم هذا القربان. وبينما كان تموز يسير إلى هذا الفخ عثرت إلهة الحب وربة الجمال أفروديت وأرسلت قرباناً من الحب يرده فتياً من جديد. وكانت هذه الأيام، التي «تتلاشى» فيها إلهة الموت «الموتى المنقسم» في «أبالون»، تعتبر أيام نحس تتجنب الخاصة الأبالون، هذا الذي لا أحد أن يجاهر بالكلام عنه. وكانت أيام هذه الآلهة أيام الحزن المتصلة في «أبالون»، من ذلك مثلاً حينما كان يحتفل بأمر أفروديس؛ وإذا بالآلهة تتبعها الآلهة الأخريات ورافقها في سفينتها تمثال أدونيس[1] وحوله ورائح وبخور. وعلى نحو مماثل كانت يحتفل الملك في اليوم الذي تقام فيه ليونيس يوم أوديسيوس إلى «أبالون»، حيث كانت أرواح الآلهة الأخرى تنحر الملك ثم تأخذ مكانها مع روح أوديسيوس في التقيمة. ومن السهل فهم هذه العقيدة التي كانت تقضي بأن يصاحب الإله الميت ضحايا أرسلوها قبله فإن لا بد من أن يسوقه إلى الحياة من جديد. وأيضاً فقد كان يتبغي أن تكون

---

١ يعتقد روح الخروج إلى هذه عندما وصلت أسطح، أما قبل ذلك فقد كانت في القمر أو السماء.

(٢) وبهذا يرجع هذا الاحتفال إلى الدولة الحديثة.

١٥٦ ـ التمساح الذي حمل جثة أوزيريس إلى آبيدوس (Lanzone, Rhodos, S. 93)

١٥٧ ـ شاهد شخص يدعى أمحوتب، يرى في أسفله وهو يمجد أوزيريس ـ أبيس، أي سيرابيس (برلين ٧٣٠٤٤).

باسم سيرابيس وإيزيس والآلهة الأخرى»[1]. وكان مما يرضي الملك أن تشيد المعابد لسيرابيس في خارج مصر أيضاً[2].

ولنا أن نقول: إن هذا التأويل الجزئي، من مانيثون لم يجد أية معارضة من رجال الكهنة؛ فقد كانت رغبة الملك كفيلة بإقناعهم بأن سيرابيس لم يكن سوى الإله أوزير الذي رجعوا بأصله إلى العهود الأولى. كان سيرابيس هو التسمية الإغريقية لأوزيريس. وطبيعي الحال أن الاسم القديم الذي اعتاد الزمن عليه لبث مستمراً على الدوام يستخدم في الصعايد وفي منطقتي أبيدوس. أما اسم العجل سيرابيس فقد ظل إله السرداب ومذبح الهرم، وظل تجسداً لعجل أوزيريس.

وكان أعظم مظاهر هذا الإله الجديد يوجد في عاصمة البلاد بطبيعة الحال، أي في الإسكندرية؛ وكان معبداً ضخماً يشرف فيه الإله على عرشه في الجبل الذي شاهد الحدث حينما أوى زوزاس وأهلها صنائع البطالسة بالكاسيس صورة ضخمة وليست أقل من رأسه بكثير السوريه، وأثر جواره الكلب كربيروس.

وفيما بعد الله لا بد أن سيرابيوم الإسكندرية كان على طراز الفراعنة، حتى وإن دخلنا إلى التفاصيل الإضافية فيه بالطابع المصري، وإنه كان يحتفظ فيه بعدد مقدس. وتقول سيرابيس إبان القرون الخمسة، التي كانت فيها الإسكندرية عاصمة العالم الثقافي، يصير لدى سكانها المصاعد الأعلى هو الإله الأعلى وكان أتباعه الذين يعتكفون فيه على صلة وثيقة به، فما كانوا يقدمون قرباناً إلا ويقدمونه إليه[3]. وفي عهد تراجان أوفدت بعثة إلى روما فاصطحبت معها تمثال سيرابيس صانع المعجزات[4].

---

(١) Wilcken, Urk. I, S:.

(٢) انظر ما سبق.

(٣) Schubart, Aegypten usw. S. 83.

(٤) نفس المرجع ص ٨٢.

وقد تم إلى جانب سوابيوه الإغريقي عدد من أسماء أخرى ذات طابع مصري محلي. وكانت لذا بقاء في القرن الخامس وذلك في صحراء مصر حيث كانت تعبد آلهة الحظ الحسن المعروفة. ومن هذا المكان جاءت عبادة أوزوريس ـ أبيس، ولهذا ظلّ كعبة الحجاج من عباده.

ولقد رأينا فيما مضى أن عبادة الميت قد انتشرت بسرعة في العصر الصاوي ـ الفارسي (صفحة ٤٢٩)، كما رأينا في عهد السلالة الإغريقية قدم مثل هذه العناية تعرف لها حداً.

وقد وصلت الأبحاث الحديثة إلى نتائج عن قبور أبيس لم نكن نعرف شيئاً عنها كان يجب أن يقوم به في قبره الشخص المقبور إلى آلهة العالم الآخر. وقد عهد إليهم بأداء هذه الشعائر. وكان الرأس والقلب والكبد والكليتان تحنط على حدة وتوضع في أوان خاصة. وكانت تلي ذلك الشعائر الجنازية المعروفة. فكانت أعضاء

---

(١) ما يلي عن Spiegelberg, Ae. Z. 56, 1 ff.

معها ما يتبع مع أبيس[1] (بوخوس، ثور أرمنت، والتمساح سوخوس) إذ لم تكن تعد أنها القداسة الكاملة إلا بعد موتها فتصبح عندئذ أوزيريس أبيس، وأوزيريس بوخوس، وأوزيريس سوخوس.

وهؤلاء المدفنون العاديون الذين كانت توجد في المعبد أوانيها الخزفية، كان يوجد بين أيديهم معبد كانت تؤدى فيه طقوس الأموات أيضاً بالحروف من الحجر. وكان ثمة أيضاً أخرى من ذلك معبد لأوزيريس الذي كان يتبعه أيضاً المكان باسم «حامي الحروف» وكان (بتشراي صفحة ٢١٢) هو الآخر معبد هناك؛ ويظن أن الفيثاغوريين، الذين كان لهم حق خاص في مقدم، قد عملوا على أن يكون لإلههم الأثير عندهم مكانها كذلك في هذا البيوت. ومن معبد أوزيريس كان هناك طريق مقدس يتجه إلى الجزيرة، ويؤدي إلى الصحراء بين صفين من تماثيل أبي الهول، وكان يختاره الموكب الجنائزي للمحنط، وتسلك عند نقل رفات المجل المتوفي إلى المعبد ثم إلى القبر.

وكان يزل في المنطقة المحيطة بالمعبد، ولا سيما بجنوبه، وكان فيه مواد من كل نوع منها الفاخر ومنها الفقير، على أنني لم يحدث عنده بيتاً تكثر زيارته من أماكن الحج. فكانت هناك تزل لحجاج الطرق المختلفة، كما قد يظن هناك مختلف الصناع والحانون وبائعو القلائد. وكانت الأطباء وعلمه الإسلام، وبذلك كان المعبد المتشي المتواني إلى السوادين وأشبه بالسوق[2].

وقد احتفظ بوزيوم سقه في محيطه بالطابع المحلي، حتى بعد أن استحال معبوده أوزيريس أبيس إلى حيوانين المحنط. غير أن بتشاي شهرته في العالم الهللنيي أخذ يطرق إليه التأثير الإغريقي. فعلى الطريق الذي كانت تحف به تماثيل أبو الهول أضيفت إلى هذه الكائنات الخيالية المصرية أشكال أخرى من

---

(١) Schubart, Aegypten, S. 258 f.

(٢) Wilcken, Urk. I, 19.

(٣) Otto, Priester u. Tempel, S. 283 f.

حول الأخرق كالسيرابيات، بل لقد كانت تقوم في موضع آخر منه تماثيل الملكين وبروتاخوداس وبنتار[1]. ويعلم الله وحده ما الذي كان يبحث عنه هؤلاء الفلاسفة في ذلك المجتمع الخليط من حول مدافن المجوس.

وتتيح لنا بعض الوثائق الخاصة من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد أن نلقي ضوءاً على بعض جوانب تلك الحياة العجيبة. فمنذ أوائل الأمر كان القواد العظام يعلقون الأهمية الكبرى على الاتجاه إلى السيرابيوم، حيث كان يقطن صديق قلبهم الأمين الراحل. وقد عمل الملك المقدوني أنطيوخوس الرابع على تقوية هذا الميل بتقديمه الهدايا الثمينة إلى المعبد[2]. وقد أصبح الكاهن المصري المعروف باسم دوروثيوس الذي يدعوه اليونان أبولونيوس الشهير، وقد كان أحد الكهنة الذين يقومون بأداء الطقوس في المعبد[3]، وكانت لصلاته أول الأمر على رجال عسكريين، غير أن أهمية المعبد كمركز للحج لم يكن يرجع إليها وحدها بل كان أن دعمها العهد الذي كان يتسابق فيه الملوك إلى ذلك حتى لا تتخطفها يد الطامعين من حولهم[4]. ولم يكن في وسع الرجل الذي أولاها بالمعبد أول الأمر ـ وكان يعنى بهما عناية أبوية ـ أن يساعدهما مساعدة جدية، إذ لم يكن كاهناً. وأما الذين من المستبقين ليس غيره أولئك الذين كانوا يأوون إلى السيرابيوم[5]، ويعيشون فيه [illegible] ولا يسمح لغير سكانه أن يقطنه[6]. ومن أن يأذن لهم الآلهة بسرابيس الذي استلهم [illegible] كان يرى هذا الاستلهام. وأن الأحلام التي يتوسلون بها للآلهة في المعبد. لقد كان الإله يبعث إليه بالرؤى. وكانوا يعرفون

---

(1) Wilcken, Urk. d. Ptolem. I, 111

(2) نفس المرجع ص ١١٤، ٢٤١، ٢٥٣.

(3) نفس المرجع ص ٢٠٠

(4) نفس المرجع ص ٢٦٠.

(5) عن المستقين في السيرابيوم وصورته انظر Wilcken, Urk. d. Ptol. I, 50 ff.

(6) نفس المرجع ص ٥٥.

[illegible] وثائقوا على انتصار [illegible]. ولذلك كان أصحاب السلطة والنفوذ [illegible] يعتبرون الإله في معاملتهم[1]. على أن هذا لم يكن ليمنع حقاً من أن يكون هؤلاء المستأجرون شحاذين[2]. يعيشون على استحداء زوار المعبد؟ بل فيهم من [illegible] بنية صغيرة لمساعدته في عمله هذا. وكانوا يعيشون في هيكل [illegible]، ويحصلون على دخل ضئيل من المعبد[3]. غير أنه من يقرأ الشكاوى التي وجهها المستأجرون بطليموس بن جلاوكياس إلى الملك والموظفين يرى أنه لم يكن لأحد هذه الجماعة من الحياة حظ آخر. فقد كان الجميع يعيشون معاملة[4]، سواء كانوا خدم المعبد أو الحسب أو تجار العلانس؛ وكانوا جميعاً ويدون التمتع مسكنه عليه والاختصاص بمنازله؛ وقد نبهت إدارة الشرطة التي لم تعد تعرف من معبد أبوبيس، وإذا الأمر إلى أنهم سمحوا بهذا لهم، لأنه إجراء لا مصدر على أنه الأقرب إلى الظن حقاً هو أن لجنة المعبد لم يكونوا يتطوعون بتقرير هذا الرضا إلى هذا الأداء، أو ما يلح الأخيرة، الذي جاء بين خطوبهم في كتب الإله.

وبدأ ظهور سيرابيس على بداية عقيدة جديدة يمكن تسميتها بالعقيدة الإغريقية المصرية. وكانت هذه خليطاً لم يكن نشأ إلا حيثما يعيش جماعة من الشعب بعداً على انتصار أوزير، بحيث لا يكاد يعرف الكثير من الأمراء إلى أن قرين يتعبدون. فهم يتصاعدون جداً يسير، ويتكلمون اللغتين معاً، ربما ما عرفهم أن يولوا إلى ذلك الجمهور الذي كان يعتبر الفصل مساعد في معاملتهم وأن ينتمي إلى الشعب الآخر. وقد تم هذا الاندماج في مصر بسرعة شيئاً، ودون أن تعوقه المظاهر الخارجية الغريبة للتصورات المصرية، بل لقد جلبت هذه المظاهر بالذات إليها الإغريق المتحضرين أيضاً. وذلك لأنهم كانوا يشعرون في الحركات موضوعاً سر متشابهة الخاصة التي تم بها عصر متعدد. وهذا العصر

---

(١) Wilcken, Urk. d. Ptol I 53; 173.

(٢) نفس المرجع ص ١١٨.

(٣) نفس المرجع ص ٦٧.

(٤) نفس المرجع ص ١٣٠، ١٣٨.

الرومانى، لم يكن هناك سوى دين واحد. على أن ذلك لم يكن في حقيقة الأمر صحيحاً إلا بالنسبة لجمهرة المصريين وحدهم. أما في المعابد فقد ظل الأمر يختلف في أنها المحمية الوحيدة التي لا يعبد فيها هذا العصر الجديد الذي لم يكن يعرف إلا كدين صوري. بخصائصه صورة حقيقية للحياة الدينية وكانت صورة قديمة لعبادة الآلهة في المعابد. ولم يكن الأمر يخلو من اختلاف. ولدينا شهادة على أن هذا قد كان يضير المؤمنين: حقاً لقد كان كل شيء في المعبد يجد طريقاً محتفظاً بما كان يوجد خارجه، فعادا كان يمنع من أن يسمى سيرابيس فيه بالاسم الذي يسمى أوزيريس؟ ولماذا لا يكون له كتمثال شكل آخر مختلف تماماً عن الشكل الذي يجسد الشكل العمومي للإله اليوناني والمصري؟ أنه في الحقيقة فقد كان في هيئة إغريقية جميلة على شكل رجل قوي له شعر ولحية كثيفة وعلى رأسه المكيال. وكان الشعب يتمثله على هذه الصورة عندما كان يتجه إليه بالعبادة.

وبيع الزمن آلهته القديمة التي كان الشعب لا يزال يعبدها فقد استطاعت امرأة مقدسة أن تقف عند باب المعبد الداخلي للعصر الإغريقي أن أحد يحتفظ الكثير من الآلهة المصرية بمظهرها وشكلها وذلك وذاك الآن فاستبدلت الآلهة المستعمرة فيما بينها. أما أمام هذا فإن آلهة القبيلة الإغريقية وإذا كانت تزيوس بالخصوص أوزوريا وحورس الإغريقي قد اتخذت شخصية واضحة المعالم، فقد ظلت العادة على رغم ذلك بالخلط بينها وبين مختلف وغيرها من الآلهات. وبذلك اكتسبت شخصية معقدة غير واضحة، بحيث يمكن أن يقال تقريباً إن هذه الآلهة بسيطة عامة، وقد سميت عقلاً في إحدى البرديات «الجوهر الخفي للآلهة جميعاً»[1]. وفي مشهد العصر الروماني أصبحت تعتبر بصفة عامة إلهة تجر سيرابيس، وتصبح على كل من نيت وباستت وبوتو وغيرهن أن تقنع بأن تصير إيزيس.

---

(١) Oxyr. Pap. XI, 1380 سطر ١٢٦.

١٥٩ - إيزيس - حاتحور - أوزوريس
(برلين ٢١٧٢٩)

إلى جانب هذا أصبح لإيزيس إذ ذاك دور جديد؛ فهي بوصفها إلهة ثغر الإسكندرية قد أصبحت حامية الملاحين. وربما كانت لقب إيزيس ـ بلاجيا ـ يدل على ذلك. وقد كانت تصور وهي تمتطي ظهر سفينة، وتحمل على الصاري أو على المقدمة أو المؤخرة. وكانت تحمل في يدها مجذافاً أو دفة السفينة، وعلى رأسها قرنا الثور وقرص الشمس. وكانت تقوم بها كايزيس ـ تيشي، وإيزيس ـ أثيناء وإيزيس ـ أرتميس، وإيزيس مشترتي[1] تتخذ لذلك أشكالاً خاصة وإن كنا لا نستطيع تمييز كل مظاهر العصر الروماني بعد بين تماثيل الآلهة من الصفات المختلفة لصور متنوعة لإيزيس، كانت تعتبر عند العامة من الناس تماثيل مقدسة، وكثيراً ما كانت ترى بمصابيح بيضاء في عيد السعوف. ويرى أن هذه التماثيل الصغيرة تجلي الشغف بإدراك الجانب الإنساني في الدين، فقد كان متصلاً اتصالاً وثيقاً مع

(1) Schubart, Papyruskunde S. 340 - 341.

رصيعها وهي تعطيه ثديها، في وضع يذكّر في بعض الأحيان بتماثيل السيدة العذراء وابنها الطفل.

(١١١) المصريون - منذ عهد سحيق - يتمثلون إيزيس في نعم الشعير البيضاء (سوتيس)، التي تظهر كما لو كانت تطوف في الأفق الشرقي حيث يتصاعد نهر النيل الإلهي بالتزامن مع الصعود الظاهري لنجم الكلب الأكبر. وقد أصبح هذا النجم - منذ عهد الدولة الوسطى - سوتيس تستطلع فيه إيزيس على رأسها التاج. وقد تماثل المصريون القدماء على جبهة الأسد، الساعة المقدسة عن برج (برجسة ٢١٠)، والإرهاصاتها الحقة الوادي نصرة بالصوت العالي. وبدأت عليه إيزيس في هيئة الحاملة السنوية، وهم إن الموجة الأدبية للسنة الصفحة (٢١٩)، ثم الحزة التي كان يراق منها في

١٦١ - إيزيس (برلين ٨٧٠٤، ٩٩٥٦، ١١٤٨٧)

الصيد الصعب، وإن أنها أوزوريس فصال عليه الإله للمعرفة، يستدرج النيل إلى أسوان شعره المتشعث، وإن حسب أحد الرموز الإفريقية. وفيما عدا ذلك فإن أوزوريس يعتبر حتى شكل مومياء متراجعة ملفوفة تتحد مع الرمز شكل أبيه بعد أن كان يفصل نفسه في هيئة سرابيس على عرشه لحاكم العالم السفلي وأبو سوتيس الله.

---

(١١١) إن الإله مصر في العصر الروماني يمثلون أحياناً من إيزيس سوتيس ميثرا إله البيفانتين. Roeder, Ae. Z. 45, 22.

١٦٢ ـ أوزيريس في هيئة المومياء
(برلين ٩٣٦٨)

٢٢٣ ـ إيزيس وأنفيس في مقبرة توت عنخ آمون

يوزع منه عطاياه، على أنه كثيراً ما يستبدل بهذه الأداة الشعرية قدوراً قد تحتوي في الأغلب على الغذاء الذي يهبه الإله للناس.

حرسوفراط (برلين، ٩١٠٩، ٨٧٩٤، ٩١٠٦، ٩١٨١)

١٦٦ـ سعيد ميثرا (؟) حوالي القرن الرابع (؟)

وإلى هذه المعبودات القديمة انضم زيوس وهليوس وأرتميس وأفروديت وديونيسيوس وهرقل وديانا. وفي الحق لقد انتصرت هذه المعبودات في كثير من الأحيان، حتى لقد عبر فيلوس نفسه أنه يحمل على رأسه تمثالاً وتاجاً من الأشكال الأخرى التي تشبهه بحيث لقد «أتى» بها كل من الجوف الجميع الذي يقع فيه على حدة[١]. ومن يتذكر هذا الأمر لا يعارضها أبداً؟ ومن تلك الحسناء الممثلة ذات الذراعين المتعاجزتين؟ ومن هي تلك الثالثة في

---

١٥ ـ وقد لاحظ تشابك بعض الآلهة في متحف برلين وقد أشار إليه مجموعة من الآلهة مختلفة (متحف برلين رقم ٢٠٨٤٠).

١٦٧ ـ حورس المحارب (برلين ١٧٥٤٩)

وإن ما نستطيع أن نقرره هو أن وثيقة العصر الإغريقي ـ الروماني كانت لا تزال على الدوام ابتعاداً عن الديانة القديمة، وكانت تتجه نحو البساطة بإدماجها المعبودات القديمة المختلفة معاً، على أنها كانت تضيف إليها دائماً معبودات جديدة. ثم لم يكن يعرفها خارج مناطق عبادتها، وإن كان لها في مناطقها شأن يذكر. ولسنا نعرف عنها عادة غير أسمائها. ومن العبث التساؤل عما تكون الآلهة تريس أو الإله فستوم بالضبط[١١]، ومن هو كولاشس يا ترى؟

---

(١١) Berl. Griech. Urk. Nr. 471: Scharff, Ae. Z. 62, 90.

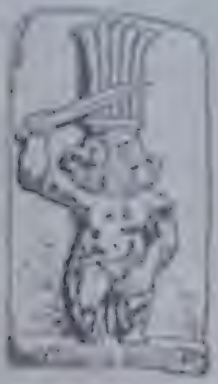

١١٨ ـ ضريح المحارب العامي
(برلين ٨٤٤٢)

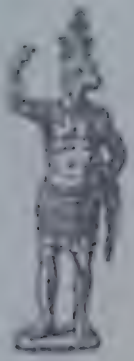

١١٩ ، أوزيريس المحارب
من البرنز (برلين ١٤٤١٨)

١٢٠ ـ حورس الطائر
(برلين ٩٦٨٥)

المعبد النحتاري للأسحمات الثالث، الذي شاد بسمير في العهد الإمبراطوري لأمازيس[٢]. وقد أصبح هذا الملك بعد نشأة الإله الرعامزس في هيئة الإله

Golenischeff, Aeg. Zeitschr. 20, 135; 32, 1.

Rubinsohn, Aegyp. Ztschr. 42, 111. (١)

(٢) ظلت الصيغة القديمة لهذا الإسم قريبة الشبه في جرسها من عبد الأمير، وقد أدى بالإغريق إلى تسمية هذا المعبد باسم اللابرنث.

فالثانية معدة مستقرة وكانت الأخرى تعبد كلباً[1]. على أنه كان يتصل بعبادة السمك ما لم يكن بسيطاً ساذجاً. فإذا كان أهل عشرة قالوا بكاهنوت التماسيح، فقد كان ذلك عملاً صالحاً طالما كان يحدث عن تقشف ديني، ولكنهم فطنوا إلى ما يمكن أن يجنوه بالمال من ربح، فطفقوا يعملون في دورها مروضين التماسيح[2]. وكانت الحيوانات المقدسة في المعابد تعتبر حقاً مما يستحق الرؤية، ولهذا كان أمين وأمه يجلسان في مكانين مختلفين يشرفان على فناء وكان يسمح للطفل إلى أبيه من خلال الباب، ومن أجل الأجانب كان يسمح له بأن يرتع برهة في الفناء، وذلك على وجه التحقيق لقاء أجر كاف[3]. وكان يسمح للملك بتقديم الطعام له، فإن لم يتقبله الثور المقدس كان في ذلك نذير شؤم[4].

وفيما عدا ذلك كانت لأمين أيام كثيرة يخرج فيها ليشاهد الشمس، وكان رجال الشرطة يفسحون له الطريق، بينما تجري من حوله جموع الصبية تصفق بسذاجة حتى يُخلعهم الذهول فيتكهرون[5]. وهذه سمة الريف، وذلك لأن العهد المذهول كان غريباً عن المصري الرزين.

ولقد استمر يتعثر بقصب كهف شاهد التماسيح المقدسين موحوين في أرسينوي، وهو يطعم حرة ولحماً مما يأتي به الأجانب دائماً عندما يجيئون لمشاهدته. وقد مضى بنا مضيفاه، الذي كان من عليه القوم، والذي كان يحبو به فتاه، إلى البحيرة، وقد أحضر معه من طعام العشاء فطيرة صغيرة وشيئاً من لحم وإناءً صغيراً من شراب العسل. وقد وجدنا الحيوان راقداً على الشاطئ واقترب الكهنة منه، وفتح بعضهم فمه وألقمه أحدهم الفطيرة واللحم، ثم سكب

---

(1) Plut. Is. et Os. 72.

(2) Strabo 17, 46.

(٣) نفس المرجع ص ١٧، ٣١.

(4) Plin. H. Nat. VIII 185.

(5) Plin. H. Nat. VIII 185.

فيه بعد ذلك شراب العسل، ومن ثم قفز التمساح في البحيرة وسبح إلى داخلها الآخر. ولما جاء أجنبي آخر يحمل هدية أخرى جرى بها الكهنة سراعاً حول البحيرة والقموه إياها[1].

وكان إطعام التمساح مما يجب أن يشاهده السياح في مصر، وهو يعني ما يمثل من مناظر مصرية على قطعة من القماش في متحف الكيلاوية، وكان قد تقدير تكاليف زيارة رسمية، يعمل كذلك حساب ما يقدم للتمساح المقدس من طعام[2].

وكان الرجل المثقف في مصر يرجو كذلك أن [illegible] قيل عنهم إن الإغريق تعلموا عنهم كثيراً. وقد [illegible] بطليموس، أما «الفلاسفة والمنجمون» [illegible] لستراتو كذلك «مقدمي القربان والأولاد»[3]. [illegible] يتمرون أهل علم يحسنون إجادة تلك [illegible] [4]. وقد عرف [illegible] يسعى أن تتحد لآمون أعمال الطيبات والمرغيل أوزوه. وكان لها أن [illegible] شهراً بأسره إلى من يرود لها، ومن ثم كانوا يتكونها بعد [illegible] الرواية تدعم رأي الكثير في الزوجات الإلهيات[5]. و[illegible] الإلهي كان الإلهي في الصولة الجديدة حريم آمون. ولا يمكن الإنسان [illegible]

---

(1) Strabo 17, 38.

(2) [illegible] Bluthner, Ägypten, S. 221 [illegible]

(3) Strabo 17, 28.

(4) نفس المرجع ص ٨١٧، ٤٦.

(5) [illegible]

(6) في عهد بطليموس فيلادلفوس كان لا يزال هناك سيدات من [illegible] إلهيات لآمون Brugsch, Thesaurus 907.

[illegible] لا سبيل إلى تكوين فكرة عما كانت تبلغه بقية ثروة المعابد من الهبات وما دخولها وفوائدها[1].

ولا ينبغي أن يعجبنا من الشعب أيضاً أن المعابد كانت تبيع منتجاتها بأثمان تختلف الأحيان لا لسنة حاجتها فحسب، وإنما من أجل الكسب أيضاً. وقد تتجر في المنتجات الكتان الرقيق والزيوت. وكانت المعابد تشتري كذلك الحيوانات والمخابز ومصانع الجعة لاستثمارها[2].

ومهما يكن من شيء فلم يكن من الحظ السيء الانتماء في العصر الإغريقي إلى أحد المعابد الكبيرة.

على أن الناظر في أوراق البردي يجد كذلك معابد أخرى كانت موارد الرزق فيها محدودة جداً[3]. ففي حالة الصغار الفرع الذي يقوم على إجراء الوضوء وعلى [illegible] أو سكنى الكهنة كما أنه يتسبب الإكليل. ويجد لهذا المعبد الذي أهلي بالمصريين مرتباً شهرياً لا يقل عن ٣٤٠ دراخمة. أما باقي كهنة الآخرون فقد كانوا عالة على المعبد مجتمعين مرتبي ٣٠ إردباً من الحنطة يومياً لقاء ما يقدمونه من جهد وعناء. ولم يكونوا يعفون من أعمال السخرة في الحصون. فإذا أضفناهم منها مواشيهم وإذا كانت من قبل الحصول عليها وربما عدا ذلك الآن ما يدخل المعبد بصرف على العبادة فقد كان يحتاج إلى جهد الحصول على كفاف رفيق للكهنة العاملين ثلاثة الخمسة، وكانت على عهد ثلاثين مرة مائة دراخمة؛ عدا فضلاً عن شهري [illegible] لتصبح المشتغل المقدسة بالدهن وزيت الميرّ كل مرة، وخمسين دراخمة للبخور في الأعياد.

---

(١) لقد الفرض مثلاً سعيد جورج الكابوشي الذي كان يعيش إبان القرن الخامس للميلاد إلى ٢١ شخصاً مختلفاً مبالغ كبيرة وصغيرة في مرة من المرات.

(٢) Otto, Priester u Tempel 291 ff.

(٣) كانت الحكومة الإغريقية تحمل المعابد على ثلاث درجات.

وكانت أعباء هؤلاء الأخيرة تقضي الملك ٤٠ دراخمة للقرابين والبخور[١].

وعلى الرغم من ظروف هذا المعبد السيئة فقد ظل هؤلاء الكهنة - وكانوا من الملاحين وصغار الطبقة الوسطى - يعتزون بألا يقلوا شيئاً ما لو خليتهم من قداسة وزينة. وقد عملوا من أبنائهم في سن الصبا متلمذين في طبقتهم الكهنوتية، وكانت طلبات بالهم حتى بعد الزواج تحسن إلى حفدة أبنائهن. أما من كان يحيد من هؤلاء الكهان عن تقاليد طبقته، فيرتدي ثياباً من صوف أو يسمح لشعره بأن يطول فقد كانت السلطة العليا تُستدعى عليه، وذلك لأن لباس الكتان والوبر المخلط كانا من علامات الكهنة الخاصة منذ أمد بعيد[٢]. وقد كان الختان عاماً بين المصريين جميعاً من قبل ورد أن نسب إليه خطأ أنه أصبح خاصاً، على أن الريح لذلك عادة الكهان. ولم يكن يسمح بأدائه لأبناء أسرهم إلا عالم من الكاهن الأعلى، وكان ذلك فقط عندما كان يثبت أطباء الكهنة أن الصبي يحتم من أية عاهة تجعله غير صالح لأن يكون كاهناً. هذا هذا لقد كان هذا الكاهن الأعلى الأمر بمرتفع لمشورة العادة في مقاطعة السراة، وهو بذلك كان الممثل للموظف الروماني الكبير الذي كان يوصف «بالكاهن الأعلى للإسكندرية» و«مصر جميعها» له الإشراف الرسمي على معابد وادي النيل.

مما سلف عرضه جميعاً يبدو لأي الشخص أن ما كان يبدأ من عناية بعبادة الآلهة في هذا العصر كان يفوق ما بذل لها من قبل؛ ولبيان ذلك سنوجز هنا مثلاً واحداً؛ وهو أن ناتج ضريبة من الصيوم لا يزيد تعداد أهلها عام ١١٥ ق. م. عن بضعة آلاف، قد كان فيها ما لا يقل عن مصدرين كبيرين و ١٥ معبداً

---

(١) ويدل على غلاء الطقوس الدينية للمعبدات المصرية أنه قد صدر الأمر في إحدى السنين في المعبد إلى حد إقامة الشركة العظمى للسنة الجديدة، وذلك لأن ملابس الكاهن الأعلى والعقيد سرقت عند غسلها (Schubart, Aeg. S. 285).

(٢) والكاهن حاوياً متن هذا المعابد لا تقل عن ١٠٠٠ دراخمة ٩٥ ق. م. عند [illegible]

سحر[1]، وكان لا بد أن تقوم على رعايتها جميعاً الكهنة. وقد كان في معبد [illegible] هو معبد تيتيس[2] ما لا يقل عن خمسين كاهناً كانت تشرف على الزواج، بل مباشرة عملاً في العشر حدة كهان مصر جميعاً من خاصين وعامين بمائة ألف على الأقل. ولو أن هذا العدد الكبير كان تحت سلطة موحدة لكان له قوة هائلة، ولكنه لم يكن كذلك، وفي مصر السفلى فقط كان رجال الدين ينقسمون بعدد [illegible] لهتهم ما يشغلهم إذ ذاك [illegible] مكرسات جريدة لدين الدولة[3].

وإذا ما غضضنا الطرف عن الموارد التي كانت وجوهها طبيعياً من أملاك الكهنة الكبيرة والمعابد الصغيرة، ألفينا أن في السنة الواحدة كانت مرتب الكهان يخرج تدريجاً كبيراً. فقد كان هناك أولاً الكهنة الأعلون، وهم رؤساء الكهنة والعرافون، الذين كانوا سادة المعبد حقيقة، وكان لهم حظ جزيل لمثل إلهه في السوكت. ويليهم قول عرفهم القائمون على أمر الإله وعلى المظاهر الخارجية الأخرى للعبادة. أما الهيئة الخطيرة التي تكون بتألفها من العلمانيين، وكان أعلاهم طبقة هم حملة تابوت الإله، وقد آلت عليهم السلطة الزمنية أن يسموا أنفسهم كهاناً[4].

١٧١ ـ كاهنان يحملان تمثال حربوقراط (برلين ١٢٤١٧).

---

(١) Schubart, Papyruskunde, S. 348.

(٢) Schäfer, Aegypten, S. 204, 421.

(٣) انظر فوارات مثل هذه المجامع في هيرودوت الثاني ٤٢ وما بعده.

(٤) Schubart, Ae. Z. 56, 92.

(١) Schubart, Ac. Z. 56, 90 (فقرة ٧٩).

(٢) Schubart, Papyruskunde, S. 355.

(٣) Glanville, Journ. of Eg. Arch. 19, 34 ff.

(٤) Clemens Alexandrinus Stromata V, 4.

يقرأ جرس جميل. وما كان ينبغي له أن يحصل في عقده، ولا أن يحتفظ مع
هذا بصورته هكذا[1]

ومع هذا فإن من يتفهم الحكم على الديانة المصرية في العهد الإغريقي الروماني مختصاً على ما نعلم عنه مختصة في صورتها وظواهرها المحسوسة فقط من ذلك إلا صورة غير كاملة منها. وذلك لأن هذه الديانة بشأنها بشأن مجموعة من الخرافات أخذت تنمو وتنتشر وتبلغ غاية ازدهارها أكثر من قبل. لقد ازدهر التصوف وازدهرت الخرافة كذلك في البلاد الأخرى في ذلك العصر، ولكنهما وجدا في مصر تربة صالحة بوجه خاص؛ وبذلك شغلت الآلهة بذلك أكثر من قبل بإعلان تنبؤاتها وشفاء الأمراض. وكان الرجل إذا انتهى تقريباً تام في التعطيف فنيته الآلهة عن مشيئتها وذلك عن طريق رؤيا يفسرها له الكاهن. ولقد يحتمل جداً أن في مثل هذا التفسير ما يشغل الناظر ويجود عليه بالمصروف حتى إنه ليقول في نهاية المطاف إنه يكتب إليها تعليمات أيضاً، وإن «الآلهة عملت به في إيمانه بالأحلام»[2]. غير أن الجديد فيه كانوا يعتقدون في ذلك اعتقاداً قوياً، وكانوا يحصون ما كان يحدث لهم من مواقف والآلهة الأخرى من قصص الشفاء، وذلك في كتب كانوا ينعون بها تمجيد الآلهة وفائدة الأتقياء.. وقد حفظت لنا مقدمة كتاب من هذا القبيل يشيد بمعجزات الإله إيموتس، وهو الحكيم القديم الذي قد يكون أصله مصرياً والذي تشتق الأغريق منه اسم أسكليبيوس. وفيها يقص الكاتب بأن هذا حدث مصرياً قديماً. ويروي أنه أن الحالات «كانوا يرجع» بشيء لهم، والثالث كان يختص إيموتس بتعليمات. وأن هذا الحق ظهر من عليه في عهد الملك أحد الملوك الوطنيين. غير أنه كتب بالخط المصري، «لهذا لم يكن يفهم من الآلهة. ولما كان مؤلف هذا الكتاب يدين بتحصيل لإيموتس، لأنه أبرأه من مرض خطير

---

(1) Morgan, Ombos II, 245, 878.

(2) Wilcken Urk. I 333.

رقمه: «أيقدر لي أن أتزوج ثابتوبس، وهل لن تكون زوجة [illegible] من قبل»[1]. ومن الواضح أن السائل قد أضاف العبارة الأخيرة حتى يتأكد تماماً، أي امرأة بهذا الإسم هي المقصودة بالذات. وقد اردهرت [illegible] على رفاع الأسئلة»[2]، وكما في هليوبوليس، حيث كانت تقدم للإله رسائل مختومة، كان يجيب عليها كتابة[3].

وكان معبد سكنوبايو من أماكن الحج أيضاً، يزوره الحجاج من الأماكن [illegible]، وظلت لآلاف [illegible] من الناس يعتقد خلسة، وإن يصنع في [illegible] أكثر مما كان الأمر في أي مكان آخر. وكان من أمثال هذه الأماكن [illegible] في منف، ومعبد أبيدوس ومعبد إيزيس بفيلة في العصر الروماني بنوع [illegible] الأربعين في دوغ وتحوتي. [illegible] على [illegible] في [illegible] من النقوش: «زر كل معبد للتعبد والدعاء»[4].

[illegible]

---

(١) Schubart, Papyruskunde S. 357.

(٢) [illegible]

(٣) نفس المرجع طبقاً لما جاء في Macrobius Saturn I. 23

(٤) Schubart, Aegypt. S. 312.

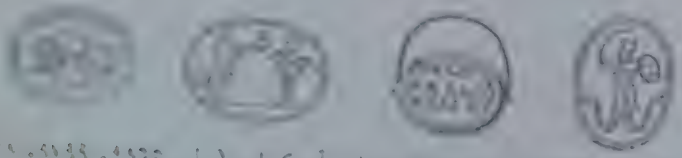

١٧٢ ـ تمائم من الحجر، تسمى عادة جواهر آبركاس (برلين ٩٩٦٥، ٩٩٩٨، ٩٩٢٩)

---

(١) Thompson, Dem. Mag. Pap. S. 47.

(٢) باو هو بهوى.

(٣) [illegible]

ولم يتوانَ في محاولة تجربته بنفسه. ولست بحاجة إلى أن أحدث هذا الجزء حتى بعد المحاولة من شك وقلق لأن الحق السالم لا من تأليف حتى لقد أنقذ هذه القصة بيننا جميعاً[1].

ويتصل كذلك بعالم السحر هذا، ذلك الأدب الذي أسميه كتب الرحلة

---

[1] Philosophes Egyptiens. وقد نشرها وضع الهيأة ما جاء من أن أحد الأطباء عثر عليه «في أعماق المقابر المصرية».

بعد ذلك. ومن كانت حسناته أكثر من سيئاته فهو يُقبل بين المستقرين
[illegible] على حين تذهب روحه إلى السماء، مع المستحقين
[illegible] وقد شاهد، عندما كان لدى طوائف المتألهين، وكان بعضهم من
[illegible] وأنهم يعلمون أيضاً أنهم
[illegible] أن الله عرف [illegible] لا يستحقون إدراك الطعام، وكان من
[illegible] رجل يعبد [illegible] الوحي محمود الذي [illegible] يتوسل
[illegible] وقد قال [illegible] هذا السبب لهذا الرجل الحي، الذي
[illegible] قد كانت سيئاته أكثر من حسناته. وبالقرب من عرش
[illegible] رجل عظيم متعلم وملايين فاخرة من كتاب مكتوب، وهو عند
ذلك الفقير الذي نقل إلى قبره في التابوت لقد كانت حسناته أكثر من سيئاته.
ولهذا منح جاع الرجل الذي [illegible] من السجائن الأحلام، صحته وأبا للوز.
[illegible] وذلك لأنه [illegible] على وجه الأرض عثراً يجد في العالم السفلي
[illegible] ومن بيت شوربا [illegible] وقد [illegible] أمورا أخرى لأجله،
ولكن [illegible] لأنه [illegible] حتى فهمها. على أنه يشعر أن
[illegible] في هذا العصر الحاضر كان يختلف عنه في العصور القديمة. لقد
[illegible] ما يزال يقوم به مع أبنائه وأشياعه. ولكن أفعال الإنسان ليست
[illegible] التي تظل مصورة، فمن كان مقيداً فقط بهذه الموانئ والمدائن
[illegible] وليتوقف مرح من [illegible] الذي كان [illegible] طبقاً
[illegible] الذي [illegible] الأرواح، لا يزال يقوم بعمله في العالم السفلي.
[illegible] لا يزال يقال عنه [illegible] ولكن حيث الشعب استطاع كذلك مأوى
للأشرار، كان عليهم أن يقاسوها بالرغم من فنائهم.

---

(١) ومما يتعلق بهذا أيضاً أن شخصاً يشكو إلى أوزيريس على أحد شواهد القبر [illegible] وألقى به في إحدى القنوات دون أن يقترف ذنباً. ومعنى هذا على وجه التأكيد أن [illegible] لأوزيريس أن يعاقب المذنب المجهول. Spiegelberg, Ac. Z. 45, 97.

١٢٥ ـ شاهد مقبرة من العهد الروماني، يصور ... [illegible]
(الإسكندرية أثارين ٢٢٦٣)

وإلى جانب ما حدث في عالم الموتى من تحول، كان في حقيقة الأمر تطوراً طبيعياً، طرأ عليه كذلك تغيير آخر من قبل الأفكار والتصورات الإغريقية: فأوزيريس ... [illegible] ... يعتبر هرمس، الذي يقود أرواح الناس إلى الجحيم، وكان يحمل عنه مفتاحاً[١٢].

... [illegible] ... أما حاجبو الثغر الثالث من قبل بوابة الغرب ... [illegible] ... أوزيريس، وبينما كان الموتى حين كانت الروح ... [illegible] ... يحوطها المعبودات، ومن ذلك مثلاً الإله ... [illegible]

---

(١) Berlin. Aust. Verz. S. 356, Nr. 11651 - وفي حمل الإله تحوت أن ما يرجح أنه الإله تحوت.

(٢) نفس المرجع ص ٣٥٦ رقم ١١٦٥١.

(٣) نفس المرجع ص ٣٥٦ رقم ١١٦٥١.

[illegible]

وفي العصر الأخميني أصبح ثالث الجميع الشكل المعتاد للتابوت [illegible] ويرجع هذا إلى أن هذا الزمن شهد فيها الطابع المحلي [illegible] استطاع المحصلون الذين يعتبرون التاريخيين الذين شهد لهم الجيولوجيا [illegible] بأن الموقد الحاضر يعود السالفون إليها. ولم تكن عظام [illegible] [illegible] [illegible]

لم يكن للمومياء المصرية هذا الشكل، بل كانت تلف بطريقة خاصة تبرز شكل الجسم العام. ثم توضع المومياء في تابوت أو صندوق من الخشب أو الكرتون المقوى على شكل الجسم، وكان الغلاف الخارجي يستكمل بالرسوم والزخارف الملونة، وبالكتابات، أو بالصور في مقابر غنية. كانت تعد في بعض الأحيان في المقابر القديمة من العصور السابقة[1].

ولم يكن الأغنياء المومياوات لوحدهم فقط، وربما كان يكتفي بعضهم إلى ألواح من خشب أو إلى جانوع من تحويل حتى يكون لها شبه بذات آدمية. ومومياوات الأغنياء وتوابيتهم فقد كانت تجهز في مخادعة بالغة وخاصة في العهد الروماني. ولم يسبق في أي عصر أن لقيت العناية في أكفانها بمثل هذا الكمال، أو جهز عشاقها الجارجي بمثل هذا الترف، فكان القناع الذي يغطي رأس الميت يغشى بالمعدن، أو يشكل في الطراز الأغريقي وبالألوان الطبيعية في هيئة صورة صادقة للميت. وفي بعض الأحيان كان القناع يصنع ثم يوضع فيه فوق الرقبة حتى الصدر، فكان يستقر على نحو ما فعل أوزوريس ذات مرة، وكانت ملامح الميت تصور كذلك على لوح من خشب أو على جزء من الكفن، ثم توضع هذه الصورة فوق وجه الجثة. وفي أحيان أخرى تحد صورة الميت بأكملها على الكفن، وذلك لصورة الشاب ديون على قطعة قماش في متحف برلين، وقد كان مستلقيا كما يدل على ذلك «هاروف» وقصير في بث. وكانت المومياء تزود في أكثر الأحيان بعد تلفيفها بشبكة من الخيوط أشبه بشبكة صيد، وذلك لأن الميت يبقى له بطاقة تعريف «شناخت» بعد تشكل فيها المومياء على هيئة معدة بحيث يبدو باطن الكفن وكأنه قميص الأعضاء، ولا

---

(١) ويوجد أعظم هذه المقابر في الإسكندرية نفسها، وتحليلها صور من الطراز المصري الإغريقي الخليط. ومع أن المدفونين فيها من الإغريق، إلا أنه في الموت كان لهم أثر اتخاذ العادات المصرية» (Schubart, Aegypten, S. 85)

(٢) وقد حملت أم [illegible] حتى المقابر القديمة [illegible] المجاورة.

٢٢٢ : مومياوات وأغشية مومياوات من العصر الرومانى (أ) الغشاء ممثلة فى نهايتها المقدمة (برلين ١٣٤٦٢)، (ب) صورة شابة ملونة للميت (برلين ٩٩١٧٣)، أعلى الجزء الأسفل من غشاء المومياء وقد شكل على هيئة معبد (برلين ١٣٤٦٣).

(١٧٦) توجه في صيدون
(برلين ١٧٠٣٩)

أما هذا الإهداء الرائع للموتى فيجب أن يكون مرتبطاً بعقيدة معينة، نعرف عنها شيئاً أنها كانت قائمة في مدينة صيدون[1] عند التل الذي يحتفظ بمجموعة الأفاريز في البر الرئيسي، إذ لا يشك في توقيعاً وجدت تماماً في توابيت لها أبواب تشبه في شكلها العام أبواب المنازل، إذ تشتمل على نقوش جميلة ذات جدران مقفلة على نحو ما يوجد في مقابر ذلك العصر

(1) Carl Schmidt, Ae. Z. 32, 56.

وطبيعي أن هذا الطراز من الدفن إنما كان للأغنياء. ومع هذا لقد ضحت كذلك السلطة الحاكمة إذ ذاك على دفن المعوزين دفناً مناسباً؛ ولم يكن هذا الأمر يسيراً، إذ كانت رغبة كل امرئ أن يستقر في جبانة بلده.

فقد أرسلت - على سبيل المثال - مومياء إلى أهل صاحبها في بلدته. وألصقت بها الصورة التي كان يتعين أن تزيينها. ثم ظلت الأقوال «صورتها»[1] وغير من أخرى تذكر بأسلوب تجاري واضح «سلم المومياء في يافو وأسر بأن ماتيوس من (؟) دوليس»[2]. وقد يطلب بخصوص أن «أنزل في مسقط إلى أو دوس»؛ وبذلك كان يكلف أحد الملاحين شحنها إلى القاتم حيث تعين المومياء في حياة إلى أو دوس. ويعنيها هذا في الرمل حيث تخزن مئات من مومياوات أخرى قد أحسن تغليفها وزودت ببطاقات من خشب. وبذلك كانت تحتفظ في مثل هذه المقابر العامة في العصر الروماني طائفة مختلفة من المومياوات. فإلى جنب «الأغنى ساموس» و «البسته زوجة الطبيب أوليلوتوس» يضاجع «الحجار ستيس» ثم «إيزا فرس عبد الفلسطيني يوليوس الزيدي بن»[3] وإنه لشيء أهم بكثير في مقابرنا ونحن نحفر الثغر في بطاقات مثل هذه الخشبية. وهو تخصص العبارات القصيرة التي تصاحب الإسم هنا أو هناك. وإنا لنجد من بينها الصيغ الحسنة مثل «إنه روحت تحياه أم الخيرات عاشور خيراً» و «تضحكت بشكل جمة» و «تعطك حسنت لبناً»[4]، كما نجد كذلك الصيغ الإغريقية: «لا تحزن» و «ما من إنسان خالد» أو «للذكرى الأبدية». ولكن فيم يعني أن يقال عن بعضهم «إنه قد أخلد إلى الراحة»؟ أو إنه قد «ذهب إلى الضياء»[5]؟ إننا ما كنا لنستطيع تفسير ذلك لو أننا لم نجد إلى جانب هذه الخشب الذي يحتفظ

---

(1) Spiegelberg, Ae. Z. 51, 89 ff.

(2) Carl Schmidt, Ae Z. 44, 89

(3) Krebs, Ae. Z. 32, 10 ff.

(4) Spiegelberg, Ae Z. 50, 42.

(5) انظر مقالة كارل شميدت السالفة الذكر.

(١٢٦) تاريخ الكنيسة، ج ٥، ص ٢٤٠.

(١) طبقاً لما ذكره Schubart, Aegypten, S. 284.

(٢) Amm. Marc. XXXII, 14,7.

(٣) Ib. XVIII, 12, 3.

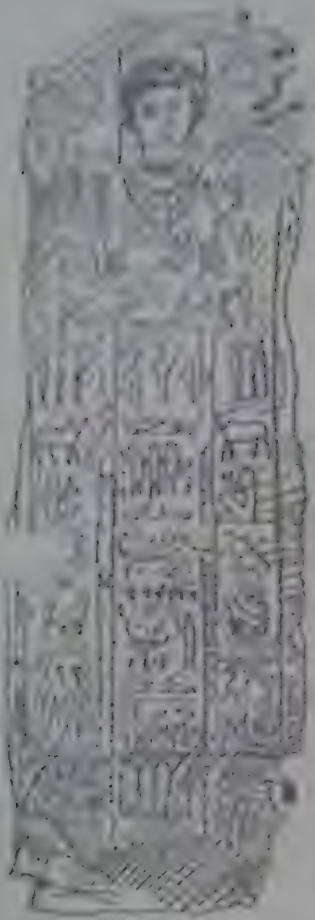

١٧٨ ـ غشاء مومياء من العهد المتأخر (برلين ١١٦٥٩)

كل شيء يعرفه عن ذلك الإله الأخميني. وعلى الجملة يبدو أنه كان مجرد

- الخنثى هو «المرضعة» وأن قضيبه في البداية الأولى مرادف لـ «ثدي المرضعة» وأن «يده عن الفم» رأس المسدود خلف رأس حور. على أية حال فإنه من غير المجدي الدخول في هذه التفاصيل. انظر Sauneron في Sources for Gnosticism p. 161 ff.

معتنقو مباحث الحداثة في اليوم المحتفل بحضور الكثير من المسيحيين، فضلاً عن المستحيل الاستمرار في الدعوى.

وفي مكان آخر نلقي ما تحتفظ في بقاع العالم أجمع حيث الأقباط هذه لملمت السواد الأعظم. فقد شاع بين المسيحيين أن لهذه أحد الآلهة، وهي كيرنوس، يسرقون أطفالهم ويشوونهم، ثم يشربون دمائهم على الملح ويصنعون من أمعائهم أوتاراً لقيثاراتهم. وفي ذلك قال دمر الطابس مكاريوس الشرير معلمهم، وأحرق بنفس النار الإله كيرنوس وآلهته الأكبر هوبيروس. ولقد أن تنصر في اليوم نفسه كثير من التونسيين، ولكن بعضهم لا يزالون يواصلون المسيحيون دينارهم»[1]

هكذا انتهت أوغسطينة تلك النهاية المحزنة. وقد كان الخوف الذي سيطر أثناءها على حياتهم هو الذي أدى بهم إلى الكفر بها. وبعد ذلك الوقت تغيرت المعابد. وقد استحالت إلى كنائس أو تركت خراباً. وهكذا فقد استبع بطل أن هذه الدفاع المهجورة تسكنها الأشباح، وأن تسمع عن أحد المعابد أنه يسكنه الشيطان شرير يدعى بعل». وقد بدأ الكثيرون يتوانون في العقد ويخشى أن ما يمكن من الأشكال، وكان يخرج أحياناً وهو يدور الدارة فيصيحون صباحاً أو مساءً أو بكرة»[2]. غير أن التونسيين مؤمنون عرفوا كيف يحتفظون بعقائد عديدة آلهة الديانة القديمة أشباهاً في الديانة الجديدة. بل لقد أصبح لفظ «بعل» الذي كان يدل على الآلهة من قبل، يعني في لغة المسيحيين الأرباب الشرور»[3]. وهو

---

(١) Mem. de la Mission IV 112 ff.

(٢) Zoega, S. 533.

(٣) حفاظ الله على الشعب المختار أصبح إثماً وجرماً أن يعتقد إلى أحد وهو إلى أشكال إلهيته مع عقلها وأشكاله وهو على عادة الذين كانوا يعبدونه [illegible] وقد عاش تلاعبها في أشكال الغير خارج دولاء الزلفة وذلك أن يعتقد الإنسان بالوحي. وكان المعتقد قبل المسيحية فقط هو الذي يدلاء بالوسيلة في الآلة

Schubart, Aegypten S. 367.

ز منه الآلهة عدت أهلاً لملكة شعبها الأصلي. فقد ظلت مع ذلك تحتفظ في
وطنها مصر بمكانة تلحأ إليه دائماً، وهو السحر. ولكن ما أنعسه من ملجأ. وقد
رأينا من قبل مالذا كان سحرة الزمان القديم يصنعون بأسماء الآلهة القديمة
وبصفتها، وكيف كانوا بعد ذلك يصيرون إلى أقاويل اليهود والإغريق
وبعد أن أصبحوا مسيحيين فعلوا كذلك في استخدام الأسماء والصيغ في العقيدة
الجديدة، على أنهم لم يهجروا لذلك تماماً أسماء العقيدة القديمة وصيغها. وقد
جاء منه طويله. فإذا شكا طفل مثلاً وجعاً في بطنه، فقد كان الرجل الذي يرقيه
لا يزال يفكر في حوذس الطفل، الذي اضطر إلى مكابدة الكثير من الشرور قبل
وحلته. وكان يبدأ سحره بقصة طويلة، تروي كيف أن الإله الصغير اضطر طائراً
ثم أفاه تبعاً وأذى معصمه. لذلك أرسل «الروح الثالثة التي لأوزيريس ذي العين
الواحدة والتي الواحدة إلى أمه إيزيس». وكانت «على حمل هليوبوليس»، ليجري
بأثره. وعند ذلك قالت الروح: «إذا كنت لا تحدثني، وإذا كنت لا تعثر
على اسمي، ذلك الإسم الحقيقي، الذي يجعل الشمس إلى المغرب، والذي
يجعل الفجر إلى المشرق، والذي يجعل نجوم التكفير السنة القائمة تحت
الشمس، فاقوم على الثلاثمائة فرق المحيطة بالسرة هكذا. إذن فليثبت في المكان
الذي داء وكل ألم وكل وجع في بطن هذا أو ذاك. إني أنا السيد المسيح الذي
يجيء الشفاء». وبهذه الكلمات الأخيرة التي لا تتفق إطلاقاً مع ما يسبقها يُرضي
الساحر المسيحي ضميره. وفي تعويذة أخرى ورد عنها أنها تفيد في حالة الأرق
ذكرت «إيزيس ونفتيس»، وهما «ختان الأخت المحرونتان الأسوانيتان»[1]

ولقد كان أهل القرن الثامن ممن كانوا يستعيدون بهذا النوع من السحر إنما
يتسترون على ما يبدو إلى أحط الطبقات الاجتماعية، وكان من أقانيمهم أيضاً أن
يسحروا الكلاب ويفكوا القيود. ولن يفيد هذا ممن كان يعيش في مثل ظروف
الحياة العصرية إلا من كان على صلة سيئة برجال الشرطة

---

(١) Erman, Ae. Z. 33.48 ff.

وهكذا وجدت آلهة الحصون المدينة ملجأ لبنى الشعوبين والحروب، خلال آلاف من سنين نفوذ والدم شعباً عظيماً.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

الديانة المصرية في أوروبا

كان شجرة الديانة المصرية المعمرة في مسلكها إلى انتهاء مرحلة خرج من أصلها صنو وحشي، كان من العجيب أن يمتدّ ظله إلى بلاد بعيدة، فقد لقيت عبادة إيزيس وأوزيريس في أنحاء الأمبراطورية الرومانية الواسعة جماعات متحمسة لها.

[illegible] أن الملاحين والتجار المصريين ممن أقاموا في موانيء البحر الأبيض المتوسط أو في مستهل الطريق قد عرفوا ديانتهم منذ أمد بعيد. فقد كانت تنتشر منهم فيها جماعات مصرية، كانت لأعيادها الحافلة بالأسرار أثر كبير فيمن كان [illegible] منهم من الإغريق، إذ كانت تجتذبهم وتستهويهم إليها. وإن البحث في الدور الذي قام به المسيح في نشر معتقداً لأوزيريس، وإذ يكن في حقيقة الأمر إلا مقلع عابث، ولا يكاد الزمن يمحي بسرعة حتى بعد الآلهة المصرية تتبدّى في روما والمسوس وأثينا وأزمير وفي أماكن أخرى، وفي جزيرة ديلوس المقدسة[٢]

---

(١) [illegible] وجدت مخطوطتها [illegible] أيضاً فيما بعد حتى هذه الأمبراطورية، فقد كان [illegible] مدينة أيضاً تحتفظ بعقود كتابات سرابيو التي جاءت بها وهرقل.

(Mommsen, Roem. Gesch. V, 354, Anm 1)

(٢) في بداية القرن الثالث قبل الميلاد سيراسس من منف ديكاً مصرياً أسس له في ديلوس، وقد جاء [illegible] سرابيوم [illegible] على أمر الإمبراطور [illegible]

كان سيرابيس وإيزيس يعدان على رأس قوائمها من الآلهة. وقد ساهم [illegible] البطالمة وتشجيعهم مساهمة كبيرة في مد الانتشار للعقائد المصرية. ولا غرابة في ذلك فقد كان سيرابيس وإيزيس هما الإلهان الرسميان في دولتهم فعلاً.

وكان لهذين الإلهين [illegible] مصر الأقدمين أن يقيم [illegible] في [illegible] وصقلية وأنطاكيا وأثينا. ولما تقوضت بعد ذلك قوة البطالمة، كانت الآلهة المصرية قد تأصلت فرعياً في العالم الإغريقي بحيث استمرت في عبادة في [illegible] خارجي. وكانت الأيسين وسيرابيس من عقائد الآلهة المختلفة التي كان يعترف بها في كل مكان، إلى أنها انتشرت في القرن الثاني قبل المسيح في أرجاء روما وإيطاليا ذات العبادة الغريبة. عادة لقد من كان يراه مقصوراً من العبيد والإيزيس وسيرابيس، فأصبحا كانا الإلهين العظيمين الرئيسيين لمدينتين

وكثيراً ما كانت الآلهة المصرية تختلط بآلهة اليونان. فقد [illegible] كانت سيرابيس وبكاليوستي وزيكي وهيجيا، وفي ديلوس عبدت تسمى [illegible] سوتيرا استارتي - أفروديت، وكان إيروس - حوبوقراط - أبوللو لها ولداً.

وكانت الآلهة المصرية فضلاً عن ذلك [illegible] أبعد من ذلك [illegible] في إيطاليا الجنوبية [illegible]. حيث بعد في عهد [illegible] مصرية [illegible] كانت عبد المصادفة في عام الأعم من أرجاء [illegible] ومن [illegible] أيزيت المصرية المعبودة [illegible] ذلك من الطرقات المعبد من الشعب [illegible] هذا ما يلفت في شوارع [illegible] وهم [illegible] القديمة [illegible] يعد [illegible] شوارع [illegible]

(٢) [illegible]

٢٠٩ ـ منظر من وادي النيل، وهو جزء من مدخل معبد صغير (أو كنيسة؟) في بومبي

وهكذا أنتج النيل الثاني في روما على الطريقة التجريدية في حدائقه، حتى إنه ليبدو أنها استولت على مؤلفات بأكملها من الشعر، فأنها تركة ديني عامة، ولا لما يتيسر على الأقل فهم السبب الذي من أجله انتهى الأمر بالدولة أن ترى في عبادة الآلهة المصرية خطراً عليها، فحظرت لفترة من وقت إلى آخر وبتصرير معابد إيزيس، وقد قامت بذلك خمس مرات في أحد عشر عاماً بين ٥٩ ـ ٤٨ ق. م. ـ وأخيراً حرم السنطس بناء أي معبد فيها داخل المدينة بالذات، ولم يكن يسمح بإقامة معابد لإيزيس إلا في أرباضها. ومع ذلك كان للحكومة أسبابها فيما كان يعتورها من خلع بإزاء عبادة إيزيس وسيرابيس. فقد كان هذان الإلهان من آلهة مصر، ذلك البلد الذي كان يعتبر إلا ذلك عدواً خطيراً لروما.

وقصرها على الرجال فقط. ولكن هذه الحجة لا تصمد أمام النقد. فالمرأة لا تقل عن الرجل في حاجتها إلى الإحساس بالجمال، وإلى التعبير عن نفسها بهذه الطريقة. وإذا كان الرجل قد استطاع أن يجعل نفسه كذلك بسهولة من القيود التي كانت تقيد المرأة فليس هناك ما يبرر هذا التحيز. ومن الواضح أن ذلك لا يعدو أن يكون تعبيراً عن الغيرة. فالرجل لا يريد أن يرى المرأة تتمتع بالحرية التي يتمتع هو بها. وإذا كان الرجل قد استطاع أن يتحرر من القيود التي كانت تقيد المرأة فليس هناك ما يبرر أن تظل المرأة مقيدة. فالحرية حق للجميع، وليست امتيازاً لفئة دون أخرى.

ولكن هذه الحجة لا تصمد أمام النقد. فالمرأة لا تقل عن الرجل في حاجتها إلى الإحساس بالجمال، وإلى التعبير عن نفسها بهذه الطريقة. وإذا كان الرجل قد استطاع أن يجعل نفسه كذلك بسهولة من القيود التي كانت تقيد المرأة فليس هناك ما يبرر أن تظل المرأة مقيدة. فالحرية حق للجميع، وليست امتيازاً لفئة دون أخرى.

ولكن هذه الحجة لا تصمد أمام النقد. فالمرأة لا تقل عن الرجل في حاجتها إلى الإحساس بالجمال، وإلى التعبير عن نفسها بهذه الطريقة. وإذا كان الرجل قد استطاع أن يجعل نفسه كذلك بسهولة من القيود التي كانت تقيد المرأة فليس هناك ما يبرر أن تظل المرأة مقيدة. فالحرية حق للجميع، وليست امتيازاً لفئة دون أخرى.

---

(١) Friedlaender, Sittengeschichte I 502.

(٢) Minucius Felix 22,2.

وكان مما يذكي نوازع النيل [illegible]

[illegible] وأبعد [illegible]

[illegible] مثل هذا التأليه أمرا قريب الاحتمال، وذلك لأن الغرقى في النيل كانوا يعتبرون من الشهداء[2] وقد مثل هذا التقدير [illegible]

[illegible] مصرياً، وكان قبره الذي خصصه له الإمبراطور في روما على طراز مصري، ويحمل نقوشاً هيروغليفية. ولا تزال مسلة مونت بنشيو[3] الحميلة، تبشنا حتى اليوم بأن «المتوفى أوزيريس أنطينوس، الذي يستريح في هذه البقعة، التي تقع

١٨٠ ـ أنطينوس، تمثال في باريس

---

(1) C.I.G. 6007.

(2) Griffith, Ae. Z. 46, 132.

(3) Roem. Mitteilg. Deckplatte [illegible] (Abb. 6917; Mitt. d. Deutsch. Arch. Inst. Roem. Abt. XI 113).

في مملكة حورس وروما السعيدة، معترف به كإله في البقاع المقدسة في مصر. وقد
شيدت له المعابد، كما أن الطبقات العليا والدنيا من الكهنة وكافة المصريين
يقدمون له [illegible]. وقد أطلق اسمه على مدينة يقطنها الإغريق والمصريون،
[illegible] أيضاً أنهم يملكون حرماً طيباً. ويحرم فيها معبد لهذا الإله، الذي
يسمى الطيوس، وله أسد من حجر جرانيتي جميل، تحيط به تماثيل أبو الهول،
وقد تساءل واستطلع شيئاً فشيئاً كل ما كان يفسره الأجداد من قبل. وما كان
يفسره الإغريق؟ وفي هذا المعبد توضع الأطعمة له على مذابحه، ويعلمه
الكهنة، ويحج إليه الناس، دونما لأمه يجيب دعوة من يدعوه، ويشفي المرضى
بما يبعث إليه من أحلامه. وكان يحتفل به في هذه المدينة أيضاً بإقامة الألعاب
على الطريقة الإغريقية من أجل «الأنوبيات». التي هم في هذه المدينة، ومن أجل
المتبارين[1]. وكانوا يقدمون للجوائز، الأكاليل على هاماتهم، ويجزون بكل شيء
طيب. هذه المدينة التي يسمت هذا الفن من تأسيسها هي أنطيوى، المدينة
الإغريقية المصرية[2]. وقد أضيفت فيها جذور عبادة هذا الصنم الإغريقي. وفي
القرن الثالث كان أنطيوس في مصر إلهاً يبالغ في تمجيده كثيراً، لأنه كان يشفي
المرضى ويصنع المعجزات[3]. وهكذا نمت أوروبا من جانبها أيضاً إلهاً إلى
مصر، وبذلك من كان يستطيع أن يسمي الديانة المصرية ديانة أجنبية؟ على أنه
في حقيقة الأمر كان لا يزال هناك كثيرون لا يستطيعون التغلب تماماً على ما
كانت تثيره الآلهة ذات رؤوس الحيوان من ملئ وشعور[4]. وهذا ما يدل عليه
عملة لومبيان التهكمي. حيث الآلهة يجلسون للتشاور على جبل أولمب، على

---

(1) وفي هرموبوليس أقام هادريان الذي تكريماً لأنطيوس شارعاً جديداً أسماه باسمه، وبناه
[illegible] الإمبراطور الذي لم يكن يحب أن يتخلف تخطيط هذا الشارع المستقيم للمدينة القديمة
(Roder, Mitt. Deutsch. Inst. Kairo, Bd. II, S. 88).

(2) Origenes, c. Celt. III, 36.

(3) هكذا تقول فيلوستراتس، معاصر جوليا دومنا. فقد وصم الآلهة المصرية بأنها أهل
للسخرية. وأنبه هيرقل [illegible] Ed. Meyer, Hermes Bd. 52, S. 193.

أن اجتماعهم لا يخلو من اضطراب، وذلك لأن آلهة الأوليمبية تشرع لا يستطيعون أن يكتموا غضبهم على إلى الجميع التوبيخ الذي تستحقه تصرفاتهم السيئة. وعلى رغم من تأكيدهم الأخلاق الحسنة، وعلى أنها أداة المشتركة، وعلى الكائنات الخالدة، مثل الحقيقة والفضيلة التي تتمتع الفلسفة، وإن الوثنية يتبع مزاجه الخيري فحسب. يتكلم زيوس كما تصوّرها، ويسلك سلوكاً غير لائق نحو الآلهة القدامى، فإذا هذه الآلهة وشرابهم يغلو ثمنه على الدوام. فيقوم موموس، الذي كان يجعل من نفسه محامياً للخالقين، ويعارض الحالة المتردية في حديث طويل، ويسخر هذه الدعاوى البرابرة، أمثال زيوس وأشور وسائر هذه الجماعة التي لا تعرف الإغريقية، والتي لا تفهم حتى بشرية الإنسان بحسب. وهو يقول: إن ماذا يحتقر التجاوز عنه، ولكن أنت أيها الخير في الكتاب، يا صاحب رأس الكتاب، من عساك تكون؟ وكيف يمكن أن تدعى أيها الكتاب الخارج بالله؟ ولماذا يعيد ثور تحت العرش، ويعين الموائد ويخبز له الخبز؟ إن لأفضل ألا أقول شيئاً عن إله محل والقدر، والجبر، ولا الثالث من تلك الشرور الصحيحة الذي هرب بطريقة ما من قصر إلى السماء. أيها الآلهة تعلمون أن تروا هؤلاء يعبدون على نحو ما تعبدون؟ أو أفضل مما تعبدون يا ذات إن كان مثل؟ وأنت يا زيوس كيف تستطيع صبراً أن يستلوك قربى عشرة؟ وتسلم زيوس بأن هذه الأشياء الشريرة تأتيه مستورة، ولكنه يضيف إلى هذا في حيطة وحذر: «إن كثيراً منها أنكر وأحامي». وبما يعني أن هراءها من لم يعد بأمورها»[1].

وما يعترض به زيوس على موموس ليس في حقيقة الأمر سوى ما تعود أن يجيب به أشياع الدين المختلفون حين يرون أن [illegible] التي لا [illegible] التظاهر الخارجي للعبادات [illegible]

(١) Lucian, Deorum Concilium 10.

(1) Plut. Isis et Osir. 33, 38, 39, 49, 53.

(١) المصدر السابق ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٨.

(٣) المصدر السابق ص ٣٩.

[illegible] حيوانات الليل، وكثيرة الشهوة، أو لأن عينيها تضيء في ظلمة الليل. أما وأنها البيضاوين، اللتين على الشفق، فهما هذه الجزيرة المضيئة، ومولدة الحب والميلاد والنعمات. فإذا قُرِئت «الشخليلة» كان في ذلك ما يدل على أن كل كائن إنما يجب أن يكون في حركة دائبة[1].

على أن الشقيقة في الجزيرة لم تكن أعمق من مثال هذه الأنثى المتفجرة المتحللة، فما أضيع لها بالتأكيد تلك الشخصية التي لم يستطع أحد أن يمارس حتى المعرفة على هذا النحو عن أنثى عادية. بات من العسير إذ حاولنا أن نوفق بين متناقضاتها الكثيرة: بين أنوثتها الشهية، أو لعلها كانت قد فقدتها بسبب تحول الخلائق في هذا الشأن، أو لعلها البشرة البرونزية، فكانت أسبابٌ أخرى، غير هذه الأنوثة الحسية، قد جعلت الزوج سعيداً أن يتزوج سواها أو تتزوج سواه، أو لعلها كانت تجد في عبادتها وأمة لصديقها، وذلك لأن التطهر وتقديم القربان في معبد إيزيس كانا يستلزمان كذلك الطهارة الزوجية. وكان المرء إذا كان في خدمة الآلهة المصرية عليه كان يرتجو منها أن تمنح نعمة أخرى مرجوة، كما كانت تجد في عبادتها راحة لضمير

[illegible]

وقد حفظ لنا نص في كيوس في بثنيا أنشودة صغيرة، تلخص كلّ ما كان يعتزّ به الإنسان من هذه الآلهة:[1]

يا مليك ما في السموت جميعاً، إني
أحييك، يا أنوبيس، يا أزلي،
ووالدك أوزيريس، المقدّس، المتوج بالذهب،
إنه زيوس الكرونيدي، إنه أمون القوي،
الملك الخالد، ذو الاحترام السامي على نحو سيرابيس،
يا أيتها الآلهة المقدسة، أيتها الأم إيزيس، [illegible]
العديدة،
يا من ولدتها السماء على أمواج البحر المتلألئة،

---

(1) C. I. G. XII, 5, 1, p. 217.

(2) هذا النص مصري مشهور، بدل وجوده على أن هذا النص إنما يرجع إلى أصل مصري.

(3) Diod. I, 27.

(4) C. I. G. 3724.

وأنشأتها الظلمة على نجم الكون لسكان البشر؛
يا من تحمل الصولجان على جبل الأولمب بصفتها أكبر المجمع شأناً،
وتحكم الأرض والبحر كسيدة إلهية،
يا من تزين كل شيء - إنك تهيئين البشر خيراً كثيراً».

ويتجلى في هذه الأنشودة كيف أن الديانة المصرية بلغت إلى حد كبير هدم بعض من مجموع الآلهة من غير أن يمس إلا أعمالاً عدة مخصصة لسيرابيس، ويعتز في نفس الوقت أتباعه أنه جوبيتر، وهو أوزيريس، أما جوبيتر فهي منظمة الطبيعة، وهي التي جمعت من البشر أيا أوزيريس فقد كان في بلاد إيزيس على الرغم مما أسبغه عليه أصدقاؤه الأعداء من الصفات، مجرد ملك ميت لم يكن إلا الروح الحارس، الذي ملكه إيزيس إلى الوراء في جانب طفلها الجانب الإنساني الذي كان فيه في زمن الغسق. حتى إنه من اليسير أن نفهم كيف كان غير المؤمنين يسخرون من الموكب الذي أوزيريس[1].

وإلى جانب التحفة التي كانت تقتنيها إيزيس من أجل آلهتها على الأسبقية، كان كل فرد يشعر القلب بأنه مدين لها بالشكر. فهي قبل كل شيء حملتها إلى أنحاء الإسكندرية كانت تساعد ركاب البحر، وكان كل من يحمل الموانئ يقدم لها خيوراً في معبدها، يعزوها إلى أنها المخلصة، وأطلقت لها بقاء إلى جوبيتر المجمع المخلص[2]. وكان الحبيب إذا أبحر لسفر، فعاطف أحياناً من حبيبها في عشاء يؤدي فيه الاستحلافات، ويطهر من أجنحته، ويتم مغفرته، وإذا عاد سالماً، كانت تحضر الباقة المعدة في أوب من الكلام وتشهرها هرجلي، الذي يرمز إلى كل هذا جميع الآلهة[3]. على أن إيزيس كانت كذلك لمحاسب المتعثرين، فهي تختص مثلاً، عند ما يحسن أن نصدق على هذه

---

(1) Lucian, Pharsal VIII 832.
(2) Juvenal 12. 28.
(3) Tibull I. 3. 23.

والشجيرة التي لم تحافظ على عفافها التي
الأيام المقدسة، التي تجب رعايتها، فإنها كانت تشعر بالضيق والحرج، وكان
يقول لها بأن «النعمان الفضي يحرك رأسه». حقاً لقد كان الكاهن يهديء من
روعها، إذ كان لا يزال هناك أمل في أن يحبل الله المقدس، إلا في حالة ما
إذا أن [illegible] على أنه لم يكن من المستطاع على الدوام إرضاء الآلهة
المصرية بمثل هذه النفقة الرخيصة، إذ تتحدث نصوص الندور عن تقدمات قيمة
من [illegible] وعن تماثيل مرصعة بأحجار كريمة، وشخاليل وصحاف من
[illegible]، وقد أهدت سيدة إسانة إلى إيزيس أدوات من فضة تزن أكثر من ٥٠
رطلاً، وكانت عادة على نحاس ترصيع بكثير من الأحجار الكريمة، وحلى
أخرى[٣].

وقد أرضى الآلهة عليه الحد أن يعمد رجل نفسه إلى تحبيب بنت
معبدها. ومن ذلك ما حدث في مالطة حين عثرة جنوداً من أن رجلاً يدعى
[illegible] وأعد بناء معبدها وشيد على هيئة الخاصة مبنى من أعمدة[٤]
وفي بعض شبه رجل يدعى لوسيلوس اقتبساً تمثالاً من أجل إيزيس العظيمة،
[illegible] وزوجها الآلهة[٥]. ومن أجله أقام مسلتين من الجرانيت الأحمر،
وقد حفظ لنا وثيقتها تجارية غير قانونية تثبت ذلك. وإلا الآلهة أن تصفحه عن عمله
هذا أعطاه طويلة مجيدة. وإذا كان في حسن الوقت من أيام هذا القصر احتفالاً
[illegible] لدومسان، الذي عاد من الشرق ومن الهند الأحمر المهزومة
إلى مقره روما فاهرة العالم[٦]، فلا بد لذلك أن تأوأد الإمبراطور على صنيعه
هذا[٧]، ويحتمل أن يوتيانوس نفسه زارها. كان نفسه صديقاً لإيزيس وسيرابيس،

---

(١) Juvenal 13, 92.

(٢) Juvenal 6, 526 ff.

(٣) C. I. L. II, 3386.

(٤) C. I. L. V, 1, 4007.

(٥) Erman, Aegypt. Zeitschr. 34, 149 ff.

١٨١ ـ الاحتفال بالعيد في المعبد (صورة على جدار من معبد إنزيس في بومي)

وعلى نحو ما يدلّ عليه معبد بومي هذا، لم يكن هناك ما يكاد يجمع بين معبد لإزيس من هذا النمط ومعبد مقابله في مصر، حتى أنه ربما كانت بعض الاستثناءات الأشد الأولى التي اختلاف مثل هذا المعبد عن نمطه في الأوروبة ذات الأساطين أنه يقوم «معبد الخشب» بأنه إلى ذلك مختلف من جزء أمامي، يعتمد على سلة أساطين، ومن غرفة قصيرة الأساس يقوم الى

(٢) هذا في نفسه (Libre Fils de cette de sous d'Alexandrie, p. 773)

١٩٩ ـ معبد إيسيس في فيلة.

من الصباح الباكر يقوم حول معبد إيسيس ومعبد سيرابيس ملبح كبير. وكانت تكتظ الفناء من حاشية فرقة كانت تستعرض مسلاتها المنقوشة ومحاجنها وما أشبه. وكانت زخارف هذا المعبد وملحقاته كذلك خليطاً من زخارف مصرية وإغريقية، دينية وغير دينية، فإلى جانب إيسيس وأوزيريس وحوروقراط وأنوبيس والحيوانات المقدسة والكهنة كان يوجد كذلك ديونيسيوس وبانوسس وخيرون مع أشيل ثم القصة الجميلة لأدونيس وأفروديت. وكانت هناك صورتان تشغلان مركزاً ومعظماً، وكانتا تمثلان قصة بدء، وذلك لأن الناس منذ مدة طويلة رأوا في حبيبة زيوس هذه [illegible] التي قدر لها أن تعيش في فيلة بجوار الآلهة المصرية التي على شكل البقرة[1]، بل لقد أتوا من الخلط ما يضحك، فجعلوها تلد أبيس. وكانت [illegible] أذكر مصرية بهياكلها وتماثيل أبو الهول، أو ممثل الملك [illegible] وإلى جانب تماثيل إيسيس [illegible] تماثيل لديونيسوس وأفروديت

(١) وذلك حسب ما جاء في Lucian, Dial. Deorum 3, 207. حيث تسمح له بالعودة إلى مصر، مركوب النيل، وحيث تتحكم في الرياح وتنقذ الملاحين.

ومنابر. وفي حصة تماثل الغرق كانت الوجه والبدن والصدر وعضوا من الجسم، أما الخصم فكان من الخشب؛ ومن العجب أنها كانت تتشكل في نفس الوقت بالكمان وتعمل في مواسم الأعياد. وكانت أنجرها يحمل في أذنه قرطا من ذهب ويمسك في يده «شخليلة».

وكانت التماثيل في بالها «تصوغ» بعد عملية إذابة أو «تجبل» بعبارة أخرى أنه بعد ذلك كان يعني كذلك بأن يكون الون المصري الحقيقي متمثلا فيها وليها كان يأتي إلى «جومي» وبقيت «دودوما» وأتى إلى بلد آخر. كان يشير في «منف» لإزيس، بما كان للبشر الخصوص عليه من مواد لونية قليلة، وتماثيل أبي الهدايا، وتماثيل «شخرتات» مختلفة، بما كان لا يشبع منه من المحبوب محل مصر، ومقارها، حيث كانت تقام أبهجة إزيس. وألم يكن البهج أن تتجمع ورش هذه الأحجار البيضاء؟ من ورش أخر مختلفة تماما، فيما كان أحد من الحدادة يستطيع أن يزاد هذه الغوش الهيروغليفية. وبذلك انتقلت هذه البيوت إلى مكان أخر من جميع عصور مصر القديمة؛ وربح الكهنة المصريون المال من بيع ما رأيناه يمكنهم الأحتفاظ فيه بعد كانوا يمتلكون من «مجموعات» وأم يحصلوا في مقابل الذي ما يوهب أكثر مما كان يجد الكهنة اليونان في القرن الثاني عشر. الصور كانوا يبعدون مشاريع لتقاسيم لبلاد الأجنبية. وإذا أردنا فصلا عن الفقه، أي نوع من الأحجار المجوفة كان أحظى بالتقدير في هذه التجارة؟ لقد كان ينبغي أن تكون قدر المستطاع من حجر أسود أو قاتم؛ وذلك لأن هذا اللون، الذي كان يناقض لون التماثيل المحلية، إنما كان يبدو أوفق ما يكون لتطيمة الخفية، التي كانت تعزى إلى الديانة المصرية.

ولقد احتفظت الشعائر اليونانية الخاصة في المعابد الأوربية لإزيس بالصبغ القديمة التي كانت لها في مصر. ففي الصباح الباكر كان مرتل المعبد يعلن عما السعيد ويوقظ الإله بالنغمة المصرية القديمة[1]. وكان يعد التعطيل بلعبي أنجرها

---

(1) Porphyrius de abstinentia, IV, 9.

السلام (مصحوبة بالآلهة) [illegible] التي كانت تنشد ألافاً من سنين خلت تمثل هذا العرض. ثم كانت تلي الشعائر القديمة من تطهير الإله بالماء وتبخيره وتكسيته وتزيينه وإطعامه.

[illegible] كهنة كذلك كما كان في مصر، فكان هناك رؤساء كهنة، وقراءون، ومشرفون على لباس الإله وعلى المظاهر الخارجية للعبادة، وكاتب وحامل بخور[1] من جملة الحاضرين. وذلك ما كان على ضفاف النيل تماماً وأيضاً النساء تأخذ كذلك نصيب في العبادة كما كان الأمر في الزمن القديم. فالعرائس الشخصية أمام الإله. وكان من واجباتهن ذلك على ما يبدو التطهير بالماء. وذلك لأنهن كن يمثلن الشمس على شواطئ مقابلهن بحيرة الماء والشخلبة.

وكان من بين الأعياد الكثيرة لأوزيريس عيدان يحتفلان بشعيرة خاصة. وكان أحدهما هو عيد توقعوه، الذي كان يمثل ثلاثة أيام، يمثل فيها موت أوزيريس، والبحث عن جثته ثم العثور عليها. وكان التلميحات والإشارات التي يتضمنها الأدب على مدى ما كان لهذا العيد من أثر على من كانوا يلاحظونه من بعيد. وهذا العيد هو المخصوص عندما يتحدث أوفيد عن «أوزيريس» الذي لم يبحث عنه سدى تحالفي[2] وعندما يذكر جوفينال صياح الشعب عندما يهتدي إلى أوزيريس[3]. وعندما يستعرض لوكان انتخاب أشراف الآلهة و«التشابه» المشهور للانتحاب[4]. وإن هذا العيد كذلك يرجع التحوير المحسن الذي يشعر بأن أبا الحضريين نجد مسرحها في أدب البكاء والنحيب. لا في [illegible] الحزن من أجل الإله الأعظم[5]. ومن الجدير أن هذا العيد كان يحتفل به

---

(١) Apulejus Metam. XI. 17.

(٢) Ovid. Metam. IX. 693.

(٣) Iuvenal VIII. 29.

(٤) Lucan. Pharsal. VIII. 832.

(٥) Apulejus, de deo Socratis XIV.

أيام شعب كانة، وقع ذلك وربما تحدث شعراؤه العرب قد اختلط بها شاعرة جميلة المعشر من الأعجميين، أولئك الذين سموا جزاً. الذين كانوا وافدوه إليها حديثاً، وكانت لهم «مدرستهم» بجوار المعبد.

أما عبد مدرس الكبير، الذي كان يتمتع به أدريس ملاحة العود، فقد ظهر حتى من القرن الثاني بعد الميلاد بعض الأحفاد به حتى اليوم ما عدا في إلشريف، الحياة الشرقية الكورنث[1]. وبينما مرتب الاحتفال يحضرونه في ملابس تتكون منوعة، من بينها الحشيش، والعباءة، والعمامة، والقميص، وحمار يمثل بجاموس، وذلك لقوم بأدوار مختلفة، وقرد يمثل جنجد. وإذا استمر الشعب متعه من هذه المناظر المضحكة، وإنه لا يلبث أن يشاهد مولداً من سماء كاسيات بأثواب بيض ومتوجات بأزهار الربيع، يقرن في الطور زهر ويمكن فيه العطور قطرة قطرة، أو يحمل ثمانية أشخاص وهم لا يجرؤون لأنهم

١٨٣ ـ أمارلس، كاهنة إيزيس، هي شاهد مقبرتها في أثينا

(١) Apulejus Metamorph. XI. 8 - 17.

يوم صدور الأمر. ثم يتلو ذلك رجال ونساء معهم مصابيح ومشاعل؛ ثم يأتي الموسيقيون ومعهم المزامير والناي، وحوقة من معنين شبان في ملابس بيضاء، يتبعون أحبا حملت [illegible] يتلو هذا الموكب [illegible] الموسيقى المقدسة، وعلى رأسهم عازفو الناي لسيرابيس، يعزفون على آلة خاصة معه نبيس من المعبد عزفه إلا في المعبد، ثم المكرسون، الذين يصطفون [illegible]، وهم رجال ونساء من كل سن؛ وأما الرجال فهم حليقون، وأما [illegible] وهم يحملون أيضاً [illegible] وبخوراً وأدوات أخرى مقدسة، وتليهم الآلهة نفسها. وعلى نحو ما كان [illegible] الأمر فرد يتقدمهم جميعاً أنوبيس، وهو أسود برأس مذهبة وشارتاه المعصا ذات القضبان والمخلاة. ويحمل خادم يمشي «بخطى مبرورة»، بقرة واقفة، وهي [illegible] الآلهة الوقوف [illegible] أما الصندوق الآخر فيحمله [illegible] الذي [illegible] الذي [illegible] في حين أن [illegible] يتقدم إلى [illegible] الشعب الجليل للإله الأعظم!! وهو «صورة لأثر مقدس»، هو جزء صغيرة من [illegible] صور صغيرة [illegible] وهن «القمم في نظام القمم أجمع عالم الكاهن وفي يده «الشخليلة» وتاج من الورود.

١٨٤ ـ أوزيريس على شكل جرة.
من البرنز (برلين ٩٠٠٨)

ويتجهون شطر البحر حيث تقف على أهبة الاستعداد [illegible] بصور مصرية. ويتلو رئيس الكهنة «بفم عفّ صلاة تقرؤه»، ويطهر السفينة ويكرسها للإله. ثم ينصب الساري، ويفرد الشراع ويسكب الخمور أمام

المطوف في السفينة. وبعد ذلك تنطلق الحمائم التي لا تزال محتفظة بها بعيداً عن الشاطئ، ويتجه الناس بأنظارهم حتى تختفي. وحين تعود الحمائم إلى المعبد ويدخل الكاهن والمتأرمون غرفة الإلهة، يبدأ وسط الحاضرين في الخارج، بعد لحظة يظهر كاتب المعبد ويهتف للأرواطين ويمتلئ الشوارع والشعب الروماني بالبهجة وبمشاهدهم. فيهتاج الناس ويصطفون بالأيدي لتمثال الإلهة ثم ينصرفون.

وإذا كان يبدو في هذا الوصف شيء من المبالغة، فليتذكر القارئ، أن أوكيومي، الذي صاغ ذلك الوصف في النقل فصلاً، كان أحد السعداء، فاخر أمراً بصفة خاصة على صلة قوية بالإلهة؛ فإن له ولابنه من أصغر الفتيات بها. وإنها حضيته إيزيس مثلاً عديدة فريدة في حلم أن يكون واحداً من أتباعها، وهو الذي كان يدين لها بأنها أنقذته من محنة شديدة، حتى أن مترجم كتاب الشعر في العصور لم يكن ليجرؤ على قوله. وذلك لأنه هو نفسه لم يدرك الأمر من الإلهة. وإنما تم له ذلك أخر الأمر فاد في إصباح ذلك اليوم السعيد إلى المعبد، ثم أخذ من قسس الأقداس كتاباً، كتبت بحروف على أشكال الحيوان وبتعبيرات غريبة (أي كتبت بالخط الهيروغليفي)، وقد قيل عنها قبل ما يلزم لتكريسه. وعندما قرأ في الكتاب ما كان يخص الأمر إنه كانت في صحبة الأشياء التي أحبها وظهر لسكب الماء عليه. وبعد ظهور في المعبد اقتيد إلى الأسرار وذلك عند قدمي الإلهة، ثم فرض عليه أن يصبح عشرة أيام عن أكل اللحوم وشرب النبيذ. وإنما انقضت هذه العشرة اجتمع المؤمنون في المساء، وكان هو يرتدي ثوباً بسيطاً من الكتان. وقد اقتاده الكاهن إلى قدس الأقداس. أما عما حدث له هناك فلم يكن له أن يحدثنا عنه إلا تلميحاً: لقد دخل عالم الموتى ثم عاد منه ماراً بكل العناصر. وقد رأى الشمس تضيء في جنح الليل. ولقي وجه إلى الآلهة الأعلين والأسفلين وقابلهم وجهاً لوجه. وحين كنت قد أكمل حين مدة الاختباء تحت الأرض، وسمح له برؤية الشمس وهي تسير خلال هذه المحنكة مع حاشيتها، وهذه أشياء تشبه بعض ما يعرفه الثابت بعدوت وما يشبهه من كتب (صفحة ٣١٨). وعندما خرج في الصباح ليمجد على مرتفع في وسط المعبد أمام

[illegible] ... ثم أمسى تمثالاً صرفاً وصلاة بصور الحيوانات. وكان في يده مشعل، ويعلو رأسه تاج من سنوس، يحيط به كأنه أشعة من نور. وعندئذ وقعت الستائر ورآه الجميع وهو قائم في زينته كالشمس».

وبعد ذلك تُرجِّس لوكيوس مرة ثانية في روما، وكان ذلك أيضاً وفق ما رأى في حلم أيضاً. وقد نذره بعد صيام عشرة أيام الكاهن أسيوس ماركلوس في معبد إيزيس بحقول مارس. «فسأل استشارة الإله الأكبر، الأب الأعظم الآلهة، أوزيرس الذي لا يقهر». وقد ذكرته الآلهة مرة ثالثة، إذ رأت أن تصطفيه بكرامتين عاليتين، هي حق الظهور أمام الكرسي الأبوي الإلهي والدخول في السر الأعظم للهيكل الأكبر معاً كان مطلوباً. وما كان أقل يأسه لسبب ما بالشهرة الكبيرة التي وقد تمتع له أوزيرس في هذه الحظيرة بعد في هذا جماعة الحفلة الخالية المتسلسلة، بل لقد جعله هذا رأسه وهي جديدة قديمة، أسست في عهد سلا». وقد أسعد لوكيوس أن أصبح يتبع إليها. وكان حينما يحب يكشف عن رأسه الحليق، ليبرق بذلك أنه كاهن للآلهة المصرية»[1].

من خلف الرواية العجيبة، التي سوقناها هنا، نعلم كذلك كيف كان الناس في نهاية القرن الثاني بعد ميلاد المسيح يتصورون طبيعة الآلهة المصرية، وإنه ليتكرر القول بأن الطابع المصري فيها ظاهر وتحسن عنها تماماً. فقد عدت إيزيس «أم الأشياء، وسيدة جميع العناصر، والبداية الأولى للأزمنة، وهي «الإلهة العليا، ملكة الموتى ورئيسة أهل السماء» وهي «المظهر الموحد للآلهة والإلهات» وهي «التي تعتد أشكالها واحدة وشخص إلهاته، والعالم بأسره يعبدها» وإن لها «ألقاباً مختلفة وأسماء متعددة». وقد كانت تعتبر في فريجيا أماً لمقدسة الشيوس، وفي أثينا الإلهة أثينا، وفي قبرص أفروديت أموس، وهي دليت الكريتيين، وفي صقلية برسيفونة الستكس، وفي إليوسس ديميتر، التي كانت تعد الحقيقي منذ أمد بعيد، وبسبب البعض هيرا وبلوتوا، وآخرون بسمونها

---

(١) Apulejus Metamorph. XI, 19 ff.

هيكاتي والإلهة الرحيمة؛ إلى الأشوريين، الذين يسكنون الريف بالقرب من النهر، والمصريون ذوو الخبرة بالحكمة القديمة، يعرفون الحرية التي أعادتها وأسسها الحق الملكة إيزيس»[1]. وكانت تزين أيضاً بالعديد من الأسماء الأخرى التي كانت تعبد في أنحاء مختلفة من العالم. وقد أصبح يعتقد بكل بساطة أنها تمثل الطبيعة.

وانتشرت عبادة الأم والصبي في آسيا عن طريق سوريا، وكانت معروفة جيداً في مصر[2]. وترجع أصولها إلى الأوساط الإغريقية. ولا شك أن كل مؤلفيها على دراية جيدة بمصر، وذلك لأنه يتبقى أكثر من ثلاثين موضعاً من هذا النص. وعقائدها مجهولة تماماً، كانت تعبد فيها إيزيس. وكانت لها في كل مكان صفات خاصة، فهي العظيمة، طيبة، مقدسة، حماية الشكاة، وهي الوحيدة، الملكة، المنتصرة، سيدة السلاح جميعاً، حاكمة العالم، وهي الخالدة، الحرة، بالكثافة، الخبيرة بالحساب، راعية فنون الشعر، وهي اختراع التجارة، الحرث، السفن، والتي تعود بها إلى الميناء، وهي الوحيد الأسطوري. ومن الطبيعي أنها في هذا كله قد حلت مكان آلهة أخرى قديمة. فإيزيس صامتة تماثل إيزيس لأنها هي في حقيقة الأمر بيت؛ وإيزيس صامتة بوسطة هي باستت؛ وإيزيس صامتة بوزم هي أوتو، وهكذا. وإذا كانت جميع هذه الآلهات المحلية قد تسمى الآلهة أو وديت أو ثيا أو هيرا أو هستيا، فقد كانت قبلها مع ذلك تمثل إيزيس ذات الأشكال المتعددة، وهو ما حدث كذلك مع آلهات سائر العالم. فمن بونا وإيطاليا[3] إلى الهند وفارس، ومن البحر الأسود إلى البحر الأحمر، تحتل السيادة في كل مكان آلهة ذات أسماء عديدة، فتسمى تارة وطوراً وشعباً تدعوها بعبادتها على أنها القطار، الحبة، الطاهرة، العظيمة، الخصبة، حبة الآلهة، وفي روما وبين الأطروسكيين كانت تعبد على أنها المنجاة، وفي

---

(1) Apulejus Metamorph. XI. 5. (2) Oxyrh Pap. XI. 190 ff.

(3) يلاحظ اندماج الأم البحر العربي من الإغريقية، أما عند بونا وإيطاليا، فإن ما يهم أن العالم لدى هذه الأنثوية هو العالم الإفريقي والعالم الشرقي.

أحدهم قائلة إنها أم حنان. ولكن ما الذي يجب عليّ عمله لإقناعهم بأنني كنت أتواصل مع الأشياء الأخيرة؟ هل يجب أن أتوسل إليهم أن يتوسلوا إلى أوزوريس أو سيرابيس؟ بل لم تعد مملكة الموتى له وحده، وإنما هذا لا يزعجني أبدًا. لقد كان الكثير من المتحولين يتجمعون في الأماكن وتتجه في عبادتها واحدة وحيدة أن يشفع لي أن أطيل عمره إلى ما بعد ما حدّده له القدر. ثم بعد ذلك إذا عاد عند الموت إلى العالم السفلي، فإنها هي التي كان ينظر إليها ويعبدها. "وهي تلبي" في عمق الكرة تحت الأرض وتسهل المتاهات المحبوسة، وتتحكم على الأماكن التي تقع في أعلى حدائق الخلود".

وكانت سيدة الرحال الثقيل بعد الموت في أن يعيش بالقرب من الآلهة تلك الحظيرة الإلهية؛ وأن ينظر إليها. وهي السعادة نفسها التي كان يحظى بها في حياته إذا سمح له بالإقامة في المعبد وبالنظر إلى تمثال الآلهة. وكان ذلك يبدو «ظريفاً ووجهاً لا يوصف». فرحتي الشهباء، ويظل شعرها، وإنهم مسرعة حتى إنه لا يستطيع الكلام من شدة الشهيق. محمصاً بشكل جيد على ضوء أصابعها. وأبي الشهيرة، أبيها الحنونة الأزلية للإنسان، يا من تحنن عليهم في سنتهم، وأرشدهم بمطلقات الأمور، إذ أصابتهم محنة. لا يمضي يوم ولا ليلة لا تفيض فيها منهم من الخيرات، ولا تحنن فيها البشر في البحر واليابس، ولا تمنن فيها يد المعونة لأولئك الذين تنقذهم مراحمك الحياة. إنك تمنحين حواجب الآلهة وتخيفين الحركات المؤذية للنجوم.

إن أهل السند المشهورين، وسكان العالم البدائي يخشونك، إنك تنيرين الأرض وتدورين الشمس وتحكمين العالم وتحوين الأبالسة. وإن الجوقة تجيبك، والأنهار صاغرة إليك، وتنمو الآلهة لخيرك، والعناصر تخدمك، فتهب الرياح وتُخصب السحب، وينبت الحب، وينمو النبت.

---

(1) Apulejus, XI, 6.

[illegible] يستطيع الكتب، التي في السماء، والحيوانات المتوحشة، التي تعيش في الجبال، والأنهار، التي تجري في الشرق، والبحيرة التي تسبح في البحر.

بهي الأدب من أن يستطيع مدحك، وأقدر من أن أقدم إليك الشرائع. إنه ليجري السيل الطيع لتعبير عما أشعر به نحو جلالتك، وإنه ليسعني أن يكون في لأداء هذا الواجب ألف فم وألف لسان»[1].

إن الإحساس الوحيد الذي يستطيع أن يقدمه الإنجيل هو الشعور الحار بعرفان الجميل.

وكانت الأنهار هي التي كانت تستطيع عبادة إدريس بخلوق رائعة مثل هذا التكريم، ولكن إذا كان غيرهم قد عبدوها عبادة سطحية، فيعزى ذلك أن عبدهم كان سطحياً. ولم يكن في الإمبراطورية الرومانية الواسعة الأرجاء مقاطعة واحدة لم تكن تعبد فيها الآلهة المصرية، حتى استطاع ترتوليان أن يقول: «إن الأرض بأسرها تعبد الأيسان اليوم باسم سيرابيس»[2]. وإننا نجد في إفريقية الشمالية، وفي أسبانيا، وفي بلاد الدانوب، وفي فرنسا، وحتى في انجلترا نفسها، نقوشاً تكرم فيها إيزيس وسيرابيس. وكان لإيزيس زوجها كذلك في مناطق جبال الألب وفي الغاب[3]. ولقد أحد المصادر المسيحية في تقريع[4] أن «يسرح جموب يوزن كانت تأتيها إسكندرية ثانية ملأى «بأوزيس» ذي الشكلين وصور عجل إنسانية ذات أشكال متعددة». ملأى بمخلفات إيزيس واحدة

---

(١) Apulejus XI 24.

(٢) Tertullian, ad, nat 2, 8.

(٣) ومع ذلك لا نستطيع أن نصدق ما ذكره تاكيتوس في Germ. 9 من أن بعض السويبيين كانوا يعبدون إيزيس، وقد اتضح ذلك فقط من أن كانت لهم سفينة تقوم مقام المعبد.

(٤) Acta S. S. XIX Mai S. 44.

سيرابيس[1] وكان في بلست، في جلاتيا الكاربية، معبد لإزيس الشرقية[2] وكان في مارينهوزن في مقاطعة الرين متبع لسيرابيس وآلهة مصر الرومانية[3]. وقد وجدت مراراً في منطقة الرين تماثيل صغيرة من النوع الآتي المصرية. على أن أهمها شاهداً على ذلك هو ما حفظ لنا كنيسة أوبسنوا في كولونيا، وهو تمثال صغير لإزيس التي لا تظهر وقد استخدام في العصر الوسيط في تاج أحد أساطينها[4]. وإنه لمن الممكن أن تكشف عن بقية من هذا النوع من عبادة مصرية، بالغرب حوريس بن بابك، فإن أمره لا يستثنى إلا أن يستأثر هذا الإله هذا الرجل ذو الاسم المصري، الذي وجد نسبة من النيل إلى الرين، أداة للإلهة المصرية.

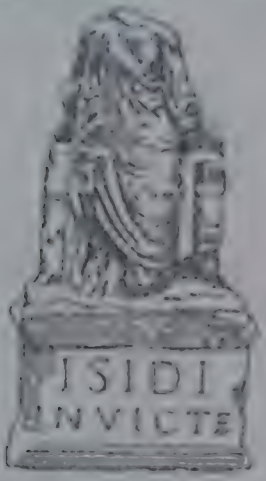

١٨٥ ـ تمثال إيزيس في كولونيا

وهكذا سادت عبادة إزيس في كل مكان في أوروبا، وقد كان منطقها يحمو حتى اليوم حتى بداية القرن الثاني. فعندما أحدث هذا الدين

---

(١) CIL III 4806 ff.

(٢) CIL XIII 7610.

(٣) Schaafhausen, Bonn Jahbr. 76.38 _ CIL XIII 8190, 8191.

(1) Ross. Arch. Aub. I 37 ff.

(2) [illegible]

(3) [illegible]

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تصدير	٧
أقسام التاريخ المصري	١١
الفصل الأول: كلمة عامة	١٩
الفصل الثاني: العالم وآلهته	٣٠
الفصل الثالث: الآلهة العظمى لمصر	٤٦
الفصل الرابع: تطور الديانة القديمة	٨٣
الفصل الخامس: أساطير الآلهة	٩٩
الفصل السادس: اللاهوت	١٣٥
الفصل السابع: الحوادث التاريخية وأثرها	١٥٢
الفصل الثامن: عصر الهرطقة	١٦٠
الفصل التاسع: انتصار الديانة القديمة (نهاية الدولة الحديثة)	١٨٨
الفصل العاشر: التقوى والآلهة الشعبية والوحي	١٩٧
الفصل الحادي عشر: الأخلاق	٢٢١
الفصل الثاني عشر: العبادة في العصور القديمة	٢٣١
الفصل الثالث عشر: العبادة في الدولة الحديثة	٢٦٨
الفصل الرابع عشر: العقائد الجنزية	٢٨٤

الفصل الخامس عشر: العناية بالموتى ٣٣٠
الفصل السادس عشر: الموتى في العصر المتأخر ٣٨٣
الفصل السابع عشر: السحر ٣٩٥
الفصل الثامن عشر: عهد الاضمحلال والعصر الصاوي ٤١٩
الفصل التاسع عشر: العهد الفارسي ٤٤٠
الفصل العشرون: الديانة المصرية في البلاد المجاورة ٤٥٩
الفصل الحادي والعشرون: في العصر اليوناني الروماني ٤٧٣
الفصل الثاني والعشرون: الديانة المصرية في أوروبا ٥٥٠
الفهرس ٥٧٩

- الطب المصري القديم
- مصر في العصور القديمة
- تاريخ الفن المصري القديم
- تاريخ توت عنخ آمون
  ويتبعه تاريخ عالم الفراعنة
- الأثر الجليل لقدماء وادي النيل
- المواد والصناعات عند قدماء المصريين
- الطب والتمريض في عهد الفراعنة
- الدليل العصري للمتحف المصري
- ديانة مصر القديمة

GN:22555
930.1ع ر

MADBOULI BOOKSHOP مكتبة مدبولي
6 Talat Harb SQ. Tel. : 5756421 ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١